شعاع

من المحراب

الجزء السابع

إعداد

سليمان بن حمد العودة


بسم الله الرحمن الرحيم

شعاع من المحراب

(ح) سليمان بن حمد العودة، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العودة، سليمان بن حمد

شعاع من المحراب .. خطب / سليمان بن حمد

الرياض، ١٤٣٣ هـ

١٠ مج

١- خطبة الجمعة ٢- الخطب الدينية ٣- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ٩٣١٥ / ١٤٣٣

رقم الإيداع: ٩٣١٥ / ١٤٣٣

ردمك: ٢ - ١١٥٧ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

٠ - ١١٦٤ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ٧)

رقم الإيداع: ٩٣١٥ / ١٤٣٣

ردمك: ٢ - ١١٥٧ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

٧ - ١١٦٥ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ٨)

الطبعة الثانية

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

دار المغني للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية

dar_almoghny@hotmail.com

هاتف ناسوخ: ٠٠٩٦٦١٤٩١٦٩١٥ - ٠٠٩٦٦١٤٢٥٧٠١٩

الدين الحقّ ودعوى وحدة الأديان[١]

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذْ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذلِّ وكبِّره تكبيرًا.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، أنزل عليه الكتاب ولم يجعل له عوجًا، بعثه برسالة الإسلام، وختم به النبوات، وانقطع بموته الوحيُ من السماء، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣].

عباد الله: وبين آونةٍ وأخرى يَردُ الحديثُ عن صراع الحضارات، ويردُ أكثر عن حوار الحضارات، كما يَرِدُ الحديثُ ويتجدد -منذُ زمنٍ- عن تقارب الأديانِ ووحدتِها، وربما أطلق البعضُ أن لا فرقَ بين أصحابِ المللِ والأديانِ -ما داموا يؤمنون بالله- ولو اختلفت شرائعُهم، أو اختلفوا في اتباع أنبيائهم، إلى غير ذلك من طروحات ومفاهيم يُلبَسُ فيها الحقُّ بالباطل، وربما أحدثت خللًا أو شكًا في المعتقد الصحيح، ولرفع اللبس وبيان الحقّ، وكشفِ الباطل وتجلية

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٠/ ٧/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

الحقائق، فلا بد من الحديث -ولو بشكل مجمل- عن المفردات التالية:

١- الإسلام بوصفه الدين الحق والرسالة الأخيرة للخلق.

٢- وعن القرآن بوصفه الكتاب المصدق للكتب قبله، والمهيمن عليها، والحافظ لأصول الشرائع السماوية كلها، والناسخ لما نسخ الله منها، وبوصفه الوحي الإلهي الوحيد المحفوظ من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان.

٣- وعن محمد ﷺ باعتبار عموم رسالته وختمها لرسالات السماء.

٤- وعن أمةِ الإسلام باعتبارها أمةً وسطًا، وخيريَّتُها مقطوعٌ بها، وشهادتُها على الناس بنصِّ الوحيين -كما سترى.

أيها الناس: أما الإسلامُ فهو الدينُ الحقُّ الذي شرع الله ورضيه لنا دينًا: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(١).

وهو دين اللهِ ودين رسله، وهو رسالته الأخيرة إلى الناس كافّة.

وهو الانقياد لله وحده ظاهرًا وباطنًا بما شرع على ألسنة رسله(٢).

وهو الدينُ الذي بَعث الله به الأولين والآخرين من الرسل عليهم السلام، فنوحٌ عليه السلام قال لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

وإبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٤).

وحين اختصم اليهودُ والنصارى في إبراهيم عليه السلام جاء الفصل من اللهِ حاكمًا بإسلام إبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) السعدي: «تيسير الكريم الرحمن»: (١/ ٣٦٦).

(٣) سورة يونس، الآية: ٧٢.

(٤) سورة البقرة: الآيتان: ١٣١، ١٣٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٦٧.

ويوسف عليه السلام -كان من دعائه-: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١].

وموسى عليه السلام يدعو قومه للإسلام: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[٢].

والسحرةُ حين اهتدوا قالوا لفرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[٣].

وعن أنبياء بني إسرائيل قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾[٤].

وقال عن إسلام ملكة سبأ وسليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥].

وعيسى عليه السلام تبرأ من كفر النصارى، وأعلن والحواريون معه الإسلام لله: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٦].

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[٧].

ثم جاء محمدٌ صلى الله عليه وسلم ليقول للناس كافة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٨].

وحين بُعث محمدٌ صلى الله عليه وسلم إليهم آمن به واتبع دينه أهل الكتاب، وهم المؤمنون

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.
(٢) سورة يونس، الآية: ٨٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٢٦.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٥) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.
(٧) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

الذين لم يحملوا الحقد والحسد، ولم يُحرِّفوا أو يبدلوا أو يشتروا بالدين ثمنًا قليلًا، بل أعلنوا إيمانهم وإسلامهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾(١).

بل كان منهم مَنْ إذا سمع ما أنزل إلى الرسول: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾(٢)، ومنهم من إذا تُلي عليهم القُرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾(٣)، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾(٤).

أما الفريقُ الآخر فكذَّبوا وعاندوا واستمروا على كفرهم، وهؤلاء لا تنقصهم معرفةُ الحق، ولكن طغى عليهم البغيُ والحسد، وهؤلاء هم المعنيُّون بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(٥).

وهم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾(٦).

وهم المختلفون بعد العلم: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ﴾(٧).

عبادَ الله: وأهلُ الدين الحق في الماضي والحاضر هم المسلمون لله ربِّ العالمين، والمهتدون بهدي المرسلين، فلا شرك ولا ظلم ولا فجور ولا

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٥٢، ٥٣.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٣.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠٧.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٨٩.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

فسوق، ولا سوء أدب مع الله، ولا مع أنبيائه. وأين الإسلامُ ممن قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾(١)، وربنا لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأين الإسلامُ ممن قالوا: المسيحُ ابنُ الله، والله يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٢).

أين الإسلامُ والإيمانُ ممن قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾(٣).

وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾(٤).

وأين الإسلام والإيمان ممن قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾(٥).

وأين الإسلام ممن اتخذوا عيسى عليه السلام وأمَّه إلهين من دون الله.

أيها الناس: وهل يصحُّ أن يطلق الإيمانُ والإسلامُ على أهلِ الكتاب المحرِّفين من اليهود والنصارى والله يقولُ عنهم: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦).

ويصفهم اللهُ بالكفر صراحة بقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾(٧).

ويصف اللهُ أكثريتهم بالفسق بقوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾(٨).

وينفي عنهم الإيمان بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾(٩).

ويصفهم بالظلم، ويشبههم بما يتفقُ وإضاعتِه الأمانة بقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٧٣.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٣.
(٧) سورة البينة، الآية: ١.
(٨) سورة المائدة، الآية: ٥٩.
(٩) سورة المائدة، الآية: ٨١.

حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(١).

بل كيف يقال بإيمان من اعترفوا على أنفسهم بالكفر: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٢).

وإذا زاغ اليهودُ عن الحقِّ الذي جاءهم به موسى عليه الصلاة والسلام -وهو نبيهم- فكيف يُظن بهم إتباعُ غيره وتقديره: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾(٣).

أما النصارى فقد قال لهم نبيُهم عيسى ﷺ: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٤).

وهكذا -**إخوة الإسلام**- ينفرد المسلمون بالإيمان الحق والتزكية الإلهية والتصديق الجازم وتقدير الأنبياء والمتابعة لهم .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٥).

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٢.
(٣) سورة الصف، الآية: ٥.
(٤) سورة الصف، الآية: ٦.
(٥) سورة الجمعة، الآيات: ٢-٤.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين الذين قاموا بالحق وبه كانوا يعدلون.

أما بعد: وبناءً على ما سبق، فهل يستوي الإسلامُ الحق واليهودية والنصرانية الزائغة؟ وهل يصح التوحيدُ فيها؟ وهل يجوز الدعوةُ لمقاربة الأديان؟ هناك دعواتٌ وطروحات غريبة نسمعها بين الحين والآخر.. وهذه وتلك وردت للجنة الدائمة للبحوث والإفتاء.

واسمعوا التساؤلات، واعقلوا الفتوى، وكونوا على حذر من الفتن العمياء؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالاتٍ بشأن الدعوة إلى وحدة الأديان: دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرَّع عن ذلك من دعوة إلى بناءٍ: مسجدٍ وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوةٍ إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يُعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب. وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولًا: أن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون، أنه لا يوجد على وجه الأرض دينٌ حق سوى دينِ

الإسلام، وأنه خاتمةُ الأديان، وناسخٌ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دينٌ يُتعبَّد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١). والإسلامُ بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى: «القرآن الكريم» هو آخرُ كتب الله نزولًا وعهدًا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتابٍ أُنزل مِن قَبلُ من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمنٌ عليها، فلم يبق كتاب منزَّل يُتعبد الله به سوى: القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾(٢).

ثالثًا: يجب الإيمان بأن (التوراة والإنجيل) قد نُسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريفُ والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم منها قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ﴾(٣).

وقوله جلّ وعلا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١).

ولهذا، فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرَّف أو مبدَّل. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أفي شكٍّ أنت يا ابنَ الخطابِ؟! ألم آتِ بها بيضاءَ نقيةً؟ لو كان أخي موسى حيًا ما وَسِعَه إلا إتباعي**». رواه أحمدُ والدارميُّ وغيرُهما.

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمدًا ﷺ هو خاتمُ الأنبياء والمرسلين كما قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٢). فلم يبق رسول يجب إتباعُه سوى محمد ﷺ -ولو كان أحدٌ من أنبياء الله ورسله **حيًا** لما وسعه إلا إتباعه ﷺ وأنه لا يسعُ اتباعُهم إلا ذلك- كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٣).

ونبيُّ الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد ﷺ وحاكمًا بشريعته. وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾(٤).

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامةٌ للناس

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٢]، وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقادُ كفرِ كلِّ من لم يَدخلْ في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وتسميته كافرًا. وأنه عدوٌّ لله ورسوله والمؤمنين. وأنه من أهل النار كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾[٣]، وقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[٤]، وغيرها من الآيات. وثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيدِه لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**».

ولهذا: فمن لم يُكفِّر اليهود والنصارى فهو كافر، طردًا لقاعدة الشريعة: «من لم يكفرِ الكافرَ فهو كافرٌ».

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى: «وحدة الأديان» والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوةٌ خبيثة ماكرة، والغرضُ منها خلط الحق بالباطل، وهدمُ الإسلام وتقويضُ دعائمه، وجر أهلِه إلى ردة شاملة، ومصداقُ ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[٥].

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[٦].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٣) سورة البينة، الآية: ١.
(٤) سورة البينة، الآية: ٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٦) سورة النساء، الآية: ٨٩.

سابعًا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمةِ إلغاءَ الفوارقِ بين الإسلامِ والكفر، والحقِّ والباطل، والمعروفِ والمنكر، وكسرِ حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاءَ ولا براء، ولا جهادَ ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جلّ وتقدس يقول: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[1]، ويقول جلّ وعلا: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[2].

ثامنًا: أن الدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردةً صريحةً عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتُبطلُ صدق القرآنِ ونسخَه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطلُ نسخَ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعًا، محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآنٍ وسنة وإجماع.

تاسعًا: وتأسيسًا على ما تقدم:

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، الدعوةُ إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيعُ عليها، وتسليكُها بين المسلمين، فضلًا عن الاستجابةِ لها، والدخولِ في مؤتمراتها وندواتها والانتماء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردَيْن، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد!! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

من الجمع بين الحق «القرآن الكريم» والمحرف، أو الحق المنسوخ «التوراة والإنجيل».

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابةُ لدعوة: «بناء مسجد وكنيسة ومعبد» في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يُعبد الله به غير دينِ الإسلام وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة: لأهل الأرض التدين بأيٍّ منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال، لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك!! كما أنه لا يجوز تسميةُ الكنائس بيوت الله وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله، لأنها عبادة غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١). بل هي: بيوت يُكفر فيها بالله. نعوذ بالله من الكفر وأهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ١٦٢): «ليست -أي: البِيَع والكنائس- بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يُكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيت بمنزلة أهلها، وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفارة».

عاشرًا: ومما يجب أن يُعلم أن دعوة الكفار بعامة وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبةٌ على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بيِّنةٍ ويحيا من حيَّ عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١). أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عُرى الإسلام ومعاقد الإيمان، فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون.

قال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾(٢).

* وإن اللجنة إذ تُقرر ذلك وتبيِّنه للناس، فإنها توصي المسلمين بعامة وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاتِه، والكفر وأهلِه، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: «وحدة الأديان». ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كلَّ مسلم أن يكون سببًا في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها بينهم: نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يُعيذَنا جميعًا من مُضِّلات الفتن، وأن يجعلنا هُداة مهتدين، حماة للإسلام على هدىً ونورٍ من ربنا حتى نلقاه وهو راضٍ عنَّا.

وبالله التوفيق. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٢) الدين الحق[١]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[٣].

عبادَ الله: وفي سبيل استبانة سبيل المجرمين، ولبيان الحق في زمن صراع الحضارات، وغزو الأفكار، الذي بات ينتشر أكثر هذه الأيام .. ومن المتوقع أن يزيد انتشارُه مع بداية الألفية الثالثة، جرى في الجمعة الماضية حديثٌ عن الإسلام مقارنًا بالأديان الأخرى -لا سيما اليهودية والنصرانية- وعُلم حكمُ الشرع وفتوى العلماء في دعوى وحدة الأديان .. واليوم أستكمل الحديث عن القرآن مقارنًا بالكتب السماوية الأخرى، وعن محمد ﷺ وحديث الأنبياء عنه،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٧/ ٧/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٨.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٣.

وعن الأمة المسلمة مقارنةً بالأمم الأخرى.

أيها الناس: ومن الإسلام بمفهومه الحقّ عبر القرون - إلى القرآن الكريم بوصفه آخر الكتب المنزلة، مصدقًا لما بين يديه من الكتب، ومهيمنًا عليها، اختصّه الله من بين كتبه بالحفظ، فلا تستطيعه أيدي التحريفِ والتبديل، والوعدُ بذلك إلهي، والتأكيدُ رباني: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾(١). شملت آياتُه وصايا السابقين ولم تُغفل شرائع المرسلين، وزادت عليها أحكامًا وشرائع وهدى حتى أكمل اللهُ به الدين، وانقطع الوحيُ من السماء بعد موتِ المنزَّلِ عليه محمد ﷺ.

فيه الهدى والنور والشفاء، وما به عوجٌ ولا افتراء بل قصّ اللهُ فيه على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون، وحين استمع الجنُّ إليه قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾(٢). ما كان للقرآن أن يُفترى من دون الله، قصصُه أحسن القصص ولو أن قرآنًا سُيرت به الجبالُ أو قطعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى لكان بهذا خليقًا.

منه السبعُ المثاني وكلّه قرآن عظيم .. ولو أُنزل على جبلٍ لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله .. حوى من أخبار الأنبياء والأمم الماضية ما لم تحفل به الكتبُ السابقةُ عليه، ومن أخبار اليهود والنصارى مالم يعلموا به من كتبهم، ولو لم يحفظ لنا القرآنُ هذه الأخبار والمغيبات لم نجده في أي كتاب آخر يُوثق به. يقرأه الصغيرُ والكبير، والذكرُ والأنثى، ويتفق على ألفاظِه وكلماتِه وحروفه أهلُ المشرق وأهلُ المغرب، وتتواتر روايتُه عبر القرون، وأين هذا من الأناجيل والتوراة المختلفة والمحرَّفة - ماذا بقي منها يوثق به لم تُحرف - وأي فقرة من

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٢) سورة الجن، الآيتان: ١، ٢.

هذه الكتب يمكن الاطمئنانُ إليها على أنها من وحي السماء؟ والله يقول عن أصحابها: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾(١)، ويقول عنهم أيضًا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾(٢).

عباد الله: ولو قارنا كتاب الله القرآن المحفوظ في الصدور والمحوط من الزيادة والنقصان، بآخر كتاب سماوي نزل قبله، وهو الإنجيل المنزَّل على عيسى عليه السلام لأدركنا الفرق في الحفظ بين الكتابين، فمن كتب الإنجيل؟ وما الأناجيل الموجودة؟ وهل كتبها أو أمر بكتابتها المسيح عليه السلام؟

يجيبُ عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» ويقول في «الجزء الثاني ص١١»، وأما الأناجيلُ التي بأيدي النصارى، فهي أربعة أناجيل: إنجيل متّى، ويوحنا، ولوقا، ومرقس، وهم متفقون على أن لوقا ومرقس لم يريا المسيح، وإنما رآه متّى ويوحنا. وأن هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل، وقد يُسمون كلَّ واحدٍ منها إنجيلًا، إنما كتبها هؤلاء بعد أن رُفع المسيح، فلم يذكروا فيها أنها كلامُ الله، ولا أن المسيح بلَّغها عن الله، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح، وأشياء من أفعاله ومعجزاته، وذكروا أنهم لم ينقلوا كلَّ ما سمعوه منه ورأوه، فكانت من جنس ما يرويه أهلُ الحديث والسير والمغازي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله التي ليست قرآنًا.. اهـ

هذا إذا سَلِمت هذه الأناجيلُ من تحريفِ المحرِّفين وزيادات المبطلين -عبر العصور.

(١) سورة المائدة، الآية: ١٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

وإذا قيل هذا عن الأناجيل -مع قرب العهد بها- فماذا يُقال عن التوراة والتلمود وهي أقدمُ عهدًا، واليهود أكثرُ تحريفًا؟! كيف وقد حوت هذه الكتب سوءَ أدبٍ مع الله وإساءة للأنبياء عليهم السلام واتهامًا لهم في أخلاقهم وأعراضهم؟! ومن نماذج ذلك تصويرُهم لوطًا عليه السلام سكيرًا وعاهرًا يزني بابنتيه في حال السكر - جاء ذلك في سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر.

ويصورون يعقوب عليه السلام بأنه محتالٌ سرق النبوة من أخيه البكر بأسلوب قذر «كما جاء عندهم في سفر التكوين الإصحاح السابع والعشرين».

أما عيسى عليه السلام فيقول اليهودُ في تلمودهم بأنه ابنُ غيرُ شرعي، حملته أمه سفاحًا وهي حائض من العسكري باندارا. إلى غير ذلك من خزعبلاتٍ، لولا بيانُ باطلهم لنزّهت أسماعكم وبيت الله من ذكرها[1]. إن هذه الكتب لا يُمكن الاعتماد عليها على أنها كتبٌ منزّلة من السماء - وإذا نَهَرَ رسولُ الله ﷺ الفاروق وهو يُقلب صحيفةً من التوراة ويقولُ له: «**والله لو كان أخي موسى حيًا ما وَسِعَه إلا إتباعي**»... فماذا يُقال لغير عمر ممن هو أقلَّ إيمانًا وفقهًا منه، حين يفكر في قراءة شيء من هذه الكتب المحرفة؟! أما كتابُ ربنا وعهدُه الأخيرُ للناس، والمعجزُ بحفظه، وبما حواه فيكفيه شهادةُ الله له بالتصديق لما قبله، والهيمنة على الكتب السابقة عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾[2].

عبادَ الله: أما محمد ﷺ فهو خاتمُ الأنبياء عليهم السلام وأفضلُهم، بعثَه للناس كافة، وبه ختم اللهُ رسالاتِ السماء، هو دعوةُ أبيه إبراهيم عليه السلام حين قال وابنه

---

(١) «السيرة في ضوء المصادر الأصلية» ص٨٦، ٨٧، د. مهدي رزق الله أحمد.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾(١)، وهو بشارة عيسى عليه السلام حين قال: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾(٢).

والأنبياءُ كلهم أُخذ عليهم الميثاقُ لئن بُعث محمدٌ ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنّه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٣).

لا يسوغُ لأحد -مهما كان جنسُه وديانتُه- أن يخرج عن شريعته ويتبع نبيًا غيره، ومن فعل ذلك فهو من أهل النار. روى مسلمٌ في «صحيحه» أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أهل النار**».

ومن نواقض الإيمان -كما قرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر(٤).

وهل يعلم أهلُ الكتاب وغيرُهم أن عيسى عليه السلام حين ينزلُ آخرَ الزمان يحكم بشريعة محمد ﷺ؟ روى مسلمٌ في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابنُ مريمَ فأمَّكم منكم**».

قال أحدُ الرواة في معنى «فأمَّكم منكم» قال: بكتاب ربكم وسنة نبيكم(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.
(٢) سورة الصف، الآية: ٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٤) مجموعة الرسائل في التوحيد والإيمان ص٧٩.
(٥) «مختصر المنذري» لمسلم ح: ٢٠٦٠.

قال العلماء: هذا صريح في أن عيسى عليه السلام يحكم بشريعتنا ويقضي بالكتاب والسنة، لا بالإنجيل ولا غيره. «تعليق الألباني على المنذري».

وأين حماةُ الصليب من هذا؟ ورسولُ الهدى ﷺ يقسم: «**والله لينزلنَّ ابنُ مريم حكمًا عادلًا، فليكسرنَّ الصليبَ، وليقتلنَّ الخنزيرَ، وليضعنَّ الجزيةَ..**»(١).

بل وأين أهلُ الكتاب من شهادة بعضهم على بعضٍ بصدق رسولنا؟ وقد أخرج أبو حاتم في «صحيحه» عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: خرج جيش من المسلمين - أنا أميرُهم - حتى نزلنا الإسكندرية، فقال عظيمٌ من عظمائهم: أخرجوا إليَّ رجلًا يُكلمني وأكلمُه، فقلتُ: لا يخرج إليه غيري، قال: فخرجت إليه ومعي ترجماني ومعه ترجمانه، فقال: ما أنتم؟ قلت: نحن العرب.. وأخبره عمرو عن حالتهم قبل البعثة وبعدها وكيف ظهر عليهم محمدٌ ﷺ. فلما انتهى عمروٌ قال عظيمُ الإسكندرية: إن رسولكم قد صدق، قد جاءتنا رسلُنا بمثل الذي جاءكم به رسولُكم، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم، لم يقاتلكم أحدٌ إلا غلبتموه، ولن يشارككم أحدٌ إلا ظهرتم عليه، وإن فعلتم مثل الذي فعلنا وتركتم أمر نبيكم، لم تكونوا أكثرَ عددًا منا، ولا أشدَّ منا قوة(٢).

أيها المسلمون: ولم تكن بعثتُه -عليه الصلاة والسلام- نعمةً على المسلمين وحدَهم، بل بعثته نعمةٌ على أهل الأرض كلِّهم، ففي شريعته ﷺ من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق أعظمُ مما في الإنجيل، وفيها من الشّدةِ والجهاد وإقامة الحدود على الكفار والمنافقين، أعظم مما في التوراة - وهذا هو غاية الكمال - كذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - وأضاف يقول: ومن

(١) الحديث رواه مسلم في «صحيحه» ح: ٢٠٥٩.
(٢) «الجواب الصحيح» (١/ ١٠٠).

استقرأ أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمةً أعظم من إنعامه بإرساله ﷺ، وأن الذين ردوا رسالته، هم ممن قال اللهُ فيهم: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾(١)(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾(٣).



(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨.

(٢) «الجواب الصحيح» (٣/ ٢٤٣، ٢٤٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا خير كتبه، وجعل أمتنا خير الأمم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله - اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

إخوة الإيمان: وإذا تقرر أن ديننا خيرُ الأديان، وكتابنا مهيمنٌ على الكتب قبله، ونبينا خاتمُ الرسل، وقد أمَّ الأنبياء في رحلة الإسراء، وعُرج به إلى السماوات العُلى. فماذا يُقال عن أمةِ الإسلام، وما الفرقُ بينها وبين الأمم الأخرى؟

لقد حكم الله بخيريَّة هذه الأمة - إذا استقامت على شرع الله، وقامت بواجبات الأمر والنهي، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(١).

وفي الحديث: «**أنتم تُوفون سبعين أُمّةً، أنتم خيارُها وأكرَمُها على اللهِ**»، أو كما قال ﷺ.

وجعلها أمةً وسطًا شاهدةً على الناس بالعدل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٢).

وهذه الوسطية والشهادةُ على الناس ينبغي أن تُثير فينا الاعتزاز والشعور بالكرامة، والمسؤولية والتبعة في آنٍ واحد، ولا ينبغي أن يتخلف الشاهدُ عن مستوى المشهود عليه..

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

وإليك نموذجًا لشهادة هذه الأمة على الأمم السابقة: أخرج البخاري في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يُدعى نوحٌ عليه السلام يوم القيامة فيقول: لبَّيك وسعديك يا رب، فيقول هل بلّغت؟ فيقول: نعم، فيُقال لأُمَّته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُه، فيشهدون أنه قد بلّغ**».

ومن عدلِ أمةِ الإسلام عدلُها ونظرتُها لأخبار أهل الكتاب، فهي لا تردها جملة وتفصيلًا، ولا تقبلُ بها دون تمحيص، بل تذكرها للاستشهاد، لا للاعتقاد، وتصنفها على ثلاثة أقسام:

١- **إحداها**: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

٢- **والثاني**: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، فذاك كذب.

٣- **والثالث**: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته؛ لقوله ﷺ: «**... وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[1].

عبادَ الله: وتمتاز أمةُ محمدٍ ﷺ على أمم اليهود والنصارى بصحة النقل، إذ النقلُ عن محمدٍ ﷺ مدتُه قريبة، والناقلون عنه أضعافُ أضعافِ من نقل دين المسيح عنه، وأضعافُ أضعافِ من اتصل به نقلُ دين موسى عليه السلام، فإن أمة محمدٍ ﷺ ما زالوا كثيرين منتشرين في مشارق الأرض ومغاربها، وما زال فيهم من هو ظاهرٌ بالدين، منصورٌ على الأعداء بخلافِ بني إسرائيل، فإنهم زال ملكهُم في أثناء المدة لما خُرب بيتُ المقدسِ الخرابَ الأول بعد داود عليه السلام،

(١) «الفتاوى» (١٣/ ٣٦٦).

ونقص عددُ من نقل دينهم حتى قيل إنه لم يبق من يحفظ التوراةَ إلا واحد، والمسيحُ ﷺ لم ينقل دينه إلا عددٌ قليل(١).

أيها المسلمون: كما تمتاز هذه الأمةُ المسلمة على الأمم الأخرى بالعفو والتسامح والمغفرة، والله يقول لهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(٢)، ويقول في صفاتهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾(٣)، ويدعوهم إلى الصبر والتقوى في مقابل فتنة الآخرين وأذيتهم: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٤).

أجل إن الأمة أُمرت بقتال الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يُحرِّمون ما حرمه الله ورسولُه، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتَى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

لكن هذا القتال ليس تعصبًا ولا استعلاءً في الأرض بغير الحق، ولكنه الرحمةُ بالخلق لدعوتهم للحق، ولذا فقبل القتال تكون الدعوةُ وتكون المجادلة بالحسنى، وفي وفد نصارى نجران علّق ابن حجر بقوله: وفيه من الفوائد: جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعيّنت مصلحتُه(٥). فإذا قامت الحُجة ولم تغن المجادلة - كان الجهادُ أو دفعُ الجزية.

وأين هذه الأخلاقُ الإسلامية، والآدابُ من العفو والصفح والمجادلة بالحسنى . . . أين هذا من تعصب أهل الكتاب وانغلاقهم، وشعورهم بالتميُّز،

---

(١) «الجواب الصحيح» (١/ ١٢٧، ١٢٨). (٢) سورة الجاثية، الآية: ١٤.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٣. (٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

(٥) «الفتح» (٨/ ٩٥).

وغيرهم بالدونية. يقول الأمير شكيب أرسلان: إن الروح الصليبية لم تبرح كامنةً في صدور النصارى كمُونَ النار في الرماد، وروحُ التعصب لم تنفك معتلجةً في قلوبهم حتى اليوم كما كانت في قلب بطرسِ الناسك من قبل، وأن ما يدعوه الفرنجةُ عندنا في الشرق تعصبًا مذمومًا هو عندهم في بلادهم العصبيةُ الجنسية المباركة، والقوميةُ المقدسة[١].

عبادَ الله: إن على المسلم أن يعلم موقعه في هذا العالم، وإذا أُعجب كلُّ ذي رأي برأيه، وكلُّ أصحاب نحلة أو دين بنحلهم وديانتهم، فحسب المسلم أن يرضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا رسولًا، وأن يكون القرآن دليله وهاديه، وأن يكون في عداد الأمة المرحومة.. أمةِ الخير والعدل والوسط، وعلى المسلم أن يحذر من الشعارات الخادعة، والدعوات الفاتنة التي يُلبس الحقُّ فيها بالباطل، ويتفوق فيها المُبطل على المحق في زمنٍ ضعفت فيه مقدراتُ المسلمين، وغزاهم في قعر دارهم الكافرون، وبات الغزو مقننًا عبر الفضائيات والشبكات ونحوها، بل أصبح التأثيرُ العقدي يُمارس عبر دهاليز السياسة، ومن بوابات الاقتصاد، ويغطى بمصطلحات العولمة، والنظام العالمي، ويمرر عبر قرارات الهيئات والمنظمات المُسَيَّسة، فهل يواجه المسلمون التحدي؟ وهل يحسون بحساسية المرحلة؟ وهل يتجاورون التبعية؟ ذاك المأمول والمرتجى، والله غالب على أمره.

---

(١) حاضر العالم الإسلامي: (١/ ١٣٧)، وانظر: التعصب الأوروبي أو الإسلامي/ محمد العبدة: (١١-١٤).

المحبة المشروعة[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آله المؤمنين، وارضَ اللهم عن أصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله معاشر المسلمين، فإن تقوى الله أقومُ وأقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أيها المسلمون: بالمحبة والإخاء تصفو الحياةُ، ويسعد الأحياء، وتغيبُ الإحنُ، وتتوارى الأثرةُ والبغضاء، وليست هناك دواعٍ معقولة تحمل الناس على أن يعيشوا أشتاتًا متناكرين، ووحوشًا متنافرين، بل إن الدواعي القائمة على الحقّ والعاطفةِ السليمةِ تعطفُ البشرَ بعضهم على بعض، وتُهيِّئُ لهم مجتمعًا متكافلًا تسوده المحبةُ، ويمتد به الأمانُ على ظهر الأرض.

أجل: لقد ردَّ الله أنسابَ الناسِ وأجناسَهم إلى أبوين اثنين ليجعل من هذه

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٥/٧/١٤١٧هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

الرحم الماسةِ ملتقىً تتشابك عنده الصِّلات وتُستوثق، ولكن على أساس من البرِّ والتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١).

فالتعارفُ لا التنافر، والمحبةُ لا التباغض، أساسُ العلائق بين البشر، ولكن قد تطرأُ عوائقُ تمنعُ هذا التعارفَ الواجبَ، وتلك المحبةَ المشروعة، وفي زُحامِ البشرِ على مواردِ الرزق، وفي اختلافهم على فهمِ الحق وتحديد الخيرِ قد يثور نزاعٌ ويقع صدامٌ، بيد أن هذه الأحداثَ الطارئةَ وتلك التصرفات المشينةَ لا ينبغي أن تُنسي الروابط المشروعة والحقوق الواجبة، ولا ينبغي أن تعصف بأوتاد المحبة وأواصرِ الأخوة.

إن المحبة طعمُ الحياة، وسرُّ سعادتها، ومساكينُ من فارقوا الدنيا ولم يتلذذوا بأطيبَ ما فيها من محبة الله والشوقِ إلى لقاه، ومحبةِ رسول الله ﷺ والسير على هداه، ومحبة المؤمنين والقيام لهم بحقوقها من الموالاة والنصرةِ والنصح وتقديم المعونة.

أيها المؤمنون: وجُبِلَ الناسُ -كلُّ الناسِ- على محبة المالِ والوالدِ والولد، والأهلِ والعشيرة، والقناطير المقنطرةِ من الذهب والفضةِ والخيلِ المسومةِ والأنعام والحرث، ولكن ذلك كلُّه متاعُ الحياة الدنيا والله عنده حسنُ المآب.

وما يبقى خيرٌ مما يفنى، والله يقول في وصف الباقي وصفاتِ أهله: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾(١).

عبادَ الله: إن الحبَّ في الله والبغضَ في الله أوثقُ عرى الإيمان، كما أخبر بذلك الصادقُ المصدوقُ - عليه الصلاةُ والسلام - والحبُّ في الله والبغضُ في الله هو الذي يتجاوز أغراض الدنيا، ويُقيم صاحبُه وزنًا للقِيَم، وتضبط فيه العواطفُ، ويوزن بميزان الشرع المطهر، أساسُه الصلاحُ والتُّقى، ولو كان المُحبُّ في المالِ صعلوكًا وفي النسب نازلًا، وخياركم في الجاهلية خيارُكم في الإسلام إذا فَقُهوا، إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضعُ به آخرين.

إن محبة اللذة والشهوة الرخيصة تفنى وتنتهي في الآخرة إلى العداوة والبغضاء. أما محبةُ الدين فتثمرُ وتبقى وهي في الآخرة علامةُ التقوى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

وإذا زُين للمُبطلين اتخاذُ أندادٍ من دون الله يحبونهم كحب الله، فالذين آمنوا أشدُّ حبًا لله، له وحده يعبدون، وعليه يتوكلون، وإذا كان لكل شيء حقيقةٌ، فحقيقةُ محبةِ الله إتباعُ هَدْي رسولِ الله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٣).

أما محبة خلقِ الله فتكون بتقديم الخير لهم، ودفع الشرِّ عنهم، وعدم الاعتداء على حرماتهم، فكلُّ المسلم على المسلم حَرامٌ: دمُه ومالُه وعرضُه، ألا ما أجملَ الحبَّ والطاعة حين يرتفعان بصاحبهما إلى درجات النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٥-١٧. (٢) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٦٩) ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[١].

ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحبُّ إليّ من نفسي، وأحبُّ إليَّ من أهلي، وأحبُّ إليَّ من ولدي، وإني لأكونُ في البيت فأذكركَ فما أصبرُ حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتك عرفتُ أنك إذا دخلت الجنةَ رُفعت مع النبيين، وإن دخلتُ الجنة خشيتُ أن لا أراك، فلم يردَّ عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[٢] الآية.

رواه ابن مردويه، والمقدسيُ في «صفة الجنة» وقال: لا أرى بإسناده بأسًا[٣].

عباد الله: وإذا كان هذا نموذجًا لمحبة الأصحاب لمحمد ﷺ، فهناك نموذجًا آخر لمحبة الأصحاب بعضهم بعضًا وما فيه من مغنم:

عن أبي إدريس الخولاني قال: دخلتُ مسجدَ دمشق، فإذا فتًى براقُ الثنايا والناسُ حوله، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألتُ عنه فقالوا: هذا معاذُ بنُ جبلٍ، فلما كان الغدُ هجَّرتُ إليه، فوجدتُه قد سبقني بالتهجير، ووجدتُه يصلي، فانتظرتُه حتى قضى صلاته، ثم جئتُه من قِبَلِ وجهه، فسلمتُ عليه، ثم قلتُ: والله إني لأُحبك في الله، فقال: آلله؟ فقلتُ: آلله، فقال: آلله؟ فقلتُ: آلله، فأخذ بحبوة ردائي فجبذني إليه وقال: أبشر، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**قال اللهُ تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ**».

أخرجه مالكٌ في «الموطأ»، والحاكمُ وصححه، وابنُ عبد البرِّ وغيرُهم[٤].

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٩، ٧٠. (٢) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣١٠، ٣١١).

(٤) «جامع الأصول» لابن الأثير: (٦/ ٥٥١، ٥٥٢).

يا أخا الإسلام: أفلا يقودُك هذا الحديثُ ومثلُه إلى محبة الخيِّرين والقربِ منهم والجلوسِ إليهم، والله تعالى يقول يوم القيامة: «**أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلُّهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي**».

أخرجه مسلمٌ ومالك في «الموطأ»[١].

ورسولُه ﷺ يقول: «**إن من عبادِ الله لأُناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شهداء، يغبطهم الأنبياءُ والشهداءُ يوم القيامةِ بمكانهم من الله**». قالوا: يا رسولَ الله تخبرنا مَن هم؟ قال: «**هم قومٌ تحابُّوا بروح الله على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يتعاطونها، فوالله إن وجوَهُم لنورٌ، وإنهم لعلى نورٍ، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزنَ الناسُ**». وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[٢].

أخرجه أبو داود، وفي سنده انقطاع، ولكن رواه ابنُ حبان في «صحيحه» بسند حسن، وأورد المنذريُّ في «الترغيب» حديثًا بمعناه وحسَّن إسناده، والحاكمُ وقال: صحيح الإسناد[٣].

يا أخا الإسلام: وإن قعدتْ بك همتُك عن مجاراةِ الخيِّرين في طاعاتهم وعباداتهم، فلا تنفكَّ عن محبتهم والتشبُّه بهم، وهاك هذه البشارة فاعقلها وعضَّ عليها بالنواجذ: روى البخاريُ ومسلم عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف ترى في رجلٍ أحبَّ قومًا ولمَّا يلحق بهم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**المرءُ مع من أحبَّ**»[٤].

وإذا كان صحابة رسول الله ﷺ قد فرحوا بها واستبشروا، حتى قال أنس:

---

(١) «جامع الأصول» (٦/ ٥٥٠).
(٢) سورة يونس، الآية: ٦٢.
(٣) «جامع الأصول» (٦/ ٥٥٣).
(٤) «جامع الأصول» (٦/ ٥٥٨).

فما فرح المسلمون فرَحهم بهذا الحديث[١]. أفلا يدعوك ذلك للفرح والبُشرى ومحبّةِ الخير لأهلِه صدقًا وعدلًا، لا نفاقًا أو رياءً؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾[٢].



(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣١٢)، «جامع الأصول» (٦/ ٥٥٧).

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، يُحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب المحسنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يحب الفاحش المتفحش ولا يحب البذيء، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أخبر أن عطاء الله لعبدٍ من أمور الدنيا لا يعني المحبة والرضا فقال: «**إذا رأيتَ اللهَ تعالى يُعطي العبدَ من الدنيا ما يُحبُّ وهو مقيمٌ على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراجٌ**» رواه أحمد وغيره بسند صحيح[(١)].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أيها المسلمون: ومن عظمة هذا الدين أنه يُشيع المحبةَ بين المسلمين فيجزي على الابتسامة المؤنسة: «**وتبسُّمكَ في وجْهِ أخيك صدقةٌ**». ويهدي لاختيار أطيب عبارةٍ حين المحادثة، ويرتب عليها المثوبة: «**والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ**» ويدعو إلى النظرة الهادفة لتأليف القلوب، وقد كان ﷺ يُقبِل بوجهه وحديثه على أشرِّ القومِ يتألَّفهم بذلك - كما قال عمرو بنُ العاص رضي الله عنه[(٢)].

كان من هديه ﷺ بسطُ النفس ومداعبة من يحتاج إلى المداعبة.. وكلُّ ذلك تشريعٌ للأمةِ ودعوةٌ لها إلى مكارم الأخلاق، وإشاعةِ المحبةِ والخير بين المسلمين. بل دعا إلى إظهار المحبة بين المتحابين؛ لأنه أبقى في الألفةِ وأثبتُ في المودة، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**إذا أحبَّ أحدكم أخاه في الله، فليُعْلمْه، فإنه أبقى في الألفةِ وأثبتُ في المودَّة**»، رواه ابنُ أبي الدنيا بسندٍ حسنٍ، عن مجاهد مرسلًا[(٣)]. بل لقد ورد في بعض روايات الحديث: «**إذا**

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (١/ ٢١٤). (٢) «مختصر الشمائل» (١٨١) بسندٍ حسن.

(٣) «صحيح الجامع» (١/ ١٣٧).

أحبَّ أحدُكم صاحبَه، فليأتِه في منزلِه فليخبِرْهُ أنه يُحبُّه للهِ». رواه أحمد والضياءُ بسند صحيح[١].

أيها المسلمون: وثمَّة ما يستدعي النظر ويستحق الوقفة، فبعضُ الناس يظن التعبيسَ في وجوه الآخرين دينًا يتقربُ به إلى الله، أو ربما ظنه بعضُ الخيرين تأكيدًا للولاء والبراءِ المشروعيْن. . وليس الأمرُ كذلك، فليس من هَدْي الإسلام ازدراءُ الناسِ واحتقارُ أعمالهم في مقابلِ تزكيةِ النفس، وليس من هدي محمدٍ ﷺ الانقباضُ عن الناس وشدةُ القولِ ورديءُ الكلام ولو كانوا أصحابَ سوء.

وفي «صحيح البخاري» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن على النبي ﷺ رجلٌ فقال: ائذنوا له فبئس ابنُ العشيرة، أو بئس أخو العشيرة، فلما دخل ألانَ له الكلام، فقلتُ له: يا رسولُ الله: قلتَ ما قلت، ثم ألنْتَ له في القول، فقال: «**أيْ عائشةُ: إنّ شرَّ الناسِ منزلةً عند الله من تركَه أو وَدَعَهُ الناسُ اتقاءَ فُحْشِه**»[٢].

هكذا ساقه البخاريُّ في كتاب الأدب، باب: المداراة مع الناس. وساقه مسلم في كتاب البرِّ والصلة والآداب، باب مداراةِ من يُتقى فحشه[٣].

ولقد فهم الصحابةُ رضوان الله عليهم هذا الأدب ومغزاه وتمثلوه ودعوا إلى دين الله من خلاله، وهذا أبو الدرداءِ رضي الله عنه يقول: إنا لنكشر في وجوه أقوامٍ وإن قلوبنا لتلعنهم[٤].

قال الحافظُ ابن حجر -يرحمه الله-: هذا الحديث أصلٌ في المداراة[٥].

---

(١) «صحيح الجامع» (١/ ١٣٧).
(٢) «صحيح البخاري» (٧/ ١٠٢).
(٣) «صحيح مسلم» (٣/ ٢٠٠٢).
(٤) «الصحيح مع الفتح» (١٠/ ٥٢٨).
(٥) «الفتح» (١٠/ ٤٥٤).

وقال ابنُ بطالٍ -يرحمه الله- موضحًا معنى المداراةِ والفرق بينها وبين المداهنة: «المداراةُ من أخلاق المؤمنين، وهي خفضُ الجناح للناس، ولينُ الكلمة، وتركُ الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضُهم أن المداراة هي المداهنةُ فغلط؛ لأن المداراةَ مندوبٌ إليها، والمداهنةَ محرمةٌ، والفرقُ بينهما: أن المداهنةَ من الدِّهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويسترُ باطنه، وفسرها العلماءُ -يعني المداهنة- بأنها معاشرةُ الفاسق وإظهارُ الرضا بما هو فيه من غير إنكارٍ عليه، والمداراةُ هي الرفقُ بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يُظهر ما هو فيه، والإنكارُ عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك»(١). ألا ما أنفس هذا الكلام وأحرى للمسلم بالعمل به.

عبادَ الله: ولا يعني إشاعةُ المحبة بين الناس إضاعة الدين أو تذويبَ الفوارق بين المؤمنين والكافرين والمنافقين، كلا فمبدأ الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين عقيدة يحفظها المسلمون من كتاب ربِّهم وسنة نبيه ﷺ، ويعمل بها المؤمنون، وهم يقرؤون: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾... الآية(٢).

ويقرؤون قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(٣) الآيات.

وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾(٤).

---

(١) «الفتح» (١٠/ ٥٢٨، ٥٢٩).

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٧١.

بل لقد قَسَّم أَهلُ العلم الناسَ في الحُب والبغض إلى ثلاثة أصناف:

الأول: من يحبُّ جملة، وهو من آمن بالله ورسوله وقام بوظائف الإسلام علمًا وعملًا واعتقادًا، وأخلص في أفعاله وأقواله لله، وانقاد لأوامره، وانتهى عن نواهيه.

الثاني: من يحبُّ من وجهٍ، ويُبغض من وجهٍ، فهو المسلمُ الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فيحب ويوالى على قدر ما معه من الخير، ويبغض ويعادى على ما معه من الشر.

الثالث: من يبغض جملةً، وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره، وأنكر البعث أو شيئًا من أمور الدين الثابتة، أو استحلّ ما عليه أهلُ البدع والأهواء المضللة.. فليفهم هذا جيدًا.

أيها المسلمون: والموفقُ من وفَّقه اللهُ لطاعتهِ وحسنِ عبادتهِ، وهل علمتم أن توفيق العبد لذلك دليلُ محبة اللهِ له، وإذا كان اللهُ يعطي الدنيا من أحبَّ ومن لم يحب، فاللهُ لا يُعطي الدين إلا من أحبَّ..

وثمة علامةٌ أخرى لمحبة الله للعبد، وذلك بإشاعةِ حبِّه بين الناس. روى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «**إذا أحبَّ اللهُ العبدَ نادى جبريلَ: إن اللهَ يُحبُّ فلانًا فأَحِبُّوه، فيحبه أهلُ السماءِ، ثم يوضعُ له القبولُ في الأرض**»[١].

ورواه مسلم وزاد: «**وإذا أبغضَ اللهُ عبدًا دعا جبريلَ فيقولُ: إني أبغضُ فلانًا فأبغِضْهُ، فيبغِضُه جبريلُ، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوهن قال: فيبغضونه، ثم توضع البغضاءُ في الأرض**»[٢].

---

(١) كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل: (١٣/ ٣٨٧).

(٢) كتاب البر والصلة: ح٢٦٣٧، (٤/ ٢٠٣٠).

وفي «مسلم» أيضًا ذكر هذه الصورة العملية للحب، فعن سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة، فمرَّ عمرُ بنُ عبد العزيز وهو على الموسم، فقام الناسُ ينظرون إليه، فقلتُ لأبي: يا أبتِ إني أرى الله يحبُّ عمرَ بنَ عبد العزيز، قال: وما ذاك؟ قلتُ: لِمَا له من الحبِّ في قلوب الناس، قال: فأنبِّئك؟ إني سمعتُ أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ.. ثم ذكر الحديث السابق[1]، وأخرجه الترمذيُ بمثل حديث مسلم وزاد: فذاك قولُ الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[2].

اللهم اجعلنا من أحبابك، ووفقنا لطاعتك وحسن عبادتك، وثبِّتنا إلى أن نلقاك وأنت راضٍ عنا يا ذا الجلال والإكرام.. هذا وصلوا.



(١) السابق (٤/ ٢٠٣١).

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٦، «جامع الأصول» (٦/ ٥٥٥).

الرحمة(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين الرحمن الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، أحاط بكل شيء علمًا، ورحمتُه وسعت كلَّ شيء، ورحمة ربِّك خيرٌ مما يجمعون.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه وأحرصَ الناس على هداية أمته، وجاء في صفته: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، الذين كانوا رحمةً مهداةً من الله لأممهم، أنقذ اللهُ بهم من شاء من الغواية إلى الهدى، ومن دركات الجحيم إلى درجات الجنان، ومن يُضلِلِ اللهُ فما له من هاد، وارضَ اللهم عن آلِ محمد المؤمنين وعن صحابته أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأما بعد: فاتقوا الله معاشر المسلمين امتثالًا لأمر الله ووحيه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣).

أيها المسلمون: والرحمةُ كلمة نديَّةٌ، رخية في لفظها، وهي ذاتُ مفاهيم ومدلولات كبيرةٍ في معناها، بها ينتشر الودُّ، ويتحقق الإخاءُ، ويسود القسط. وبالرحمة تُرعى كرامةُ بني الإنسان، وينتشر العدل، بها تستعلي النفوسُ إلى

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٤/ ٧/ ١٤١٨هـ.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨. (٣) سورة الزمر، الآية: ١٠.

أصل فطرتها، وبفقدها يهوي الإنسانُ وترتكسُ فطرتُه إلى منازل الجماد الذي لا يعي ولا يهتز.

أجل إن الرحمة كمالٌ في الطبيعة، وجمالٌ في الخلُق، يَرِقّ صاحبُها لآلام الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم وجنوحهم، فيترحم عليهم ويتمنى لهم الهداية والرحمة.

أما القسوة فتبلُّدٌ في الحس، وارتكاسٌ في الخُلُق، وغلظةٌ في الطبع، وغرور وكبرياء، لا يكاد تفكيرُ أصحاب هذا الطبع أن يتجاوز دوائرهم الضيقة، وذواتهم المريضة. بالرحمة أو خلافها يتميز الناسُ إلى رحماءَ يرحمهم الرحمان، وقساةِ قلوبٍ لهم الويلُ في الحياة وبعد الممات.

إخوة الإسلام: ويطيبُ الحديثُ عن الرحمة في كل آنٍ، ولكنه يجمل ويتأكد حين يستعلي الكبراء، ويتغطرس الأقوياء، حين تبقى فئةٌ من البشر تتحكم في الموارد والأرزاق، فتعطي وتشترط، وتمنع وتحاصر، تهدد بالحصار العسكري تارة، وبالحصار الاقتصادي أخرى، وبين هذا وذاك تعملُ بكل ما أوتيت من قوة في سبيل الحصارِ الفكري والتعبير الثقافي في المجتمع العالمي.

وحين تفقد الرحمةُ تموت آلافٌ من الأطفال حتف نفسها جوعًا أو عريًا - وتشردُ آلافٌ أخرى من البشر عن ديارها وتُباح لغيرها ظلمًا وعدوانًا، ويُعتدى على النساء بغيًا، بل وتبقر بطونُ الحوامل لاستخراج ما في أرحامها همجيةً وحقدًا!

أين هذا من شرع السماء وهدي الأنبياء ﷷ؟! والرحمةُ في أفقها الأعلى صفةٌ من صفات الربِّ تبارك وتعالى، وملائكةُ السماء تشهد بذلك وتتضرع إلى خالقها: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[1].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧.

بل اللهُ أرحمُ الراحمين، ويشهد برحمته كلُّ من قرأ: «الرحمن الرحيم» أو يقرأ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١].

إنها رحمةٌ من يقتدر على الأخذ بقوة: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٢].

وهي رحمةٌ لا يستطيع كائنٌ إمساكًا لها أو إرسالًا: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣].

أيها المسلمون: ورحمةُ ربي شاملةٌ للحياةِ والأحياء لبني الإنسان والجن والحيوان، للمتقين والفجار، للأولين والآخرين، وفي الدنيا والآخرة.

وظواهر هذه الرحمة يدركها من يتأمل كتاب الله أو ينظرُ في ملكوت الله.

ومن مظاهرها: تسخيرُ الكائنات: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤]. ﴿رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٥].

ويمتد التسخيرُ للمركوب والمأكول، ويربط ذلك برحمة الله كما قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦].

ومن مظاهر الرحمة: رفعُ البلاء، وإن جحد المُبتلون: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ﴾[٧]. ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٣.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٦.

(٦) سورة النحل، الآيات ٥-٨.

(٧) سورة يونس، الآية: ٢١.

هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[١].

وفرق بين من يُقال عنهم: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢]، وبين من قيل عنه: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[٣].

أجل إنها رحمةٌ وذكرى كما قال ربنا، ولكنها لمن؟ للعابدين.

عباد الله: ومن مظاهر رحمة الله رفعُ الحرج لمن به عِلَّةٌ أو حاجةٌ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

ومن مظاهرها: قبولُ التوبة للمذنبين: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٦]، وليست قصرًا على آدم وحده، بل تشمل غيره: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٧]، ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٨].

يا أخا الإسلام: وهل علمت أن هبةَ اللهِ الأهل، والذرية الصالحة من رحمة الله ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[٩]، ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ

(١) سورة يس، الآيتان: ٤٣، ٤٤.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٣، ٨٤.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٩١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٧.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٧٤.
(٨) سورة يوسف، الآية: ٩٢.
(٩) سورة مريم، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

زَكَرِيَّآ﴾[١]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢].

وأن إنزال الغيث رحمةٌ من الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾[٣]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾[٤].

تُرى أيُّ حدٍّ لرحمةِ الله، وتقديرُها أزليٌّ في كتاب عنده فوق العرش! كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لما خلق اللهُ الخلقَ كتب في كتابه، فهو عنده فوقَ العرشِ: إنَّ رحمتي تغلبُ غضبي**» رواه البخاري ومسلم[٥].

وأثرها يمتد من الدنيا إلى الآخرة، وهو في الآخرة أعظم، والحاجة إليها أكبر فقد صحّ عنه ﷺ: «**إن للهِ مئةَ رحمةٍ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنِّ والإنس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون، وفيها يتراحمون، وبها تعطف الوحشُ على ولدِها، وأخَّرَ اللهُ تسعًا وتسعين رحمةً يرحمُ بها عبادَه يوم القيامة**»[٦]. رواه مسلم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٧].

نفعني الله وإيّاكم بِهدْي كتابه.

❊ ❊ ❊

(١) سورة مريم، الآية: ٢.
(٢) سورة ص، الآية: ٤٣.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الروم، الآية: ٤٦.
(٥) «جامع الأصول» (٤/ ٥١٨، ٥١٩).
(٦) «جامع الأصول» (٤/ ٥٢٠).
(٧) سورة يونس، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين صاحبِ الفضل والإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شمل بفضله ورحمته الإنس والجان والمتقين والفجار، وشهد جوده وآلاءه أولو الألباب، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، ناله من رحمة ربِّه ما ألان قلبه لمن حوله فاجتمعوا إليه، ولو كان فظًّا غليظًا لانفضُّوا من حوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أيها المسلمون: وإذا كانت الرحمة بمفهومها العام شاملةً للخلق حتى تقوم الحياةُ ويُبتلى الأحياءُ، ويتميز الشاكرون المؤمنون عن الكافرين الجاحدين، فثمة نوعٌ من الرحمة رجّح ابن القيم أنّ المقصود بها النعمة، فرحمته: نعمته. ثم قال: فالهدى والفضل، والنعمة والرحمة متلازمان، لا ينفكُّ بعضها عن بعض[(١)].

ونقل القرطبي عن السلف تفسير فضل الله بالقرآن، والرحمة بالإسلام. عن أبي سعيد الخدري وابن عباس: فضل الله: القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله. وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن[(٢)].

هذه الرحمة ينالها طائفةٌ من عباد الله بعمل الصالحات والمجاهدة والإحسان، والمتتبعُ لآيات القرآن يجد بيان ذلك واضحًا.. فبم تنال هذه الرحمةُ؟ إن مما تُنال به الرحمةُ المجاهدةَ في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[(٣)]، ﴿ثُمَّ

---

(١) «الفوائد» (١٧٠، ١٧١).
(٢) «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٥٣).
(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٢٠، ٢١.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

كما تنال الرحمةُ بالصبر: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(٢).

وتُنال بالإحسان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣)، ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

وتنال الرحمةُ بالإيمان والتقى والطاعة لله والرسول وأداء الواجبات: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٥)، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾(٦)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾(٧).

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾(٨) الآيات.

كما أنّ للقانتين آناء الليل كفلًا من رحمته: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٩).

عباد الله: ومن علائم السعادة أن تسود الرحمةُ مجتمع المسلمين إذا شقي غيرُهم بالغلظة والأنانية والجفاء، ورحمةُ الخلق سببٌ لرحمة الخالق، قال عليه

---

(١) سورة النحل، الآية ١١٠.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٦، ١٥٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.
(٤) سورة النمل، الآية: ١١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٥٧.
(٧) سورة الحديد، الآية: ٢٨.
(٨) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٦، ١٥٧.
(٩) سورة الزمر، الآية: ٩.

الصلاة والسلام: «**الراحمون يرحمُهم الرحمنُ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمُكم مَنْ في السماءِ . .**» رواه أبو داود والترمذي وهو صحيح بشواهده[(١)].

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما: «**لا يرحم اللهُ من لا يرحمِ الناسَ**»[(٢)].

إن نزع الرحمة من علائم الشقاء كما قال المصطفى ﷺ: «**لا تنزعُ الرحمةُ إلا من شقيٍّ**». حديث حسن أخرجه الترمذي وأبو داود[(٣)].

وإذا كانت القسوة في خُلق الأفراد دليلَ نقصٍ كبير، فهي في تاريخ الأمم دليلُ فسادٍ خطير، وهي علةُ الفسوق والفجور كما قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[(٤)].

أيها المسلم والمسلمة: إن أحدنا قد يهشُّ لأصدقائه حين يلقاهم، وبكل تأكيد يَرِقّ لأولاده وأحبائه حين يراهم، وتلك جوانبُ من الرحمة، بيد أن المفروض في المؤمن أن تكون دائرةُ رحمته أوسع، فهو يبدي بشاشتَه، ويظهر مودَّتَه واحترامه لعامة المسلمين[(٥)].

فالمؤمنون إخوة، وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة، وأقرب الناس منزلةً من الرسول ﷺ أحاسنهم أخلاقًا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير في من لا يؤلف.

بل شملت الرحمةُ في الإسلام الحيوان فضلًا عن الإنسان، فقد شكر اللهُ

(١) «جامع الأصول» (٤/ ٥١٥).
(٢) السابق (٥/ ٥١٦).
(٣) السابق (٤/ ٥١٦).
(٤) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٥) الغزالي «خلق المسلم» ٢٥٥.
وفي هذا الكتاب كلام جميل عن الرحمة، وقد استفدت منه في هذه الخطبة.

وغفر للرجل أو المرأة البغي الذي سقى الكلب الذي كان يأكل الثرى من العطش. متفق عليه[١]. ودخلت النار امرأةٌ بسبب هرَّةٍ ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض. متفق عليه[٢].

وإذا انتكست الفطرُ سُحق الإنسانُ، وبات يحوم حول المزابل بحثًا عن طعامٍ أو شراب، أو شُلَّت أعضاؤه من ويلات الحروب وقنابل الدمار، هذا إن كان في عداد الأحياء. وباتت القططُ والكلابُ مدللةً إلى حَدِّ الترف في المطعم والمشرب والمسكن، وملازمةً لأصحابها في الحلّ أو الترحال، وأين هذا والرحمةُ في شريعة الإسلام؟!

أيها المؤمنون: وليس من الرحمة في الإسلام تركُ الأدب لمن به حاجةٌ إليه، حتى وإن بدا فيه قسوةٌ على المؤدب ظاهرًا.

فقسا ليزدجروا ومن يكُ راحمًا فليقْسُ أحيانًا على من يرحمُ

وليس من الرحمةِ تعطيلُ حدود الله على من يقترف محظورًا يستحق العقاب: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ﴾[٣].

ومن بلاغة القرآن أن عبّر عن قتل القصاص بالحياة لما في ذلك صيانة الأحياء واستمرار الحياة: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤].

إن الرحمة يا عباد الله -في الإسلام- ليست حنانًا لا عقل معه، أو شفقةً تتنكر للعدلِ والنظام، كلا إنها عاطفةٌ متّزنة ترعى الحقوق كلّها وتقيم وزنًا

---

(١) «جامع الأصول» (٤/ ٥٢٣).
(٢) السابق (٤/ ٥٢٥).
(٣) سورة النور، الآية: ٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

لمصلحة الفرد والمجتمع والأمة.. وبهذه وتلك فاقت رحمةُ الإسلام كلَّ رحمة، وانتشر صيتُ رحمة المسلمين في الآفاق، ودخلت أممٌ في الإسلام لم يقهرها السيف، ولم يستهوها الدرهمُ والدينار - لكنها القناعةُ بشريعة الإسلام والإعجابُ بأخلاق المسلمين.. على حين أفلست الحضارةُ المادية المعاصرة رغم تشدقها بالعبارات الخادعة، لم يشفع لها بريق الهيئات والمنظمات الكاذبة.. فحقوقُ الإنسان. ومنظماتُ العدل الدولية، وهيئاتُ الأمم.. وما شاكلها، كلُّ هذه وتلك عند واقع الحال وحين يتعلق الأمر بالمسلمين بالذات، ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخًا صولةَ الأسدِ؟

وما أحوج الدنيا إلى شرع السماء وهدي الأنبياء، وتلك مسؤولية المسلمين شعوبًا وحكومات: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[1].

اللهم أصلح أحوال المسلمين وردّهم إليك ردًّا جميلًا.

اللهم هبَّ لنا من رحمتك ما تصلح به أحوالنا في الدنيا، وترحمنا يوم العرض عليك في الآخرة؛ فأنت أرحم الراحمين.



(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

وصايا لقمان وسنن وبدع شعبان(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسولُه، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأما بعدُ: فاتقوا الله معاشر المسلمين واعلموا أن تقوى الله أقومُ وأقوى، وهي للخير قائدٌ ودليل، وعن الشرِّ سياجٌ منيع، هي وصيةُ الله لكم فاعقلوها واعملوا بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٣).

أيها المسلمون: وفي وصايا لقمان الحكيم متسعٌ للحديث، وفيها عبرٌ ودروس للأبناء والآباء. وحيث مضى التعريفُ بلقمان، ووصيتُه لابنه بالبعد عن الشرك بالله لعظيم خطره، وتنبيهُهُ لمراقبة الله، وبيانُ شيء من قدرته، فلا يزال لقمانُ يوصي ابنه بإقامة الصلاة: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٤) والصلاةُ صلةٌ بين العبد

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٢/٨/١٤١٨هـ.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٨. (٣) سورة النساء، الآية: ١.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٧.

وخالقه، وفيها عونٌ للمرء على حوائج دينه ودنياه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾(١)، ولم تكن الوصية بالصلاة قصرًا على الحكماء، بل أُوصي بها الأنبياءُ، وأُمر بها المرسلون ﷺ: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(٢)، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾(٣)، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾(٤).

وأمر بها المرسلون أهليهم وأممهم: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾(٥)، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ﴾(٦).

وفي ساحات الوغى لم يُعذر المسلمون بترك الصلاة، بل نزل تشريعُ صلاة الخوف، ثم قيل لهم: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(٧).

أيها المسلمون: ويبلغ الاهتمامُ بالصلاة عند عباد اللهِ الصالحين إلى درجة تُنحر الجيادُ من الخيل، إذا ألهت عن الصلاة في وقتها، ولو كان عددُها كثيرًا، ولو كان الهدفُ منها جليلًا، وكذلك أثنى اللهُ على سليمان عليه السلام وأعاضه عن الخيل بالريح المسخرة، فكان يقطع عليها من المسافة في يومٍ ما يقطع مثله على الخيلِ في شهرين غدوًّا ورواحًا(٨).

أيها المتكاسلون عن أداء الصلاة في وقتها، اسمعوا ثناء الله على سليمان عليه السلام بشأن الصلاة: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.
(٢) سورة مريم، الآية: ٣١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.
(٤) سورة الكوثر، الآية: ٢.
(٥) سورة مريم، الآية: ٥٥.
(٦) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٠٣.
(٨) تفسير القرطبي: ١٩٦/١٥.

رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[١].

واستمر للصلاة وزنُها وقيمتُها عند الأخيار على تعاقب الأجيال، واعتبرها العلماءُ ميزانًا لأخذ العلم عن الرجال أو تركه، وهذا أبو العالية الريحاني العالمُ الثقة كان يرحل لسماع الحديثِ عند بعض أهله، فإذا وصل إلى صاحب الحديث أخذ يتفقد صلاته، فإن وجده يحسن صلاته أقام عنده، وإن وجد فيه تضييعًا رحل ولم يسمع منه وهو يقول: من ضيّع الصلاة فهو لما سواها أضيع[٢].

عباد الله: ولقد أوصى لقمان ابنه بإقام الصلاة، وليس مجرد أدائها وإقامتها، أي: بحدودها وفروضها وأوقاتها[٣].

والويلُ لمن هُمْ عن صلاتهم ساهون: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٤]، والحذر الحذر يا عبد الله أن تكون ممن قال اللهُ فيهم: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[٥]، وليس من الرحمةِ للأبناء ضعفُ أمرهم بالصلاة، إذ كانوا نائمين - أو كان الجو باردًا، أو الليل قصيرًا.

أيها المسلمون: وحين يبلغُ لقمانُ في وصيته لابنه هذا المبلغ فيربِّيه على عدم الإشراكِ بالله، وعلى دوام المراقبة والخوف من الجليل ودوام الصلة والعبادة.. فهو لا يقصره على ذلك، بل يُعلمُه نشر الخير للآخرين ويقول له: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٦]، وكذلك تُربى النفوسُ على حبِّ الخير

---

(١) سورة ص، الآيات: ٣٠-٣٣.
(٢) «أبطال ومواقف»، عقيلان: ١٩٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٧١٠.
(٤) سورة الماعون، الآيتان: ٤، ٥.
(٥) سورة مريم، الآيتان: ٥٩، ٦٠.
(٦) سورة لقمان، الآية: ١٧.

والدعوة إليه، وكذلك أثنى اللهُ على هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١).

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتحقق الفلاحُ للآمر والمأمور، وتُصان سفينةُ المجتمع من الغرق، هو علامةُ خير، ودليلُ الإيمان، وهو مؤشِّرٌ للغيرة على دين الله وحرماته، والذين يرون المنكراتِ تسري في المجتمعات، فلا تتمعَّر وجوهُهم لله .. أولئك في إيمانهم ضعف، وفي إحساسِهم نوعٌ من التبلُّد، والذين بإمكانهم أن يشيعوا الخير ويأمروا بالمعروف ثم لا يفعلوا، أولئك محرومون من فضلِ الله، فالكلمةُ الطيبةُ صدقة، ولئن يهدي اللهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النعم، ولئن اختص اللهُ بهداية القبولِ والتوفيق للخير، فهدايةُ الدلالةِ والإرشادِ بوسع البشر أن يؤدوها، ولولا ذلك لتعطلت نصوصُ الشرع في الأمر والنهي والدعوة والجهاد في سبيل الله، فصححوا الفهم الخاطئ، وفرقوا بين هداية التوفيق والقبول، وهداية الدلالة والإرشاد.

إخوة الإيمان: وإذا تعاظم أجرُ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والداعين للخير والناهين عن الشر... فذلك أمرٌ لا تطيقه بعضُ النفوس لأنه محتاج للصبر والمصابرة على التواءِ النفوس وعنادِها، وانحراف القلوب وإعراضها، ويقلُّ من الناس من يصبرُ على الأذى، تمتدُّ به الألسنة، وربما امتدت به الأيدي، أو يصبرُ على الابتلاءِ في المال أو النفسِ أو الأهل والولد عند الاقتضاء.

ولهذا لم ينس لقمانُ وصيةَ ابنه بالصبرِ على ما يصيبُه في طريق الخير: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.   (٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

ويخطئ الذين يظنون أن بإمكانهم أن يدعوا للخير وينهوا عن الشرِّ ثم تسلم أعراضُهم.. أو لا يصيبهم ضرٌّ في أنفسهم أو أهليهم أو أموالهم، أو مصالحهم المادية بعامة.. وإذا لم يسلم الأنبياءُ والمرسلون فغيرُهم من باب أولى.. وصدق الله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

ولكن عزاءَ الصابرين على الدعوة للخير أن العاقبة حميدة، فالعاقبة للمتقين، كما حكم ربُّنا، وأن ذلك من عزم الأمور كما قال تعالى في وصايا لقمان: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[2].

قال ابنُ عباس في تأويل ذلك: يعني من حقيقة الإيمان الصبرُ على المكاره[3].

أيها الداعي للخير: وإذا أردت أن تروِّضَ نفسك على هذا الطريق فاقرأ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[4]، وتأمل قوله ﷺ وهو يحكي نبيًا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومُه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفرُ لقومي فإنهم لا يعلمون**»[5]. متفق عليه.

ولكن ذلك لا يعني بحال أن تُعرِّض نفسك للبلاء فوق ما تطيق أو تستحمل الخطأ، أو تُذل نفسك، فقد نهى عن ذلك المصطفى ﷺ حين قال: «**لا ينبغي لمؤمنٍ أن يُذلَّ نفسَه: يتعرض للبلاء ما لا يطيق**» رواه أحمد والترمذي

---

(١) سورة العنكبوت: الآيتان ٢، ٣.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.
(٣) «تفسير القرطبي» (١٤/ ٦٩).
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٢.
(٥) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: (٦/ ٥١٤)، مسلم، كتاب الجهاد والسِّير غزوة أُحد: (٣/ ١٤١٧).

وابن ماجه عن حذيفة بسند صحيح[١].

عباد الله: ولا بد مع الصبر على المكاره من عدم الكبر والخيلاء، وتلك واحدة من وصايا لقمان لابنه، فالدعوةُ للخير لا تجيز التعالي على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم للخير، ومن باب أولى أن يكون التعالي والتطاولُ بغير دعوةٍ إلى الخير أقبح وأرذل[٢].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٣]. أي: لا تتكبر فتحتقر عباد الله أو تعرض عنهم بوجهك إذا كلموك[٤]، ولا يظهر في مشيتك الكبرُ والخيلاء... وتذكر أن بدايتك من ماءٍ مهين، وأنك مهما بلغت من الجاه والسلطان، واجتمع لك من الأموال والأولاد فنهايتُك إلى التراب، وقد قيل: أن القبر يكلم صاحبه إذا وُضع فيه ويقول: يا ابن آدم ما غرّك بي، ألم تعلم أني بيتُ الوحدة، ألم تعلم أني بيتُ الظلمة، ألم تعلم أني بيتُ الحق. يا ابن آدم ما غرّك بي، لقد كنت تمشي حولي فدَّادًا - والمعنى: ذا مالٍ كثير وذا خيلاء.

فهل يتكبر العقلاءُ الذين يتذكرون المبدأ والمنتهى؟

ألا إن في آيات الذكر عبرة.. وفي وصايا لقمان عظة ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾[٥].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه ﷺ.. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله.

---

(١) صحيح الجامع: ٦/ ٢٥٣.
(٢) «الظلال» (٥/ ٢٧٩٠).
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٨.
(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧١٠).
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أمر بالعدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

عباد الله: وحين ينهى لقمان ابنه عن التكبُّر والخيلاء في الهيئة أو المِشية، وفي التعامل مع الناس أو تعاظم النفس وغرورها وعُجبِها، فهو يأمرُه بالاعتدال في مشيه والقصد فيه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾[(١)]، والمعنى: امشِ مشيًا مقتصدًا ليس بالبطيءِ المتثبِّط، ولا بالسريع المفرط، ومشية متواضعة، هي وسطٌ بين مشيةِ المرحِ والبطرِ والتكبر، ومشية التماوتِ والتباطُؤ، فالمشيةُ المحمودةُ وسط بين مشيتين مذمومتين، وعلى المربين أن يعوا هذه اللفتة التربوية، فيمنعون ما يحرم، ويقدمون البديل الحلال، كما أن عليهم نزع الخلقِ المذموم قبل إعطاء البديل المحمود، فالتخليةُ قبل التحلية كما يُقال.

أيها المسلمون: ولا ينسى لقمانُ - في وصاياه لابنه - أن يعلمه أدبَ الحديث إذا نطق: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[(٢)]، والغضُّ من الصوت فيه أدبٌ وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعقُ أو يُغلظ في الخطابِ - دون حاجة - إلا سيِّئ الأدب، أو شاكٌّ في قيمة قوله، أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق[(٣)].

وحتى يَقْبَح رفعُ الصوتُ ويُستهجن إغلاظه يُضرب لذلك مثلٌ تشمئز منه

(١) سورة لقمان، الآية: ١٩.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٩.
(٣) «الظلال» (٥/ ٢٧٩٠).

النفوسُ، إنه صوتُ الحمار: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[١]، فعلوُّ صوت الحمار لم يُحسنه بل قبَّحه وشانه، ولذلك ينبغي أن يخفض العقلاء أصواتهم حين حديثهم... وما من شك أن الكلمة الطيبة تبلغ مبلغها وينفع اللهُ بها - وإن كانت هادئة - والكلمة الخبيثةُ تُضِلُّ وتسيء وإن بالغ أصحابُها في رفع أصواتهم،... وإذا عُدَّ في مساوئ الآداب أن يجري ذكرُ الحمار في مجالس الكرماء... أفيليق التشبه به برفع الصوت في النُّطق، ذلك توجيه ينبغي أن يعيه الآباء والأبناء.

وبعدُ: أيها المؤمنون - فهذه وصايا نافعةٌ جدًا، وهي من قصص القرآن عن لقمان الحكيم ليتمثلها الناسُ ويقتدوا بها كما قال الحافظُ ابن كثير[٢].

ألا ما أحوج الآباء والمربين إلى الوقوف عندها طويلًا لفهمها والعمل بمقتضاها، وخليق بمن أوصى بهذه الوصايا أن يكون مخصوصًا بالحكمة، مشهورًا بها - وخليق بالعقلاء أن يستفيدوا من حكم الحكماء.. كيف لا وقد أصبحت قرآنًا يُتلى، وتوجيهًا إلهيًا.. فهل يعقل الآباءُ هذه الوصايا.. وهل يستفيدُ الأبناءُ منها، ذلك هو المؤملُ والمرتجى، والله من وراء القصد.

أيها المسلمون: وأنتم تعيشون شهرَ شعبان، فيحسن التذكيرُ بشيء مما جاء فيه عن رسول الهدى عليه الصلاة والسلام.

فقد كان من هديه ﷺ كثرةُ الصيام في شعبان. فقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله، عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: «لم يكن النبيُّ ﷺ يصوم شهرًا أكثر من شعبان، فإنه كان يصومُ شعبان كلَّه...»[٣].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٩.
(٢) «التفسير» (٣/ ٧٣٥-٧٣٧).
(٣) «جامع الأصول» (٦/ ٣١٧).

وأخرج النسائيُّ -بسند حسنٍ- من حديث أسامةَ بن زيد رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله: لم أرك تصوم شهرًا من الشهور ما تصومُ من شعبان! قال: «**ذلك شهرٌ يَغْفَلُ الناسُ عنه بين رجبَ ورمضانَ، وهو شهرٌ تُرفعُ فيه الأعمالُ إلى ربِّ العالمين، فأحبُّ أن يرفعَ عملي وأنا صائم**»(١) ولمزيد توضيح ذلك قال ابنُ القيم يرحمه الله في «تهذيب السنن»:

وفي صومه ﷺ شعبان أكثر من غيره ثلاثُ معان:

أحدها: أنه كان يصومُ ثلاثة أيامٍ من كل شهرٍ، فربما شُغل عن الصيام أشهرًا، فجمع ذلك في شعبان ليدركه قبل صيام الفرض.

الثاني: أنه فعل ذلك تعظيمًا لرمضان، وهذا الصومُ يُشبه سنة فرضِ الصلاة قبلها تعظيمًا لحقها.

الثالث: أنه شهر ترفع فيه الأعمالُ، فأحبَّ ﷺ أن يُرفعَ عملُه وهو صائم، ثم يقول: والحديثُ يدل على فضل الصوم في شعبان. وقولُ عائشة: «وكان يصوم شعبان كلَّه» المرادُ بالكلِّ: أكثرُه، كما جاء في الرواية الأخرى: «كان يصومُ شعبان إلا قليلًا».

إلى أن يقول: ولا تعارض بين هذه الأحاديث، وبين أحاديث النهي عن تقدم رمضان بصوم يومٍ أو يومين، وحديث: «**إذا انتصف شعبانُ فلا تصوموا**» وهو حديث على شرط مسلم، بأن يُحمل النهيُ على من لم تكن له عادةٌ في الصيام من أول شعبان، فجاء النصفُ الثاني وأراد أن يصوم هذا في التطوع، أما إن كان عليه قضاءٌ أو نذرٌ فيجوز له القضاءُ ولو بعد النصف الثاني.

وأحاديثُ الجواز تُحمل على من اعتاد الصوم من أوله، ولذلك قال ﷺ: «**إلا**

---

(١) «جامع الأصول» (٦/ ٣١٩)، الصحيح المسند من أحكام الصيام: ٣٧.

رجلًا كان يصوم صومًا فليصمْهُ» متفق عليه. انتهى كلامه يرحمه الله[١].

أيها المؤمنون: وحتى لا تختلط السُّنةُ بالبدعة، فلا بد من الحذر من تخصيص يوم النصف من شعبان بالصيام، أو الاجتماع ليلة النصف منه للصلاة، وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية يرحمه الله: «فأما صومُ يوم النصف مفردًا فلا أصل له، بل إفرادُه مكروه، وكذلك اتخاذُه موسمًا تُصنع فيه الأطعمة، وتُظهر فيه الزينةُ، هو من المواسم المحدثة المبتدعة التي لا أصل لها، وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف من الاجتماع العام للصلاة الألفية -هي التي تقرأ فيها بـ: «قل هو الله أحد» ألف مرة- في المساجد الجامعة، ومساجد الأحياء والدروب والأسواق، فإن هذا الاجتماع لصلاة نافلةٍ قصيرةٍ بزمان وعدد وقدر من القراءة لم يشرع مكروه، فإن الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوعٌ باتفاق أهل العلمِ بالحديث.. إلى آخر كلامه يرحمه الله[٢].

والشيخُ -يرحمه الله-، قبل ذلك أبانَ عن فضل ليلة النصف من شعبان... ومن كان من السلف يخصها بالصلاة، ومن كان يكره ذلك ويطعن في الأحاديث الواردة فيها... ثم قال: لكن الذي عليه كثيرٌ من أهل العلم أو أكثرهم من أصحابنا وغيرهم على تفضيلها، وعليه يدل نص أحمد[٣].

ألا فاستمسكوا -عباد الله- بالهدي والسنن، واحذروا البدع ومحدثات الأمور... فإنَّ كلَّ محدثة في دين الله بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار... وفي السنن كفايةٌ عن البدع... والشيطانُ حريصٌ على ابتداع المبتدعين... وربما نشطهم لها ويثبطهم عن إتباع السنة.

---

(١) «تهذيب السنن» (٧/ ٩٩)، «عون المعبود عن الصحيح المسند من أحكام الصيام» محمد السلفي: ٣٦.

(٢) في «الاقتضاء» (٢/ ٦٣٢).

(٣) السابق (٢/ ٦٣١).

وليس يخفى أن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدوًا . . . وإياكم والتعبد محاكاةً وتقليدًا . . . فمن عمل عملًا ليس عليه أمر الرسول ﷺ فهو ردّ . . . والله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا صوابًا . . . اللهم وفقنا لإتباع السنن، وهجر البدع - واسلك بنا سبيل الهداة المهتدين، وجنِّبنا طرائق الضالّين المضلِّين.



الحسبة والمحتسب[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر أنبياء الله ورسله، وارضَ اللهم عن أصحابه أجمعين وتابعيهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

عبادَ الله: ثبت من حديث المصطفى ﷺ أن هذه الأمة متممةٌ لسبعين أُمة قبلها... وهي خيرُها: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرمها على الله ﷻ**».

ولكن هذه الخيرية بشروط ومواصفات، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر في مقدمتها، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ الآية[4].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٢/٦/١٤١٩هـ.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

وفي موطِنٍ آخرَ من كتاب الله، قُدِّم الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر على عمود الإسلام الصلاة، وأعظم ركنٍ بعد الشهادتين، وعلى الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، فقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، فما السرُّ؟ وما المعنى يا تُرى في تقديم الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر تارةً على الإيمان، وتارة على الصلاة والزكاة ونحوها؟

قال سماحةُ الشيخ ابنُ باز رحمه الله: لا شك أنه قُدِّم لعظم الحاجة إليه، وشدةِ الضرورة إلى القيام به، ولأن بتحقيقه تصلح الأمةُ ويكثرُ فيها الخير، وتظهرُ فيها الفضائل، وتختفي فيها الرذائل... وبإضاعته والقضاء عليه تكون الكوارثُ العظيمة، والشرورُ الكثيرة، وتفترق الأمة، وتقسو القلوبُ أو تموت... ويُهضم الحقُّ، ويظهر صوتُ الباطل[2].

أيها المسلمون: ولا غَرْوَ بتقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ هما شاملان للدعوة لكل خير، والتحذير من كل شر، وذلك أساسُ دعوة الرسل، ولأجله أنزلت الكتب. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله: الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله[3].

وجاء النصُّ عليه في وصف رسالة محمدٍ ﷺ بقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[4].

إنه الوثاق المتين الذي تتماسك به عرى الدين، وتحفظ به حرماتُ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) «وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، ص٤، نشر دار طليطلة.

(٣) «الاستقامة» (٢/ ١٩٨، ١٩٩). (٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

المسلمين، وتظهر أعلامُ الشريعة، وتغشو أحكام الإسلام، وبارتفاع سهمه يعلو أهلُ الحق والإيمان، وينكدحر أهل الباطل والفجور، يورث القوة والعزةَ في المؤمنين، ويُذلُّ أهلُ المعاصي والأهواء، وتُرغم أنوفُ المنافقين.

قال سفيان رحمه الله: «إذا أمرتَ بالمعروف شددتَ ظهر أخيك، وإذا نهيتَ عن المنكر أرغمتَ أنف المنافق»(١).

يا عباد الله: وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتميز أهل الإيمان عن المنافقين، فمِنْ سيما المؤمنين: الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٢) الآية...

ومن علامات المنافقين والمنافقات: أمرُهم بالمنكر ونهيُهم عن المعروف: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾(٣).

إياك يا أخا الإيمان أن تخرج عن دائرة المؤمنين بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذا يقول الغزالي: فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارجٌ عن هؤلاء المؤمنين(٤).

وإياك أن تظنَّ أن تركَ الأمرِ والنهي من الكياسةِ والبعد عن الفضول، فتلك من عدوى مخالطة أهل النفاق لأهل الإيمان، وفي هذا يقول الإمامُ أحمدُ يرحمه الله: إن المنافق إذا خالط أهل الإيمان فأثمرت عدواه ثمرتها صار المؤمنُ بين الناس معزولًا؛ لأن المنافق يصمت عن المنكر وأهلِه، فيصفه الناسُ بالكياسة والبعدِ عن الفضول، ويسمون المؤمن فضوليًّا(٥).

---

(١) صالح بن حميد، «توجيهات وذكرى» (١/ ٤٦).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٤) ابن حميد، «ذكرى» (١/ ٤٦).

(٥) ابن حميد، «ذكرى» (١/ ٤٧).

أيها المسلمون: وتتعاظم مسؤوليةُ المسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلما تعاظم الفسادُ وكثر المفسدون، وكلما قلَّ عددُ المنكرين، أو ضعف أثرُهم، أو كان حجمُ الشرِّ والفساد فوق طاقتهم، أو تعجزُ عن الإحاطةِ به إمكاناتُهم.

وإذا كان العلماءُ قد قرروا وجوبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأجمع السلفُ وفقهاءُ الأمصار على وجوبه - كما نقل الجصاصُ وغيرهُ[(١)].

فقد قرروا كذلك أنه فرضٌ على الكفاية - إذا قام به من يكفي، سقط الإثم عن الباقين.

وهنا يرد السؤال: وما الحكمُ إذا لم يقمْ بواجب الأمر والنهي من يكفي؟ لقد قرر أهلُ العلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يتحول إلى الوجوب العيني على كل فرد، ويأثُم كلُّ قادرٍ عليه ولم يقم بواجبه، وفي هذا يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله: «فإذا لم يقمْ به من يقوم بواجبه، أثِمَ كلُّ قادرٍ بحسب قدرته، إذ هو واجبٌ على كلِّ إنسان بحسب قدرته»[(٢)]... ويقول سماحةُ الشيخ عبدُ العزيز بنُ باز يحفظه الله: وقد يكون هذا الواجبُ فرض عينٍ على بعض الناس إذا رأى المنكرَ وليس عنده من يُزيله غيرَه.. وإذا لم يكن في البلد أو القبيلة إلا عالم واحدٌ وجب عليه عينًا أن يُعلِّم الناسَ ويدعوهم إلى الله، ويأمرَهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حسب طاقته[(٣)].

يا أخا الإسلام: ولستَ أغيرَ من الله على شرعه ومحارمه... ولكنك ممتحنٌ في غيرتك لشرعِ الله ودينه حين ترى منكرًا يسري بين الناسِ وأنت قادرٌ

(١) «أحكام القرآن» (٢/ ٥٩٢)، ابن حزم: «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٧١).
(٢) «الاستقامة» (٢/ ٢٠٨). (٣) «وجوب الأمر بالمعروف»: ١٥.

على إزالته، أو ترى أصحاب منكر يتطاولون بمنكراتهم، ويفتنون الناسَ بباطلهم وأنت قادرٌ على الإخبار عنهم إن لم تستطع نهيهم، هنا ينكشف إيمانك، وتمتحن غيرتك لدين الله وشرعه، فهل تنضم إلى قافلة المؤمنين الذين علمت أن من صفاتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أم تلوذ بالمعاذير، وتبحث لنفسك عن المبررات، ثم ترضى لنفسك أن تكون في عداد موتى الأحياء، وقد قيل لابن مسعود رضي الله عنه: من ميتُ الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا. ثم يعلق ابنُ تيمية على قول ابن مسعود بقوله: وهذا هو المفتون الموصوفُ بأن قلبه كالكوز مجخِّيًا، كما في حديث حذيفة في «الصحيحين»[(١)].

أيها المسلمون: والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر واجبُنا جميعًا - وكلٌّ بحسبه، إن في بلده، أو قريته، أو أسرته، أو أهله، فإن عجز عن ذلك كلّه، أو أُعْيَوْه ولم يستجيبوا له، فعليه أمرُ نفسه بالمعروف، ونهيُها عن المنكر... ومن الخطأ الاعتقادُ بأنه لا يأمر ولا ينهى إلا الكاملُ في نفسه، فقد قرر أهلُ العلم أنه لا يشترطُ في منكرِ المنكر أن يكون كامل الحال ممتثلًا لكل أمرٍ، مجتنبًا لكل نهي، بل عليه أن يسعى في إكمال حاله، مع أمره ونهيه لغيره، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[(٢)]، مما يدل على اشتراكهم في المنكر، ومع ذلك حصل عليهم اللومُ على ترك التناهي فيه.

وفي الحديث المتفق على صحته: «**إن الله ليُؤَيِّدُ هذا الدين بالرجل الفاجر**».

يا أخا الإيمان: انجُ بنفسك من غضب الله وعقوبته بالأمر بالمعروف، وقول كلمة الحق، وفي الحديث الحسن قال ﷺ: «**ثلاث منجياتٌ**» وذكر منها:

---

(١) «الاستقامة» (٢/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٩.

«وكلمة الحقِّ في الغضب والرضا»(١).

وساهم في نجاة سفينة المجتمع من الغرق والعطب، وأنت خبيرٌ بحديث المصطفى ﷺ ودلالته، في مثلِ القائم بحدود الله والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينة، فصار بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلها.

وَكُنْ من أهل رحمة الله وأولئك هم الآمرون الناهون الذين قيل عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾(٢)، وما أسعدك وأطيب عيشك إن كنت من أهل الفلاح الذين قال الله عنهم: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(٣).

اللهم انفعنا بهدي القرآن وسنة محمد ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله...



(١) «صحيح الجامع الصغير» (٣/ ٦٥).   (٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، أحمده تعالى وأشكره وأثني عليه الخير كلَّه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أيها المؤمنون: توبوا إلى الله جميعًا لعلكم تفلحون، وحاسبوا أنفسكم ومَنْ تحت أيديكم قبل أن تُحاسَبوا، وَمُرُوا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، قبل أن يضرب الله قلوبَ بعضِكم ببعض، ويُردَّ عليكم دعاءكم، وتطلبون النصرَ فلا يُستجاب لكم.

قال ﷺ: «**قال الله تعالى: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوني فلا أستجيبُ لكم، وقبل أن تسألوني فلا أعطيكم، وقبل أن تستنصروني فلا أنصركم**».

وفي لفظ آخر من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعث عليكم عقابًا من عندِه، ثم لتدعونه فلا يستجيب لكم**» رواه الإمام أحمد.

أيها العقلاء .. أيها النبلاء: وكما أن مسؤولية الدعوة للخير، والتحذير من الشر، مسؤوليةٌ وشرفٌ لنا جميعًا، فكذلك تحقيقُ الأمن ونزولُ البركات مسؤوليتنا جميعًا، وبالإيمان يتحقق الأمن، وبالإيمان والتُّقى تُفتح بركاتُ السماء، ذلك وعدٌ غير مكذوب.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[1].

ومؤلمٌ أن يتطاول المجرمون بنشر فسادهم، أو السخرية بمن يأمرهم وينهاهم، أو بنوعٍ من الأذية لمن يحاول كشف أوكارِ فسادهم، وهنا لا بد من تكاتف الجهود، والشجاعة -دون تهوّرٍ- في الأمر والنهي. والرفقُ ما كان في شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه، والصبرُ مطلبٌ رئيس في الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وقبل ذلك وبعده فلا بد من العلم بما يُؤمر به وما ينهى عنه... والحلمُ على من يُؤمر ويُنهى، وعدمُ الانتصار للنفس أو الغضب للذات، بل غيرةً لدين الله وحرماته، وحرصًا على هداية الآخرين واستقامتهم، وعدم تجاوز منكرهم إلى غيرهم.

ولا بد كذلك من وازع سلطانٍ وقوة حاكم يذل لسطوته المجرمون وينتصر للمظلومين، وقد ثبت عن عثمان رضي الله عنه: إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن النهي عن المنكر إقامةُ الحدود على من خرج من شريعة الله، ويجب على أولي الأمر - وهم علماءُ كلِّ طائفةٍ وأمراؤها ومشايخُها - أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف، وينهوهم عن المنكر.. إلى آخر كلامه يرحمه الله[3].

عباد الله: أما وازعُ القرآن فيملكه كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ قادرٍ على أن يأمر بالمعروف الذي جاء في القرآن، وينهى عن المنكر الذي نهى عنه، وإياكم يا

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٢) ابن باز: «وجوب الأمر بالمعروف».
(٣) «الاستقامة» (٢/ ٢٠٩).

أخوة الإسلام أن تخذلوا أنفسكم وتخذلوا رجال الحسبة، وذلك بزهدكم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية كل مسلم ومسلمة -وكلٌّ بحسبه- والآثارُ المترتبةُ على تركِ الأمر والنهي أو ضعفهما تلحق بنا جميعًا، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة للخير، والتحذير من الشر وظيفةُ الأنبياء والمرسلين ﷺ، وهي باقيةٌ في عقبهم وأتباعهم إلى يوم الدين، هي من واجبات العلماء، والقضاة، والدعاة، وطلبة العلم، وهي من مسؤوليات رجالات الفكر والإعلام، وهي جزءٌ من رسالة المدرسِ في مدرسته والموظف في وظيفته، والتاجر في متجره، وهي من الأمانة التي استرعى الله المسلم والمسلمة في بيوتهم وبين أبنائهم وبناتهم، وذوي رحمهم وجيرانهم... إنها استجابةٌ لدعوة محمد ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». وهي علامةُ الإيمان ومؤشرٌ للانضمام في حزب المؤمنين الذين قال الله في وصفهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(١).. الآية.

إخوة الإيمان: وحين يكتملُ وازعُ القرآن ووازع السلطان ينتشر الخيرُ ويتوارى الشرُّ، ويُبلس المجرمون، وهاكم نموذجًا يتحقق فيه صدقُ الوازعين، وجرت أحداثُه أيام الخليفة العباسي المعتضد، والقصةُ طويلة كما رواها ابن كثير(٢)، وخلاصُتها: أن أميرًا تركيًّا من أعالي الدولة سطا على امرأةٍ حسناء وتعلق بها ليدخلها في منزله وهي تصيح بأعلى صوتها: يا مسلمون أنا امرأة ذات زوج، وهذا رجلٌ يريدني على نفسي، وقد حلف زوجي بالطلاق ألا أبيت إلا في منزله، فغلبها الأميرُ فأدخلها، فتحركت الغيرةُ عند رجلٍ خياط، وكان إمامًا

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٢) «البداية والنهاية» (١٠/ ١٠١-١٠٣).

لأحد المساجد، فقام فأنكر على الجاني، فضربه الأميرُ التركي بدبوس شجّ رأسه به، فذهب الإمام وغسل الدم وصلى بجماعته العشاء، فأخبرهم الخبر، وطلب الذهاب إليه مرةً أخرى، فخرجوا معه، فأخرج الأمير إليهم جماعةً من غلمانه فأخذوا يضربون الناس بعصيهم ودبابيسهم، وقصد الجاني الإمام من بينهم فضربه ضربًا شديدًا حتى أدماه - مرة أخرى - فرجعوا وهم في غاية الإهانة.

يقول الإمام الخياط: فلما رجعت إلى منزلي وأنا منهك من كثرة الدماء وشدة الوجع، لم تغتمض عيني بنوم، وجعلت أفكر في وسيلة ثالثة أستنقذ بها المرأة من ظالمها، فاهتديت إلى أن أُذن لصلاة الفجر في منتصف الليل، حتى يظن الأميرُ أن الفجر قد طلع فيخشى الفضيحة ويخرج المرأة قبل الفجر، فبينا أنا كذلك، وإذا برجالات وشرطة المعتضد يحيطون بي، ويأخذوني إلى الخليفة، فلما وقفت بين يدي المعتضد -وأنا أرتعد من شدة الخوف- قال: أنت الذي أذَّنت في هذه الساعة؟ قلت: نعم، قال: فما حملك على هذا وقد بقي من الليل أكثرُ مما مضى منه، فَتُغِرُّ بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرَهم، فقال: تؤمنني يا أمير المؤمنين؟ قال: أنت آمنٌ، فأخبره الخبر، فغضب الخليفة غضبًا شديدًا، وطلب إحضار الأمير والمرأة من ساعته، فبعث بالمرأة إلى زوجها، ثم أقبل على الأمير يسأله عن رزقه، وعدد جواريه وزوجاته، فذكر له شيئًا كثيرًا، ثم قال له: ويحك أما كفاك ما أنعم اللهُ به عليك حتى انتهكت حرمة الله، وتجرأت على السلطان، ثم عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته، فلم يُحر الأميرُ جوابًا، ثم أمر الخليفة به، فجُعل في رجله قيدٌ وفي عنقه غلٌّ، وأدخل في جوالق، ثم أمر به، فضرب بالدبابيس ضربًا شديدًا حتى خفت، ثم أمر فألقي في دجلة، فكان ذلك آخر العهد به، ثم التفت

الخليفة للرجل المحتسب وقال له: كلما رأيت منكرًا صغيرًا كان أو كبيرًا -ولو على هذا- وأشار إلى صاحب الشرطة -فأعلمني، وإلا فالعلامة بيني وبينك بالأذان إن لم تجدني، فكان هذا الخياط بعد يرهب الأمراء بالتهديد بالأذان إن لم يسمعوا لأمره ونهيه.

أيها الناس: وإذا كان في هذه الحادثة درسٌ في قوة وازع السلطان وأثره، ففيها درس وتسليةٌ للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

ألا وإن من فضل الله علينا في هذه البلاد وجود جهاز للهيئات، وهي سمةٌ تخصُّ بلاد الحرمين دون سواها، وأملنا ورجاؤنا أن تبقى السمةُ باسمها ومسماها، يُدعمُ رجالُها، وتُستحدث أجهزتُها، وتوسع صلاحيتُها، فرجالُها مع رجال الأمن عيون ساهرة، دعمُهم دعمٌ لنا جميعًا، وضعفُ أدائهم تحيق آثارُه المُرَّةُ بنا جميعًا. اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه، اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.



(١) أطفالنا ومسؤولية التربية(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أوحى إلى عبده، فيما أوحى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، أخبر -وهو الصادقُ المصدوق- أن: «**كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**» متفق عليه(٤).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٦).

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٩/٦/١٤١٩هـ.
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨.
(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٤) «صحيح مسلم» ٢٦٥٨.
(٥) سورة النساء، الآية: ١.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

أيها المسلمون: حديثُ اليوم عن فئةٍ تملأ علينا بيوتَنا، وتُسرُّ لأحاديثهم قلوبنا، نضيق بتصرفاتهم حينًا، ونستملح حركاتهم حينًا، حديث عن حبّاتِ القلوب، وفلذاتِ الأكباد، وقرة العيون، ورياضِ البيوت، وبهجة الحياة.

إنهم أطفالُنا، وهبةُ الرحمن لنا: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[1]، تُعنى الشعوبُ كافةً بأطفالها، وتُعقد الأيام العالميةُ للطفل، ولكن يظل الإسلامُ متميزًا في عنايته بالطفل، وتبدأ العنايةُ به قبل وجوده، فأُمُّهُ تُختار من ذواتِ الدين والنسب: «**فاظفرْ بذاتِ الدين تربتْ يداك**»، «**تخيَّروا لِنُطفِكم فإنَّ العرقَ دسَّاس**».

وفي لقاء الزوج بالزوجة لإلقاء النطفة التي يشاءُ الله منها الطفل يُحث على ذكر الله ودعائه بحفظ هذا المولود من كل مكروه، قال ﷺ: «**لو أن أحدَهم إذا أتى أهلَه، قال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنِّبِ الشيطانَ ما رزقتنا، فقُضي بينهما ولدٌ، لم يضرَّهُ الشيطانُ**».

بل ويُحث العقيمُ على ذكر الله والاستغفار والصدقة، وقد يشاءُ الله أن يكون ذلك لمجيء الولد سببًا. روى أبو حنيفة في «مسنده»، عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أنه جاء رجلٌ من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما رزقت ولدًا قطُّ ولا وُلدَ لي، قال ﷺ: «**فأين أنت من كثرة الاستغفار، وكثرةِ الصَّدقة تُرزقُ بها**» فكان الرجلُ يُكثر الصدقة ويكثر الاستغفار، قال جابر: فولد له تسعةُ ذكور.

قال مُلا علي في شرحه للحديث: «ولعله مقتبسٌ من قوله تعالى حكايةً عن

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾(١).

إخوة الإسلام: وهؤلاء الأطفال الذين يمثلون البراءة وترسم على وجوههم وحركاتهم إشراقةُ الفطرة الربانية، ماذا صنعنا لهم بعد وجودهم؟ ما هي أخطاؤنا معهم؟ وكيف واقُعنا وإياهم، وما هي أنسبُ الطرق وأفضلُ الوسائل لتربيتهم؟

إن الطفل ببراءته ونقائه لوحةٌ نظيفة يكتب فيها المربون ما شاءوا، ولكن ما يُكتب اليوم له أثرهُ في مستقبل الطفل غدًا... ومن هنا يأتي خطؤنا أحيانًا في عدم تقدير النظرة للطفل، فضلًا عن الكلمة، أو السلوك أمام الأطفال بشكل عام..

وما من شكٍّ أن هذه النظرة أو الكلمة التي وجهناها للطفل، أو السلوك الذي تعاملنا به معه تظل كلُّها عالقةً في ذهنه، وذات أثرٍ في سلوكه فيما بعد.

ومن أخطائنا - مع أطفالنا - أننا نُعنى كثيرًا بشكلهم الظاهر، ونوفر لهم أنواع الملابس وأصناف الطعام، وننزعج للمرض يصيب أبدانهم. ويضعف اهتمامُنا بتهذيب نفوسهم، وإصلاح قلوبهم، والعناية بأخلاقهم ومتابعة أدبهم، وينشأ عن هذا وذاك نشأتُهم معظمين للشكليات، مهتمين بكماليات حيانًا

الحياة، وفيهم ضعفٌ ظاهر في تقدير القِيَم، وعلوِّ الهمم، وخوض غمار الحياة مع الحفاظ على محاسن الأخلاق، وجميل السلوكيات.

ومن أخطائنا قِلةُ الأوقاتِ المخصصة للجلوس مع الأطفال، وإذا قُدر لنا الجلوسُ فدون برامج مدروسة، وربما غابت أهدافُ التربية أو عُدِمْنا الوسيلةَ

---

(١) سورة نوح، الآيتان: ١٠-١٢، شرح مسند أبي حنيفة لمُلا علي، ص٥٨٧، «منهج التربية النبوية للطفل»: محمد نور سويد: ٤٧، ٤٨.

المناسبةَ للتربية... ولو أن المربي أو المربية في كل جلسة علموه أدبًا، أو حفَّظوه آيةً، أو نبهوه إلى خطأ، أو علموه ما يجهل، بأسلوب مناسب، وبقليل من الوقت - لتشكل من ذلك رصيدٌ نافعٌ لهذا الطفل يدعوه للمكاره ويحفظه من المزالق بإذن الله.

وإذا كان هذا من أخطائنا في البيوت؛ فخطأ المدرسة مع الطفل إنما يكون حين تُركِّزُ على تلقينه المعلومات تحفيظًا، وتقلل من ممارسته لما حفظ سلوكًا عمليًا، فيظل الطفلُ يحفظ ذهنيًا، ويمارس سلوكيًا غير ما حفظ، وربما حفظ في الصفوف الأولى ما لم يمارسه إلا في الصفوف الأخيرة من المرحلة الابتدائية، وبهذه الطريقة التلقينية المجردة تضيع أو تضعف القيمة التربوية للتعليم، ويتركز الهدف أكثر على النجاح أو الرسوب.

ومن أخطائنا في التربية وعلاج مشكلات الأطفال أننا ننظر إليهم أحيانًا على أنهم كبار، يدركون الخطأ ولكنهم يقصدون العناد؛ وبالتالي نحتد في النقاش معهم، ونشتد في ضربهم، وليس كلُّ مخالفةٍ للوالدين، أو خروج عن الأعراف السائدة في المجتمع من قبل الأطفال عنوان شرٍّ ورمز شقاوة، بل قد تكون من علائم النجابة مستقبلًا، وفي «نوادر الترمذي»: «عُرامُ الصبي نجابة» أي: شدته وشراسته، وفي رواية: «عرامة الصبي في صغره زيادةٌ في عقله في كبره»[1].

ومن أخطائنا: الاستهانة بنوع الرفيق لهم في مرحلة الطفولة، فقد يرافقون من يبدأ الطفلُ خطوات الانحراف الأولى برفقتهم، وقد نجهل أن هذا الرفيق يهدم ما نبني، أو يبني ما نهدم.

ومن أخطائنا: ضعفُ همَّتنا في تربية أطفالنا على النماذج العالية للأطفال؛

---

(١) «الطفل المثالي في الإسلام»، عبد الغني الخطيب: ١٢٩.

أو عدمُ قدرتنا على مواصلة التربية حتى يكونوا رجالًا، ومما يشحذ الهمم أن نتصور أن هذا الطفل الضعيف اليوم قد يكون من أفذاذ الرجال غدًا... أو تكون هذه البُنَيَّةُ المسكينةُ اليوم من خيار النساء غدًا، فلا تأسفْ على جهدٍ بذلته، ولا تحقرنَّ طفلًا لطفولته، وإذا قرأت في سير العظماء فتيقن أنهم مرُّوا بمرحلة الطفولة حتمًا.. ولكن طفولة العظماء، والعناية بهم تنتج - بإذن الله - رجالًا أو نساءً عظماء، ويحدثنا الإمام الشافعيُّ ﷺ عن طفولته ويقول: حفظتُ القرآن وأنا ابنُ سبع سنين، وحفظتُ «الموطأ» وأنا ابنُ عشر[1].

ونقل الغزاليُّ قول سهل بن عبد الله التستري عن نفسه؛ قال: فمضيتُ إلى الكُتَّابِ، فتعلمت القرآن وحفظتُه، وأنا ابنُ ستٍّ سنين أو سبع سنين[2].

وأين الأمهاتُ من أمِّ أنس بن مالك ﷺ والتي ما فتئت أمُّه تُعلمه وتربيه حتى دفعته وهو صغيرٌ للنبي ﷺ لتكتمل على يديه ﷺ تربيتُه ويَحْسُنَ تعليمُه؟

بل أين الأمهاتُ من تلك المرأة التي دفعت إلى ابنها يوم أحدٍ السيف فلم يُطقْ حمله، فشدته على ساعده بِنسْعه، ثم أتت به النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: هذا ابني يقاتل عندك، فقال النبي ﷺ: **«أي بني: احمل هاهنا، أي بُني احْمِل هاهنا»** فأصابته جراحةٌ فصدع، فأُتي به النبيُّ ﷺ فقال: **«أي بنيّ لعلك جزعت؟»** قال: لا يا رسول الله[3].

والنماذجُ في هذا أكثرُ من أن تحصى، وهي شاهدة على همم الأطفال، وأثر

---

(١) السيوطي: «طبقات الحفاظ» ص١٥٤، «بناء شخصية الطفل المسلم»: محمد عثمان جمال: ١٥٠.

(٢) «الإحياء» (٣/ ٧٢).

(٣) أخرجه ابنُ أبي شيبة عن الشعبي، وورد في «كنز العمال» وانظر: محمد عثمان جمال، «بناء شخصية الطفل المسلم»: ٥٠.

تربيتهم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[١].



(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، أحمده تعالى وأشكره، وأثني عليه الخير كلَّه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أيها الآباء وأيتها الأمهات: وأنتم أصحابُ المسؤولية الأولى في تربية الأطفال وتنشئتهم على الخير، وكذلك حَمّلَكُمُ الإسلام الأمانة وأنتم مسئولون عن رعايتها في بيوتكم، وخصَّكم نبيُّ الهدى والرحمةِ بالحفاظ على فطرةِ الله التي فطر الأطفال عليها، وتأملوا في قوله ﷺ: «**كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**». إذ ليس فيه ذكر للإسلام، فلم يقل: أو يسلمانِهِ؛ لأن الإسلام هو الأصل، وهو فطرةُ الله، وعملُ الآباء والمربين إنما ينحصر في الحفاظ على هذه الفطرة سليمةً نقية، وفي صقلها وتفجير طاقات الخير، وينابيع الابداع في أعماقها[١].

ويؤخذ من الحديث كذلك أن اتجاه الطفل الفكري والخُلقيَّ والاجتماعيَّ متأثرٌ أولًا وقبل كلِّ شيء ببيئة الوالدين وأفكارهما، وأخلاقهما، وأساليب تربيتهما[٢].

فهل يُقدر الأبوان عِظَم المسؤولية، ويعرفونهم بالإسلام على حقيقته، ويجنبونهم كلَّ ما يُخالف الإسلام؟ أو يبعدهم عن صفائه وسمو مبادئه؟ ألا وإن القدوة مهمةٌ بكل حال، والإسلام ينهى عن مخالفة الأفعال للأقوال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا

(١) الصباغ، «أطفالنا» ١٠.

(٢) الخطيب، «الطفل المثالي في الإسلام»: ١٢٣.

تَفۡعَلُونَ﴾[١]، والقدوةُ مع الأطفال من أمضى وسائل التربية، والطفل يُجيد التقليد والمحاكاة، وحقٌّ على المربين أن يكونوا قدوةً صالحة، وليحذروا من أن تقع أعينُ الأطفال منهم على قبيح من القول أو منكرٍ من الأفعال، قال عقبةُ بن أبي سفيان لمؤدب ولده: وليكن أول ما تبدأ به إصلاح بنيَّ: إصلاحُ نفسِك، فإن أعينهم معقودةٌ بعينك، فالحَسنُ عندهم ما استحسنتَ، والقبيحُ عندهم ما استقبحت[٢].

أيها الآباء والمربون، أيتها الأمهاتُ والمربيات: عوِّدوا الأطفال على الخير فهم يعتادونه، وعلموهم ما ينفعهم فهم يسمعونه.

قال عبدُ الله بن مسعود ﷺ: «عوِّدوهم الخيرَ، فإن الخيرَ عادةٌ».

وأول ما ينبغي تعليمُهم إياه كتابُ الله منذ نعومة أظفارهم.

قال السيوطيُّ: تعليمُ الصبيان القرآن أصلٌ من أصول الإسلام فيُنَشّؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوارُ الحكمة قبل تمكُّنِ الأهواء منها، وسوادِها بأكدار المعصية والضلال[٣].

وما أجمل المربي والمربية وهم يفتحون أذهان الناشئة على عظمة الله والخوف منه، من خلال صفحة الكون وآيات الله الباهرة في الأنفس والآفاق، وبالأسلوب المناسب للطفل... ثم يتدرجون معهم إلى تعليم أركان الإسلام، وبعض الواجبات والمستحبات والآداب النافعة في الأكل والشرب والتحية، وفي حال النوم واليقظة، وما فيهما من أذكار وأوراد مستحبة.

فإذا بلغ الطفلُ سبع سنين أُمر بالصلاة تدريبًا له على الخير، وربطًا له

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣.
(٢) الصّباغ، «أطفالنا حبات القلوب»: ٥٣.
(٣) «بناء شخصية الطفل في الإسلام»: ١٢.

بالمسجد، وتعريفًا له وتأليفًا مع جماعة المسلمين، ويُضرب على التهاون بها إذا بلغ العشر، ويُفرق فيها بين الذكر والأنثى في المضاجع، إبعادًا لهم عن الريب، وصونًا لهم من الانحراف، وقد يتهاون البعضُ بهذه الآداب الإسلامية المشروعة، وقد يظهر آثارُ التهاون عليه فيما بعد، وقد صح الخبرُ عن رسول الله ﷺ: «**مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**» حديث حسن أخرجه أحمدُ والحاكم وأبو داود[(١)].

ومن هدي السلف تدريبُ أطفالهم على الصيام، وربما حجوا بهم وهم صبيان، ومما ينبغي أن يُعلم أن الأطفال يستجيبون للتعليم والتأديب بشكل عام مع الحوافز المشجعة، والوعود الصادقة بالمكافأة - وإن كانت يسيرة - كما يستجيبون للحكايات والقصص، وقد تؤثر فيهم أسرع من غيرها، وعلى المربي أن يختار القصة ذات الهدف التربوي ويستثمرها في توجيه الأطفال.

وإذا امتلأ كتابُ الله بذكر قصص السابقين لأخذ العبرة منها، والتسلية بأحداثها، فلا شك أن للقصص أثرًا في صياغة عقل وسلوكيات الأطفال، وقد قال بعضُ العلماء: «الحكايات جندٌ من جنود الله تعالى يثبت الله بها قلوب أوليائه»، وشاهدُه من كتاب الله قوله سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

ويروى عن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه، لأنها آدابُ القوم، وشاهدُه من كتاب الله قولهُ تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾[(٣)(٤)].

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٥/ ٢٠٧). (٢) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٤) «منهج التربية النبوية للطفل»: محمد نور سويد: ٣٢٩.

أيها المربون، أيتها المربيات: وكم نغفل عن هذا الجانب التربوي مع الأطفال، وفي سيرة محمدٍ ﷺ أو سير الأنبياء السابقين ماله أعظمُ الأثر في تربية الأطفال على الفضيلة والخير، وكذا سير العلماء والصالحين، أو سير الآباء والأجداد .. والمهم أن تصاغ بأسلوب يفهمه الطفل، وأن يُعلَّقَ على القصة الموردة بما ينتفع به الطفل من أمر أو نهي أو توجيه.

ولا شك أن اختيار الوقت المناسب للتوجيه مهمٌّ بكل حال، ولا سيما مع الأطفال، ففي حالِ الركوب والأسفار، وحين تنفتح نفسية الطفل للطعام والشراب، أو حين يقعده المرضُ فتجتمع له سجيّةُ الطفل وَرِقَّةُ القلب بالمرض - فهذه الحالات وأمثالُها حَرِيَّةٌ بقبول الطفل للتوجيه أكثر من غيرها، وينبغي للمربين أن يستثمروها، وفي سيرة النبي ﷺ ما يؤكد حسن اختيار الوقت للتوجيه والدعوة، فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه؛ قال: كان غلام يهوديٌّ يخدم النبي ﷺ فمرض الغلام فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم الغلام فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

أرأيت كيف اختار النبي ﷺ الوقت المناسب لدعوته، مع إمكانية الدعوة قبل ذلك.

عباد الله: وهناك أساليبُ أخرى في تربية الأطفال .. وهناك محاذيرُ ينبغي أن نتنبَّه لها، وأمورٌ أخرى تتعلق بالأطفال أرجئُ الحديث عنها للخطبة القادمة بإذن الله.

أسأل الله أن يصلح نِيَّاتنا وذرياتنا .. وأن يغفر زلاتنا، ويعيننا على تربية أنفسنا وأبنائنا.



(٢) أطفالنا ومسؤولية التربية[١]

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له.

إخوة الإسلام: وحديثُ اليوم استكمالٌ لحديث قبله عن أطفالنا، ومسؤولية التربية، وما يقع من أخطاءٍ في تربيتهم، وتنبيهاتٌ ومحاذيرُ، أرجو الله أن ينفعنا بها جميعًا، والِدَيْن وأولادًا.

وكيف لا نُعنى بمثل هذه الأمور مع أطفالنا، وعنايةُ الإسلام بالطفل سبقت وفاقت غيرها من النظم والقوانين البشرية، وإن أعجب البعضُ منا بالنظريات الحديثة الوافدة.

أجل؛ إن الصلاة المفروضة تُخفَّفُ لبكاء الأطفال رحمة بهم وبأمهاتهم، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد أن أُطيلها، فأسمع بكاءَ الصبيِّ، فأتجوَّز في صلاتي، مما أعلمُ من شدةِ وجدِ أمِّه ببكائه**» متفق عليه[٢].

وتفطرُ الحاملُ والمرضعُ إذا خشيت الضرر على أطفالهما، ويُرجأ القصاصُ عن الحامل حتى تضع حملها، والموءودة تسأل بأي ذنب قتلت؟! ثم إن ختانه، واختيار اسمه، والعقَّ عنه، إلى غير ذلكم من أحكام وضعها الإسلامُ حمايةً للأطفال قبل أو بعد ولادتهم.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٦/٦/١٤١٩هـ.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٢/ ٣٢٤.

عباد الله: وكيف لا نعتني بهؤلاء الأطفال صغارًا، وهذه العناية بإذن الله سببٌ للانتفاع بهم كبارًا، وفي الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**» وذكر منها ولدًا صالحًا يدعو له، علمًا بأنه لا مفرَّ من المسؤولية: «**فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته**».

وإذا كان للوالدين حقوق مشروعة، فعليهم واجبات ومسؤولية، ولئن قيل للأولاد: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[1]، فقد قيل للآباء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[2]، قال مقاتل في معنى هذه الآية: أن يؤدب المسلمُ نفسَه وأهلَه فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر[3]، بل قال بعضُ أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالدَ عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده.

ويؤكد ابن القيم رحمه الله على أهمية تربية الأولاد، وأثر إهمالهم مستقبلًا فيقول في (تُحفة الودود): فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعُه وتركه سُدًى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثرُ الأولاد إنما جاء فسادهم من قِبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا.

ويقول الغزالي: فالصبيُّ إذا أُهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذابًا حسودًا سروقًا، نمامًا، ذا فضول، وضحك وكيادٍ ومُجانةٍ، وإنما يُحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب.

أيها المربون والمربيات: وإذ سبق الحديثُ عن بعض وسائل تربية الأطفال

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.　(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) «منهج التربية النبوية للطفل»: ٢٦.

كالقدوة، وتعويد الخير، وتعليم ما ينفع مباشرةً، أو عن طريق القصة الهادفةِ أو الحكايات المفيدة، وتحيُّن الفرص المناسبة للتوجيه، وإشعار الطفل بعظمة الله من خلال التأمل في مخلوقاته، وكل ذلك يندرج تحت بناء العقيدة وتحبيب الطفل للعبادة والخير، فهناك تربيةٌ إجتماعية للأطفال، ومن وسائلها: حضورُهم مجالس الكبار للاستفادة من أحاديثهم ورصيد تجاربهم، وإرسالهم لقضاء الحاجات لتدريبهم على شؤون الحياة، وإعطائهم الثقة مع المراقبة والتوجيه، وإياك أيها المربي أن تكفَّ الطفل عن الكلام كلما همَّ بالحديث والتعبير عن وجهة نظره، وإياك أن تزجره إذا رغب في الجلوس مع الكبار، فينشأ الطفل رعديدًا يفرُّ من كل غريب، ويتخوف من كل قادم، وفي أخبار الصفوة ما يفيد حضورَ الغلمان مجالس الشيوخ، بل واستئذانهم في حقوقهم، وهذا رسولُ الهدى ﷺ يؤتى بشراب فيشرب منه، وعن يمينه غلام قيل هو ابن عباس، وعن يساره أشياخٌ، فلما شرب استأذن الغلام في أن يعطي الأشياخ قبله، فلم يأذن الغلامُ وهو يقول: لا والله يا رسول الله؛ لا أُوثر بنصيبي منك أحدًا، فأعطاه إياه وتلَّه في يده. (متفق عليه).

وابن عمر رضي الله عنهما يحضر مع أبيه وكبار الصحابة مجلس رسول الله ﷺ، فيسأل رسولُ الله ﷺ عن شجرة تشبه المسلم، فيخوض الصحابةُ في عدد من الشجر، ليست هي، ويتبادر إلى ذهن الغلام أنها النخلة (وهي كذلك) فما يمنعه من الحديث إلا الأدب مع الكبار، فلما قال ذلك لأبيه شجَّعه أكثر، وقال له: لو كنت قلتها كان أحبَّ إليَّ من كذا وكذا.. رواه البخاري في «صحيحه»، ولقد أفاد ابن عباس وابن عمر وأمثالهما من هذه المجالس، فكانوا بَعْدُ من قادة الأمة وخيارها.

ومن وسائل التربية الاجتماعية: تعويدُ الطفل تحيةَ الإسلام، وأدبَ

الاستئذان، وعيادةَ المرضى، والعطفَ على الفقراء، وحضورَ الصلاة، ودفنَ الموتى.

إخوة الإيمان: وثمة بناءٌ أخلاقي وتربية على جملة من الآداب لا بد للمربين والمربيات أن يرعوها، كالأدب مع الوالدين، ومع العلماء ومع كبار السن، وأدب الاحترام والمحادثة مع الآخرين، والأدب مع الأقارب والجيران، وآداب الطعام واللباس، وآداب المسجد، والمجلس. ونحو ذلك.

ولا بد من تعويده الصدق في الحديث، وحفظ الأمانة، وكتم الأسرار، وسلامة الصدر من الأحقاد، والكرم، والشجاعة والسماحة، ونحوها من كريم الأخلاق والآداب.

أيها المربون والمربيات: ويحتاج الناسُ عامة، والأطفالُ خاصةً إلى لين الجانب ورقة العاطفة، فالبناءُ العاطفيُّ أسلوب مهمٌّ من أساليب تربية الأطفال، فالابتسامة، والقبلةُ، ومسحُ الرأس، والهديةُ، والممازحةُ... كلُّها تُساهم في فتح قلب الطفل لك، وتهيِّئُهُ لقبولِ نُصحك وتوجيهك.

ولقد كان من خُلق المصطفى ﷺ ممازحةُ الأطفال، ومداعبتُهم وتقبيلُهم، وإن لم يكونوا أبناءه، وفي «صحيح البخاري»: باب من ترك صبية غيره حتى تلعب، أو قبَّلها أو مازحها، وفي الباب عن أمِّ خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ مع أبي وعليَّ قميصٌ أصفر، فقال: «سَنَهْ سنهْ» ومعناه بالحبشية (حسنة) قالت: فذهبتُ ألعبُ بخاتم النبوة، فزجرني أبي (أي نهرني) فقال رسول الله ﷺ: «**دعها**» ثم قال: «**أبْلي واخْلفي، ثم أبلي واخلفي، ثم أبلي واخلفي**» الحديث. ولا يدري الناظرُ في الحديث أيعجب من ثنائه ﷺ على قميص البُنية، أم على تركها تلعب بخاتمه، أم بدعائه لها؟ قال ابنُ حجر في تعليقه على الحديث: والممازحةُ بالقول والفعل مع الصغيرة، إنما يُقصد به

التأنيسُ، والتقبيلُ من جملة ذلك[١]، وهو القائلُ ﷺ لغلام صغير يداعبه ويكنيه: «**يا أبا عمير ما فعل النُّغير**»[٢].

أيها المربون والمربيات: والغلظةُ مع الأطفال ليست مفخرة، والتصابي لهم وتطييبُ خواطرهم ليست مذمة ولا ذلة، وقد لام الرسولُ ﷺ من أخبره أن له عشرة من الولد لم يقبل أحدًا منهم، وقال له: «**أَو أَملكُ أن نزع الله الرحمة من قلبك؟**».

وروى الحاكمُ وصححه أن الحسين ؓ جاء والنبيُّ ﷺ يصلي بالناس، فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود، فلما قضيت الصلاة قال الصحابةُ: أطلت السجود يا رسول الله، حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ، فقال: «**إن ابني قد ارتحلني فكرهتُ أن أُعجله حتى يقضي حاجته**»[٣].

عباد الله: وما أجمل التصابي أو المداعبة أو حسن الخلق، ولين العاطفة مع الأطفال إذا كانت سبيلًا لدعوتهم للخير، وتحذيرهم من الشر، فتلك وسيلةٌ نافعةٌ بإذن الله للأطفال.. ولكنها لا ينبغي أن تكون الدهر كلَّه إذ يحتاج الطفلُ أحيانًا إلى الحزم والعزم لبلوغه المعالي، بل ربما احتاج إلى الضرب، ولكن الضرب له قواعدُه ومواصفاته، ومتى يكون ومتى يُمنع، وهو بكلِّ حال أدبٌ لا انتقام، ولا يُحبَّذُ في حال الغضب، ولا يصلح لكل الأطفال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[٤].

إخوة الإيمان: ومهما بلغت وسائلنا في تربية أطفالنا فلا غنى لنا عن دعاء ربنا

(١) «الفتح» (١٠/ ٤٢٥).
(٢) أخرجه البخاري، انظر «الفتح» (١٠/ ٥٨٢).
(٣) «الإحياء» (٢/ ٢١٨). وقال العراقي: رواه النسائي والحاكم على شرط الشيخين.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٤.

لإصلاحهم والانتفاع بهم، وأنتم واجدون في كتاب الله من دعاء الصالحين لذراريهم من مثل قوله: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[1]، ومن مثل قوله: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[2].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، خلقَ الخَلق، ومن ضعفٍ، ثم جعل من بعد ضعفٍ قوة، ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة، يخلق ما يشاءُ وهو العليم القدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسانُ، إنه كان ظلومًا جهولًا، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله أخبرَ وهو الصادقُ المصدوق أنه ما نحلَ والدٌ ولدًا خيرًا من أدبٍ حسن. اللهم صلِّ وسلِّمْ عليه وعلى سائر النبيين.

أيها المسلمون: وهناك وسيلةٌ لطيفة في التربية وذاتُ أثر على الأولاد عمومًا: والأطفال منهم على الخصوص، ألا وهي التفاهمُ بين الزوجين على علاج الخطأ الواقع من الأولاد أو ما يمكن تسميته (باصطناع المرونة)، فإذا اشتدت الأمُّ على الطفل لان الأب، وإذا عنَّف الأبُ لانت الأم، فقد يقع الولدُ في خطأ فيؤنبه والدُه تأنيبًا يجعله يتوارى خوفًا من العقاب الصارم، فإذا غاب جاءت الأم لتطيب خاطره وفي نفس الوقت لتوضح له خطأه برفق، وحينها يشعر الولدُ بأن أبويه على حق وصواب، فيقبل من الأب تأنيبه -وربما اعتذر إليه- ويحفظ للأم معروفها -وربما شكرها- والنتيجة أنه سيتجنبُ الخطأَ مرة أخرى[1].

وهذا الأسلوبُ أنفعُ من اعتذار أحد الأبوين للطفل عن خطئه، والدفاع عنه حين تأديبه، إذ يشعره ذلك بالدلال السلبي، ويدعوه للتعاظم وإن كان مخطئًا، وعدم القبول ممن وجهه، وإن كان ناصحًا.

---

(١) محمد إبراهيم الحمد، «التقصير في تربية الأولاد»: ٨٠.

أيها الآباء والأمهات: واحتسبوا الجلوس مع أطفالكم على موائد القرآن والسنة والدروس النافعة، فتلك وسيلةٌ مهمة من وسائل تربيتهم، وروّضوا أنفسكم على سماع شكواهم، وتقدير وجهات نظرهم، وإن كان رأيُهم متواضعًا، فذلك ينشئُ فيهم الثقة ويدعوهم للإفصاح عما في نفوسهم، والجرأة على التعبير عن آرائهم مع الآخرين مستقبلًا.

وثمة وسيلةٌ مساعدةٌ على تربية الأولاد ألا وهي زيارةُ الأسر التي تُعنى بتربية أولادها، فتلك مفيدةٌ في التربية، وطريق لنقل التجربة الناجحة، والوسيلة المناسبة.

وإذا تم في لقاءات العوائل عملُ برامج للأطفال فتلك نافعة بإذن الله تعالى، ومعينة على ترابط الأسرة وتآلفهم.

أيها المربون والمربيات: هذه أنماطٌ من وسائل التربية للأطفال، وقد تكونون مارستم بعضها أو ما هو أفضل منها، والمهم استشعارُ المسؤولية مع هؤلاء الأطفال، وتقديمُ ما نُعذر به، أمام الله وأمامهم، ومن عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، ولا بد أنْ يثمر الغرسُ الطيب جنًى طيبًا، إن في الدنيا أو في الآخرة، وإياك أن تحقر وسيلةً من وسائل التربية، أو تظن أن الطفل لا ينتفع بها، ولربما رأيت أو رأى غيرُك ثمار التوجيه الحسن، وقد حُدثت أن طفلًا في المرحلة الابتدائية تأخر يومًا في أداء الواجب، فهمّ مدرّسُه بضربه، فقال له الطالب: أتحداك أن تضربني، فتعجب المدرسُ من مقولته هذه وسأله عن السبب، فقال الطفل: لأنني صليت اليوم الفجر مع الجماعة، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي**» فأنا في ذمة الله، وكان من عَقْلِ المعلم ومشاركته في التربية أن ترك الطفل ولم يضربه.

أيها الآباء والأمهات، ويا أيها المربون والمربيات: وبقي أن نُعرِّج على شيءٍ من أخطائنا في تربية أطفالنا... فمن أخطائنا: أطفالُ الخادمات وذلك حينما نكل للخادمة كلَّ شيء في أمر الأطفال، تربيهم كيف شاءت، وتعودهم من الأخلاق ما تريد، وقد تكون الخادمةُ كافرةً أو ذات معتقد أو مذهبٍ فاسد فتُنشئُ ناشئتنَا أبعد ما تكونُ عن قيمنا وعاداتنا وأخلاقنا الإسلامية.

ومن أخطائنا: أطفالُ الشاشات، وذلك حينما نوفرُ للطفل ما هبَّ ودبَّ من وسائل اللهو المحرمة، ونهيئُ له الفرصة للنظر بكل شاشة فاتنة.. فينشأ جيل مغرمٌ باللهو.. مفتونٌ بالقنوات، يربيه غيرُنا ويتشكلُ عقلهُ وفكره من بيئات وأممٍ تضمر العداوة لنا ولأطفالنا، وماذا نتوقعُ المستقبلَ لأطفال ربتهم الشاشاتُ الهابطة، وأُشربوا حُبَّ القنوات الفضائية المعادية؟ وهناك بدائل صالحة في هذا لمن شاء.

ومن أخطائنا: الدعاءُ على أطفالنا، أو لعنهم... وتلك حماقةٌ تصدر من الوالدين أحيانًا -وخاصة الأمهات- وهم المتحملون لوزرها، وقد قيل إن الدعوات كالحجارة التي يُرمى بها، وقد تُصيب وقد تخطئ، ولهذا نهى محمدٌ ﷺ عن الدعاء على الأولاد، وقال: «**لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسْأل فيها عطاءً فيستجيب لكم**»(١).

ومن الأخطاء: الشماتةُ بالمبتلين من أولاد غيرنا، وبدل أن نسأل الله لهم العافية، ونشكره على أن أصلح ولدنا، ترى بعض الناس يشمت بهؤلاء ويلوم أهلهم ويعنفُ عليهم، وقد يكونون مجتهدين، ولكن الله لم يشأ هدايتهم، وربما

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٣٠٤).

انتقل الداءُ إليه عقوبةً من الله على شماتته وعدم شكره[١].

أيها الناسُ: ومن أخطائنا مع أطفالنا استحياؤنا من تعليم أولادنا أحكام البلوغ وعلاماته قبل بلوغهم، ولذا فقد تصوم أو تصلي الفتاة العذراءُ وهي حائض أو جنب، وقد يصلي الشابُّ المحتلم وهو جُنبٌ... وهكذا.

ومن **أخطائنا**: عدمُ تحذير أطفالنا مما نخشاه عليهم أو نحاذر من وقوعهم فيه من قبلُ، فقد يقعون في شرب الدخان أو المخدرات وهم يظنون ذلك من الرجولة، وقد يختارون رفقاء السوء وهم يحسبونه جليسًا صالحًا.

ومن **أخطائنا**: التفريق بين أولادنا في الأعطيات المادية أو المعنوية فيتولد عندهم الحقدُ، وينشأ الحسدُ، ونضع الكرة فيما بيننا وبينهم -وبالعدل قامت السماوات والأرض- وعلى الوالدين قدر الإمكان ألا يُظهرا الأولاد على خلافاتهم، وألا يكثروا من الشجار والخصومة بحضرتهم، فذلك مؤثرٌ على نفسياتهم، وقد يؤثر في سلوكياتهم.

ومن **أخطائنا**: تخويف أطفالنا تخويفًا وهميًا حتى يستجيبوا لمطلبنا، ولكن هذا التخويف قد يخلف آثارًا سيئة على مستقبلهم.

ومن **أخطائنا**: ضعفُ النساء -إلا ما ندر- في تربية الأطفال على معالي الأمور، واشتغالهن أكثر بملبسه وشكله وطعامه، وليتهن يقتدين بالأمهات السابقات، ومن نماذجهن أمُّ سفيان الثوري (فقيه العرب والمسلمين ومحدثهم) وقد ورد عن الإمام أحمد أن أمَّ سفيان قالتْ له: يا بنيّ، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، ثم كانت تتعهده بالنصح والتربية، فقد روى أحمد كذلك أنها قالت له يومًا: يا بني: إن كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادةً في

(١) الحمد: «التقصير في تربية الأولاد»: ٣٧.

خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك[١].

أيها المؤمنون: وخلاصة القول: استجيبوا لنداء ربكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٢]، وقدروا مسؤوليتكم مع أبنائكم **«فكلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته»** وأدوا الأمانة التي ائتمنتُمْ عليها وارعوها حقَّ رعايتها، وإياكم أن تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون، أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يصلح نياتنا وذرياتنا، وأن يصلح أحوال المسلمين ويردهم إليه ردًّا جميلًا، وأن يحفظ شبابهم وشاباتهم من كل مكروه ومن كل فتنةٍ.



(١) محمد الحمد: «التقصير في تربية الأولاد»: ص٤٥، ٤٦.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

الأزمات العالمية(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له..

أيها المسلمون: يمرُّ العالمُ اليوم بأزمات متعددة، وتُصاب الشعوبُ بنكساتٍ مروعة، ولا تزالُ تلهث بعيدًا عن هدى الله، فيتعاظم الخطبُ، ويتصاعد مؤشرُ الانحراف، وتطلق صيحاتٌ من هنا وهناك محذرةً من النهاية البائسة... ولكن أين المجيب؟

إن الأزمة الاقتصادية التي يمر بها عالمُ اليوم واحدةٌ من نماذج هذه الأزمة الخانقة، ومن عجب أن توجد هذه الأزمةُ مع تضخم رأس المال، ومخزون النفط، وكثرة الإنتاج في مجال الزراعة والصناعة ووجود أسواق بيضاء وسوداء، ونحو ذلك من الأخذ بأسباب النموِّ الاقتصادي المعاصر ومع ذلك كلِّه فإن شبح الانهيار الاقتصادي يطارد الدول الكبرى، تُرى ما أسبابُ هذا الانهيار؟

يُحلل اقتصاديون متخصصون - وغيرُ مسلمين - هذا الانهيار بارتفاع سعر الفائدة، وكثرة المديونية، والعجز عن السداد، ويرون المخرج من هذا تقليل حجم الفائدة، وباختصار: فهم يرون الربا ومعاملاته الجائرة سببًا رئيسًا لهذا الفساد الاقتصادي المهدد بالسقوط.

وهذه حقيقةٌ كشفها القرآن قبل ما يزيدُ على ألف عام حين أعلن اللهُ حربه على

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١/٨/١٤١٩هـ.

المصرِّين على التعامل بالربا، وأنَّى لقوة - مهما كانت - أن تصمد لحرب الله، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1].

إنه جزءٌ من انتقام الله الذي وعد به المرابين: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[3].

ويؤكد الذي لا ينطق عن الهوى في سنته، أن عاقبة الربا إلى قلٍّ وإن توهم المرابون خلاف ذلك، وانخدعوا بالورم الخبيث، روى الحاكمُ بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الربا وإن كثر، فإن عاقبته تصير إلى قلّ**»[4].

والمصيبةُ أن يسير المسلمون في اقتصادهم مسيرة العالم الكافر ويربطوا اقتصادهم باقتصاده، وهم يتلون كتاب الله وفيه مخرجٌ لأزماتهم كلِّها، ومن بينها الاقتصاد، فهم يؤمنون أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ويعتقدون أن ما عندهم ينفذُ وما عند الله باق، ويدركون السرَّ في قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[5]، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6].

ولا يخالجهُم أدنى شكٍّ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[7]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨، ٢٧٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٥.
(٤) «صحيح الجامع» (٣/ ١٨٦).
(٥) سورة التغابن، الآية: ١٧.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٨) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

أين هذا ممن لا يزالون يصرون على الربا... وتنبت أجسادُهم وأجسادُ ذويهم على السحت، وأي جَسَدٍ نبت على حرام فالنار أولى به، ألا فلينتبه المؤمنون بربهم والتالون لكتابه عن الربا، وليتقبلوا عظة الله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

أيها المؤمنون: وثمة أزماتٌ سياسيةٌ وعسكرية، لم تحلها المجالسُ الكبرى، والمنظمات العالمية، ولم تسهم مخزوناتُ الأسلحة العظمى بحلها، بل زادتها تعقيدًا، وكلما انطفأ الفتيلُ في مكان - أو كاد - وإذا به يشتعلُ في مكان آخر، وهكذا يختل الأمنُ وتتصاعد الأزمة، وتتقاسم الدولُ الكبرى النفوذ، وتتوازع المصالح... فلا يزيدها ذلك إلا ضعفًا وانهيارًا وكرهًا من قبل الشعوب الأخرى.

والمأساة أن المسلمين لا دور لهم يُذكر في إنشاء أو إطفاء هذه الأزمات الكبرى، بل ربما استنفرت طاقاتُهم، وحوصرت شعوبُهم، وربما خرجوا من المعركة بلا شيء أو بشيءٍ سلبي، وليتهم عادوا إلى إسلامهم، فسيجدون في كتاب ربهم حلًا لأزمة الأمن التي يدفعون ضريبتها في مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[2].

إذا الإيمان ضاع فلا أمانٌ ولا دنيا لمن لم يُحيي دينا

وسيظل المسلمون يشاركون غيرهم في الانتكاسة والخوف، ويهددونهم بالحروب حتى يعودوا إلى هويتهم، وينطلقوا من تعاليم دينهم: «**إنَّ الله لا يُغَيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسِهم**».

إخوة الإسلام: أما أزمة الأخلاق التي يعيشها عالمُ اليوم فهي أزمة مدمرةٌ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

بكل المقاييس، أفل فيها نجمُ العفةِ والفضيلة والحياء، وأعلنت الفاحشةُ على الملأ وانتشر سوقُ المخدرات، وبات يُستعاض بها عن الحروب العسكرية الأخرى، وأصبح الغزو الفكريُّ فنًّا تمارسه الحضاراتُ الماديةُ على من سواها، فلم يُرع جانبُ الدين والخلق، ولم تُقدر الحضارةُ الإسلامية حقَّ قدرها، وأصبح أتباعُها -مع الأسف- يتوارون خجلًا عن الإفصاح عن هويتهم في المحافل الدولية والمؤتمرات الكبرى، إلا من رحم الله.

معاشر المسلمين: ونتج عن هذه الأزمات العالمية وغيرها أن تأثرت بلادُ المسلمين، فشاع الفقرُ، وسُلِّط الأعداءُ على المسلمين، وفشا الموت، ومنعوا النبات وحُبس القطر.. أو أمطرت السماءُ ولم تنبت الأرض.. أو زاد حجمُ الأمطار.. فكانت الفيضاناتُ المدمرة، أو زادت نسبُ التصحر في البلاد المسلمة، فهلك الحرث والنسل، وكل ذلك بما كسبت الأيدي كما قال ربنا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

وهو تحقيقٌ لوعد الصدق الذي جاء به محمدٌ ﷺ وحذّر الأمة من آثاره فقال: «**خمسٌ بخمس، ما نقض قومٌ العهد إلا سُلّط عليهم عدوُّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقرُ، ولا ظهرت فيهم الفاحشةُ إلا فشا فيهم الموتُ، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأُخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حُبس عنهم القطرُ**»[2].

اللهم ألهمنا رشدنا، وبصّرْنا بمواطن الضعف في نفوسنا، وردنا إليك والمسلمين ردًا جميلًا... وأعذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٢) رواه الطبراني عن ابن عباس بسند حسن، «صحيح الجامع الصغير» (٣/ ١١٣).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وما بكم من نعمةٍ فمن الله، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يبتلي الناس بالشرِّ والخير فتنة وإليه يرجعون.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، لم يتوفاه الله حتى دلَّ الأمة على كل خير، وحذرهم من كل شرٍّ، اللهم صلِّ وسلِّمْ عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

عباد الله: يتبادر إلى أذهان الغيورين حين الحديث عن هذه الأزمات العالمية عدةُ أسئلة، ومنها:

أين موقعُ المسلمين في هذه الأزمات؟ وهل يتوفر الصوتُ الإسلامي الداعي للإنقاذ؟ وما هي مسؤولية المسلمين في حلِّ أزمات إخوانهم المسلمين، إن أعياهم الحلُّ لأزمة العالم كلِّه؟ وبم يكون الحلُّ؟

إن سيطرة الجاهلية اليوم، وتنحية الإسلام عن القيادة سبقتها جاهلياتٌ أخرى، وفي أزمنةٍ متعددة، ودعونا نستقرئ أحداث التاريخ فيما مضى، وخاصة يوم بعث المصطفى ﷺ، فقد عمت الجاهليةُ أنحاء الأرض، ونظر اللهُ إلى أهل الأرض -حينها- فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب -كما صح عن رسول الله ﷺ- فكان الفسادُ العقديُّ، والوثنيةُ تضرب أطنابها، ليس في عالم الفرس والروم فحسب - بل وبجوار بيت الله الحرام، والأزماتُ الاقتصادية والعسكرية على قدم وساق، إذ يشيع الربا وأكل أموال الناس بالباطل، ليس فقط عند أهل الوثنية الجاهلية، بل يشاركهم أهلُ الكتاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(١)، ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾(٢).

أما الأزمات العسكرية فشاهدُها اشتعال الحروب لأتفه الأسباب، وربما امتدت الحربُ عدة عقود، فأفنت الرجال وسبيت الذرية - وربما كان لأهل الكتاب دورٌ في هذه الحروب - وكانت الجزيرةُ وما حولها مسرحًا للنهب والسلب، لغةُ القوة فيها هي السائدة، ويعبرُ عنها الشاعرُ بقوله:

ونشرب إن وردنا الماء صفوًا ويشربُ غيرُنا كدرًا وطينًا

وبعث محمدٌ ﷺ وفارسُ والروم تسيطران على أطراف الجزيرة وما حولها... ولربما قال قائل: وما موقع المسلمين المستضعفين المطاردين في هذا العالم المسيطر؟ ومع صدق الانتماء، وقوة اليقين، وشحذ الهمم والتربية الجادة من قبل محمد ﷺ تأسست شجرةُ الإيمان وصُقلت مواهبُ المؤمنين... وبدأ البساطُ يسحب من تحت أقدام الكافرين شيئًا فشيئًا حتى شمل نورُ الإسلام المعمورة ودخل الناسُ في دين الله أفواجًا، لا يضير المسلمين في هذا أن يقدموا عددًا من الشهداء، أو تمر بهم عددٌ من الأزمات فيتجاوزوها، وهنا أُذكر بواحدة من الأزمات الاقتصادية التي مرت بالمسلمين في عهد الراشدين، وكيف تجاوزوها وتعامل معها الفاروقُ رضي الله عنه بمساعدة المسلمين له، إنها أزمةُ المجاعةِ في السنة السابعة عشرة للهجرة، أو ما يُعرف بعام الرمادة، تلك التي قال الطبريُّ في وصفها: كانت الرمادةُ جوعًا أصاب الناس بالمدينة ومن حولها فأهلكهم، حتى جعلت الوحوشُ تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجلُ يذبح الشاة فيعافها من قُبحها، وإنه لمقفر(٣)، وحتى أن الأعرابي ليردُ إلى المدينة فيقسم ما أكل

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤.
(٣) «التاريخ» (٤/ ٢٢٣).

سمنًا ولا زيتًا، ولا أكلًا منذ كذا وكذا[١]... وحينها تعامل الفاروقُ مع الحدث بكل جديّةٍ وعدالة وصدق، فبعث أمراءه إلى الأمصار يستغيثهم ويستمدهم، ولربما كتب في الكتاب الواحد (الغوث الغوث مائتي مرة)، وأدرك أمراءُ الأمصار صدق عمر فصدقوا في الاستجابة معه، وقد جاء في ردِّ أحدهم: لُبيت، لبيت، لبيت يا عمر، أتاك الغوث، بعثتُ إليك عيرًا أولُها بالمدينة وآخرها بالشام[٢]، وما بالُ هؤلاء لا يستجيبون للنداء، وقد ضرب عمرُ بنفسه نموذجًا رائعًا في مشاركة المسلمين في أزمتهم، فلقد حلف لا يأكل عمرُ سمنًا ولا لحمًا حتى يحيا الناس ولربما أشحبّ لونه، أو سمع قرقرة لبطنه، فألزمها الجوع والصبر حتى تنكشف الغمةُ عن المسلمين؟

ولقد رؤي الفاروقُ عند جماعة من الناس أقدمهم الجوعُ وبلغ بهم الجهدُ مبلغه، ومعهم جلدُ ميتة مشوية يأكلونه، فما كان من عمر إلا أن نزل وطرح رداءه، ثم طبخ لهم حتى طعموا وشبعوا...[٣]

لقد بلغ عمرُ من الاهتمام بأمر المسلمين مبلغًا قدَّره له الصحابةُ والتابعون حين قالوا: «لو لم يرفع الله المَحْلَ والرمادة لظننا أن عمر يموت همًّا بأمر المسلمين»[٤].

وهكذا يكون الاهتمام بأمر المسلمين! ومع الجهود التي بذلها عمرُ والمسلمون معه عام الرمادة، فلم ينس عمرُ ربَّه في الدعاء لتفريج الكربات، ولقد أشير عليه أن يستسقي بالمسلمين، فخرج عمرُ بالمسلمين لصلاة الاستسقاء، فصلى بهم ودعا دعاءً كثيرًا، واستغفر حتى رؤيت الدموعُ تسيل على خديه، وقد بكى الناس معه، وكان يقول: لقد طلبتُ الغيث بمجادف السماء

(١) ابن سعد: «الطبقات» (٢/ ٢١٢).
(٢) عمر بن شبَّة، «تاريخ المدينة» (٢/ ٢٤٣).
(٣) ابن سعد: «الطبقات» (٢/ ٣١٤).
(٤) ابن سعد: «الطبقات» (٢/ ٣١٥).

التي بها يُستنزل المطر، ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[1][2]، هذا فوق تضرع عمر في خلواته وداخل بيته في هزيع الليل، وقد سمعه ابنه يومًا يقول في دعائه: «اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي»[3].

وكذلك يمثل عمر نموذجًا للخليفة الصالح، والرجل الناصِحِ لنفسه وأمته، والمقتدر على المشاركة في حل الأزمة، وتفعيل الأمة لحلها.

وكذلك تخرج الأمةُ من الأزمات بصدق التوجه إلى الله، والجدية في العمل والتعاون على البر والتقوى.



---

(١) سورة نوح، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) «الطبري» (٤/ ٢٢٥)، «الطبقات» (٣/ ٣٢٠).

(٣) «الطبقات» (٣/ ٣٢٠).

أذية المسلمين(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

إخوة الإسلام: يُشيع الإسلامُ المحبة بين المسلمين، وتوثق شرائعُه روابط الودِّ بين المؤمنين، وتنهى تعاليمُه عن كلِّ ما يَخِلُّ بتآلفهم وصفاء نفوسهم، ولكن الشيطان قاعدٌ للإنسان بأطرقه كلِّها ينزغ، ويوسوس، ويؤز، ويؤلب، وينصب رايته في الإفساد هنا وهناك، ولئن كان كيدُ الشيطان ضعيفًا، فما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين، وقليل من عباد الله الشكور.

إن أذية المسلم بأي شكل كانت، وبأي وسيلة تمَّت، هي من نزغات الشيطان، وهي استجابة يضعُفُ فيها الإنسانُ، وينسى فيها أو يتناسى رقابة الرحمن، وهي بلاء يُبلى بها بعضُ الناسي، ويبتلي الله بها آخرين.

وإذا كانت أذيةُ الذميِّ (غير المسلم) منهيًّا عنها في شريعة الإسلام، فما الظنُّ بأذية المسلم لأخيه في الإسلام؟

جاء في الخبر: «**من آذى ذمِّيًا فأنا خصمُه يوم القيامة**».

أما أذية المؤمن فقد عَظَّم اللهُ أمرها، ورتَّب العقوبة عليها فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(٢)، والمعنى - كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي ينسبون إليهم ما هم برءاءُ منه، لم يعملوه ولم يفعلوه، ثم ساق الخبر عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٧/ ٧/ ١٤١٩هـ.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

لأصحابه: **أيُّ الربا أربى عند الله؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أربى الربا عند الله استحلالُ عرض امرئٍ مسلم**، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. . . الآية[١].

لقد أعلنها رسولُ الهدى ﷺ صريحةً مجلجلةً: «**كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمُه، ومالُه، وعرضُه**»، بل صح عنه ﷺ أنه صعد المنبر فنادى بصوت رفيع قال: «**يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يُفض الإيمانُ إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومن يتَّبِع الله عورتَهُ يفضَحْه ولو في جوف رَحْلِه**»[٢].

وفي «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٠٠) أن ابن عمر نظر يومًا إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمنُ أعظمُ حرمةً عند الله منك.

أيها المسلمون: ما أحوجنا إلى هذا الفهم لقيمة أعراض المسلمين وحرماتهم. . . ومن لم يخشَ عقوبة الآخرة فلينتظر عقوبةً معجلةً في الدنيا، فيفضحه اللهُ في جوف رحله، نسأل الله السلامة والعافية؟

قالت أعرابيةٌ توصي ولدها: «إياك والتعرض للعيوب فتُتخذ غرضًا، وخليقٌ ألا يثبت الغرضُ على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهامُ غرضًا حتى يهي ما اشتدَّ من قوته»[٣].

وقال الأحنفُ بن قيس رحمه الله: «من أسرع إلى الناس فيما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون».

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٥٤).
(٢) «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٠٠).
(٣) الحمد: «سوء الخلق»: ١٠٧.

ومن دعا الناس إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل

إنها أخلاق السوءِ - نعوذ بالله منها - تجر أصحابها إلى الإساءة للآخرين إن بحقٍّ أو بباطل. . . وتسري آثارُهم المدمرة لتدمر ما حولها، ثم تعود لتدمر نفسها في النهاية، وكذا تفرق النميمةُ بين الأحبة، وتفرق الأمة المجتمعة.

ومن نمَّ في الناس لم تؤمن عقاربُه على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به أحدٌ من أين جاء ولا من أين يأتيه
فالويلُ للعهد منه كيف ينقضهُ والويلُ للودِّ منه كيف يُفنيه[1]

يا عباد الله: إيّاكُمْ والسخريةَ بالآخرين، والتجسسَ عليهم، وسوء الظن بهم، فذاك من الأذى المنهيّ عنه في كتاب الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

أيها المسلمون: ومظاهرُ الأذية للمسلمين لا تقف عند حدِّ الاعتداء على الأعراض - مع خطورتها وعظيم جرمها، وقبح آثارها - فهناك مظاهرُ أخرى للأذى ومنها أذيةُ المسلمين في بيوتهم كالمعاكسات الهاتفية، وكمن يتصل هاتفيًا في ساعات محرجة، فإذا فُزع أهل البيت وأجابوا النداء وإذا بالسماعة تُغلق في وجوههم، ولربما أصابوا دعوةً فتحت لها أبوابُ السماء. . . فهل هذا من خُلُق الإسلام، أم هو نوعٌ من الأذى؟

---

(١) ابن حبان، «روضة العقلاء» ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) سورة الحجرات، الآيتان: ١١، ١٢.

وفي (أدب الهاتف) (ص٣١، ٣٢) قال فضيلةُ الشيخ بكر أبو زيد عن هذه الاتصالات والمعاكسات: فهذا وايمُ الله حرامٌ حرام وإثمٌ وجناح، وفاعله حريٌّ بالعقوبة، فيخشى أن تنزل به عقوبةٌ تلوث وجه كرامته».

وقد تكون الأذية للمسلمين في الشوارع والطرقات، فالقيادةُ المتهورة، وحركاتُ التفحيط البهلوانية، ورفعُ أصوات الغناء عند الإشارات المرورية - دون ذوق أو حياء أو تقدير لمشاعر الآخرين - كلَّ ذلك أذيةٌ للمسلمين.

كما أن من الأذية للمؤمنين والمؤمنات الجلوسَ في الطرقات للنظر في النساء، أو تصيد الشباب الحسان، أو التعرض للفتيات حين خروجهن من مدارسهنَّ، ومن قُدر له الجلوسُ في الطرقات لغرض صحيح فلا بد أن يعطي الطريق حقه.

والمماطلة في أداء الحقوق المستحقَّة نوع من الأذية، ويبلغ الأذى مبلغه بقتل النفس المعصومة بغير حقٍّ.

عباد الله: وقد يتحول الأذى إلى المسلمين في مساجدهم، كمن جاء للمسجد وفي فمه رائحةٌ كريهةٌ من ثوم أو بصل أو كراث أو دخانٍ أو نحوها. . . أو في بدنه أو في ملبسه ما يُستنكر ويُستقذر وهو قادرٌ على إزالته، ودعوة القرآن: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(١)، والذين يحضرون أطفالًا يلعبون في المسجد ويزعجون ويشغلون المسلمين عن عبادتهم وخشوعهم، يؤذون المسلمين وإن كان قصدُهم حسنًا، والذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ليصل إلى مكان متقدم مع تأخره في المجيء يؤذي، وكذا أن يحضر أطفاله فيتحدثون والإمام يخطُب يؤذي الآخرين ويشوش عليهم. فتنبهوا معاشر المسلمين لهذا كله.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

أيها المسلمون: وثمة أذيّةٌ للمسلمين في الأماكن والمحافل العامة، كمن يشرب الدخان في أماكنَ التدخين ممنوعٌ فيها، أو يجاهر بمعصيةٍ ليستفز المشاعر، أو يطلق عباراتٍ لا زمام لها ولا خُطام حين يُقدر له الحديثُ نيابةً عن الآخرين، والله يقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾(١) ويقول: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(٢).

اللهم جنبنا الزلل في القول والفعل، واصرفنا واصرف عنا الأذى، وعن إخواننا المسلمين.



(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، فرَّق بين الناس في أخلاقهم وتعاملهم، كما فرّق بينهم في أشكالهم وأرزاقهم، فجعل منهم مفاتيح للخير مغاليق للشر، وجعل آخرين بضدهم، وهو العليمُ الحكيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كما أمر بحسن عبادته، أمر بالإحسان إلى خلقه، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، قال للناس يوم الحجِّ الأكبر -فيما قال-: «**ألا أن المسلم أخو المسلم، فليس يحلُّ لمسلمٍ من أخيه شيءٌ إلا ما أحلَّ من نفسه...**»(١).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

عباد الله: وأذيةُ الجار لجاره نوعٌ من الأذى المنهيِّ عنه، فللجار المسلم حقُّ الجوار، إضافةً إلى حقِّ إخوة الإسلام، وسواء كان ذلك بإسماعه ما يكره، أو تتبع عوراته، أو إفشاء أسراره، أو تخوينه فيما هو مؤتمنٌ عليه، وبالجملة فـ«**لا يدخل الجنةَ من لا يأمن جاره بوائِقَه**» رواه مسلم عن أبي هريرة: «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره...**» رواه أحمد واتفق عليه الشيخان وغيرهم(٢).

ألا واحذروا الأذية للخدم والسائقين، والعمالة المستقدمة والمكفولين، واعلموا أن أذيتكم لهم تحفر في قلوبهم الكره لكم ولدينكم وإن كنتم لا تشعرون، واجعلوا من هؤلاء سفراء لبلادكم ودعاةً إلى الله في بلادهم بحسن تعاملكم وطيب أخلاقكم، ولئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٦/ ٢٧٩). (٢) «صحيح الجامع» (٥/ ٣٤٧).

النعم، ومَنْ سنَّ في الإسلام سُنةً حسنةً، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ سنةً سيئةً فعليها وزرُها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ولا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق.

أيها المسلمون: وإذ عرفنا حُرمة أعراض المسلمين، وليس أقلَّ منه دماؤهم وأموالُهم، وألمحنا إلى أنواع من الأذى - ينبغي للمسلم أن يترفع عنها.

فما موقفُ المؤذي ممن تَعَرَّض له بالأذى؟

لا بد له من الصبر، والصبرُ على ما يصيب المسلمَ من عزم الأمور، ولا بد من احتساب الأجر، والثقة بعدل الله وجزائه إن في الدنيا، أو في الآخرة وهو أعظمُ وأبقى.

ولا بد من الحِلْم مع من يؤذي، وعدم مجاراة الجهول بجهله، وقد قيل:

إذ أنا كافيتُ الجهولَ بفعله ... فهل أنا إلا مثلُه إذ أحاوره
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائشٌ ... عليَّ فإني بالتحلُّم قاهرُه

وقال آخر:

احفظ لسانك إن لقيتَ مشاتمًا ... لا تجرينَّ مع اللئيم إذا جرى[1]
من يشتري عرض اللئيم بعرضه ... يحوي الندامة حين يقبض ما اشترى

ومن الأمور التي تحسنُ بمن أوذي تجاهُل المؤذي، حتى لا يضيع الوقتُ سدى في الهراش معه، وحتى لا يشيع ذكرُه، وقد يكون تجاهلُه أقصر الطرق لسقوطه ونهايته وأخمل لذكره، وكم هو جميلٌ قولُ القائل:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني ... فمضيت ثَمّةَ قلتُ لا يعنيني

وأجملُ من ذلك ألا يحمل الحقد أو الاشتغال بمعايب من آذاه، بل يدفع عنه

---

(١) ابن حيان: «روضة العقلاء»: ٣٤٧، ٣٤٨.

على حدِّ قول القائل:

إذا قدحوا لي نار حربٍ بزِندِهم   قدحتُ لهم في كل مكرمة زندا
وإن أكلوا لحمي وفرْتُ لحومَهم   وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحملُ الحقد القديمَ عليهمُ   وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا

لا شك أن هذه مرتبة عليّةٌ لا يستطيعها إلا عظماءُ الناس؟

إخوة الإيمان: وعلى من أوذي ثم اعتُذر إليه أن يقبل العذر، سواء كان المعتذرُ صادقًا أم كاذبًا، وفي هذا روي الحديث: «**من اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلْها، كان عليه من الخطيئة مثلُ صاحب مُكْسٍ**»[١].

والحديث وإن ضعّفه العلماء فقد قالوا بقبول عُذرِ المعتذر، قال أبو حاتم بن حبان:

«ولا يخلو المعتذرُ في اعتذاره من إحدى حالتين: إما أن يكون صادقًا في اعتذاره، أو كاذبًا، فإن كان صادقًا فقد استحق الغفران؛ لأن شرَّ الناس من لم يُقل العثرات ولا يستر الزلات، وإن كان كاذبًا فالواجبُ على المرء إذا علم من المعتذر إثم الكذب وريبته، وخضوع الاعتذار وذلته، ألا يعاقبه على الذنب السالف، بل يشكر له الإحسان المحدث الذي جاءه به في اعتذاره، وليس يعيب على المعتذر إن ذلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه، وأنشد بعضهم:

أليس اللهُ يُستعفى فيعفو   وقد ملك العقوبة والثوابا

أيها المؤذي ومن كمال عقلك وصلاح دينك ودنياك أن تتخذ من نيل الآخرين لك فرصةً لإصلاح عيوبك وتسديد نقصك، فلا يُستعانُ على العدوِّ بمثل إصلاح العيوب، وتحصين العورات، فلا تتضايق من كل نقدٍ يوجه إليك وإن كان فيه

---

(١) روضة العقلاء/ ٣٠٣، «ضعيف الجامع الصغير» (٥/ ٧١).

حق، وليكن سبيلك سبيل من قال: «رحم اللهُ من أهدى إليَّ عيوبي»[١].

يا أخا الإسلام: إياك والأذى لعباد الله بأي نوع من الأذى، فأعراضُ المسلمين كالميتة، ولحوم العلماء مسمومة، وليس يخفاك أن الله يعفو ويصلح ويغفر، أما الخلق فستطلب حقها منك في يوم لا تملك فيه إرضاءهم بالدرهم والدينار فيؤخذ لهم من حسناتك، فإن فنيت قبل قضاء حقوقهم أخذ من سيئاتهم فطرحت عليك ثم طرحتَ في النار، وذلك منتهى الخزي والخسران، كن عنصرًا نافعًا في المجتمع تجمع وتؤلف وتصلح، ولا تفرقْ وتفسد، وما بالأمة المسلمة حاجةٌ لمزيد الفرقة، وحاجتُها إلى الألفة والوحدة والتعاون على الخير ودفع الشرور لا تقلُّ عن حاجتها إلى الطعام والشراب، اللهم اجمع شمل المسلمين، ووحِّد كلمتهم على الهدى والدين، اللهم اقطع دابر المفسدين، اللهم لا تشمت بنا عدوًا ولا حاسدًا. . .



(١) «روضة العقلاء»: ٣٠٦، ٣٠٧.

(١) الأخلاق الفاضلة(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له.

إخوة الإسلام: والبرُّ حُسن الخلق.

وما فتئ المرسلون عليهم السلام يدعون الناس لمكارم الأخلاق ويحذرونهم من مساوئها، حتى جاء محمدٌ ﷺ ليُتممَ مكارم الأخلاق، ويقول: إنما بعثت لأتمّمَ مكارم الأخلاق.

وجاءت شريعةُ الإسلام داعيةً لكلِّ خلقٍ كريم، وناهيةً عن كلِّ خلق ذميم، وبعث محمدٌ ﷺ بالحنيفية السمحة، يأمر أُمته بالمعروف ويحل لأمته الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

أما هو فوصَفَهُ ربُّه بكمال الخلق فقال: **«وإنك لعلي خلق عظيم»**.

وشهد له ﷺ بحُسن الخلق القريبُ منه والبعيد، والعدوُّ والصديق، ولم يتمالك سيدُ بني حنيفة في زمنه، ثمامةُ بن أثال رضي الله عنه من الاعتراف بفضله، والشهادة بحسن خلقه، حتى أسلم، وكان قبلُ مشركًا محاربًا، ثم أعلن له إعجابه بشخصه وبدينه حين قال: يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجهٌ أبغض إلي من وجهك، وقد أصبح وجهُك الآن أحب الوجوه إليّ، والله ما كان على وجه الأرض دينٌ أبغض إليّ من دينك، وقد أصبح دينُك الآن أحبَّ الأديان إلي... إلخ كلامه، رضي الله عنه.

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٣/٧/١٤١٩هـ.

تُرى من أين نشأت هذه المحبةُ؟ وكيف انقلبت الموازين في حياة ثمامة؟ إنها مكارمُ الأخلاق، وأدبُ المعاملةِ، والعفوُ مع القدرة على الانتقام... وإذا كانت تلك المعاملةُ مع الكافر فكيف ترون معاملته ﷺ مع المسلم؟

ويكفي هنا أن نشير إلى مقولة أنسٍ رضي الله عنه: خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفٍّ قطُّ ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا، رواه مسلم. فإذا وضعت في الحسبان طول هذه المدة في الخدمة، وأن الخادم غلامٌ صغير - ومظنّةُ الخطأِ منه أكثر من الكبير.. أدركت كم هو عليه ﷺ من مكارم الأخلاق، وحسن المعاشرة.

معاشر المسلمين: أين التأسي برسول الله ﷺ في حُسن الخُلُق، ومَن منا يرغِّب الآخرين في الإسلام من خلال حسن خُلُقِه وطيب معاملته؟ وكم مِن المسلمين من يدعو للإسلام بسلوكياته الفاضلة وأخلاقه العالية قبل أن يدعو بلسانِه ومقالِه؟

إنها أزمةُ أخلاق يعيشها أعدادٌ كثيرةٌ من المسلمين، وكم يخسر العالمُ بانحطاط أخلاق المسلمين، فوق ما يخسره المسلمون أنفسهم.

عباد الله: ومما يدعو إلى حسن الخلق فضلُه العظيم، ومكانةُ أصحابه عند الله وعند رسوله ﷺ، وبين الناس. فصاحبُ الخُلقِ الحسن من أكمل المؤمنين إيمانًا. رواه أبو داود والترمذي وصححه ابنُ حبان(١).

وأصحاب الخُلُق الحسَنِ من خيار المسلمين: «**إنَّ من خيركم أحسنِكم خُلُقًا**» رواه البخاري في «صحيحه»(٢).

وإذا تنافس المتنافسون في الصلاة والصيام فينبغي كذلك أن يتنافسوا في

(١) «الفتح» (١٠/ ٤٥٢). (٢) «الفتح» (١٠/ ٤٢٥).

مكارم الأخلاق، وفي الحديث: «**وإن صاحب حُسنِ الخُلُق ليبلغ درجةَ صاحب الصوم والصلاة**»[١]، وإذا طاشت موازينُ العبدِ أثقلها حسنُ الخلق، يقول عليه الصلاة والسلام: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»[٢]، والجنة مبتغى العاملين المخلصين، وحُسن الخلق يوصل العبد إليها بإذن الله، «سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: **تقوى الله وحسنُ الخلق**»[٣]، ومع محبة الرسول ﷺ لأصحاب الأخلاق الفاضلة فهم أقربُ الناس إليه ﷺ يوم القيامة، يقول ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا...**»[٤].

عبادَ الله: ولئن ضاقت أموالكم أن تسع الناس فسعوهم بأخلاقكم «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسنُ الخلق**»[٥].

ويح المفلسين لا من الدرهم والدينار... ولكن من رصيد الأخلاق، قال عليه الصلاة والسلام: «**ولكن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[٦].

---

(١) رواه الترمذي والبزار وأبو داود والحاكم وغيرهم «الفتح» (١٠/ ٤٥٨).
(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي وصححه وغيرهما: (١٠/ ٤٥٨).
(٣) أخرجه الترمذي وابنُ حبان وصححاه - «الفتح» (١٠/ ٤٥٨).
(٤) رواه الترمذي وحسنه - «جامع الأصول» (٤/ ٦).
(٥) رواه البزار بسند حسن - «الفتح» (١٠/ ٤٥٩).
(٦) رواه مسلم: (٢٥٨١).

يا أخا الإسلام: أتقدر هذا الموقف حقَّ قدره وأنت تتعامل مع الناس، ولربما أغواك الشيطان أو زين لك إخوانُ الشياطين فظننتَ أن التَّحيُّل على الخلقِ بالإساءة نوعٌ من الشطارة، وأن الغشَّ في المعاملةِ قدرةٌ فائقةٌ... وويل لمن يأمنه الناس ظاهرًا، فإذا به يغدر بهم سرًا، وبئس أخو العشيرة من ودعه الناسُ اتقاءَ فحشِه، وأولئك شرُّ الناس منزلة عند الله، كما أخبر النبيُّ ﷺ، وما أعظم الخطبُ حين تسوء أخلاق أهل الديانة والفضل والعلم، وأعظم منه حين يمارس الخطأ... ويسوء الخُلُق وصاحبُه يظن ذلك من الدين... وأين حسنَ الخلق من تقطيب الجبين، أو من الشدة في معاملة الآخرين، أو الثورة العارمة لخطأ يقع من جاهل في الدين أو سفيه غرّه صلفُ الشباب - وتقويمُه ليس عسيرًا، وصلاحه ليس مستحيلًا؟ وينبغي أن يُفرق بن الغيرة لدين الله، والتصرف المحمود حيال المنكر وحسن المعاملة مع المخطئ - وقد يقود الإنكار الخالي من حسن الخلق إلى وجودِ منكر أبكر... ولقد أوحي إلى خير البرية من ربه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ﴾[1].

أيها المسلم: ومن حُسن خُلُقِك أن تفشي السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وإذا كان سهلًا عليك أن تنبسط إلى أصحابك وخلانك... فالامتحانُ في قدرتك على الانبساط مع الآخرين وحسن تعاملك معهم، وكونهم يألفونك وتألفهم، ويثقون بك ويأمنونك على أسرارهم، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف.

إخوة الإيمان: وتعجز الحضاراتُ المادية المجردة من تعاليم السماء وهدي

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

المرسلين أن ترقى بأصحابها إلى معالي الأخلاق، مهما أوتوا نصيبًا من العلم في مظاهر الحياة الدنيا، ويأبى اللهُ لغير شرعه إلا أن يرتكس أصحابُه في حمأة الرذيلة، ويتمرغوا في أوحال الفساد ويسقوا كؤوسًا مرة في أنواع الجريمة وتكاثرها. . . وكذلك الحالُ في واقع هذه الدول الكافرة وليس الخبرُ كالعيان.

والمصيبةُ أن هذه الأخلاق الفاسدة من قبل هذه الدول الكافرة بدأت تغزو العالم الإسلامي، وعبر وسائل جديدة، وقلَّ من يتفطن لمخاطرها الخلقية في الحاضر والمستقبل.

أجل: إن فضائيات اليوم في معظمها لا تستحي من نقل الصورة العارية والمسلسل الهابط، والفكر المنحرف، وكل ذلك معاولُ هدمٍ للقيم والأخلاق. . . وهي جريمة كبرى بحق القيم والأخلاق يتولى كبرها الدولُ المصدرةُ لها.

ولم يبعد عن الحقيقة من قال: «إن الحضارة الغربية ارتكبت أعظم جرم عرفه التاريخ بحقّ ثقافات العالم وشعوبه لتبني لنفسها حضارةً سلطويةً شرسة تتجه اتجاهًا كارثيًا مخيفًا، ربما يؤدي في النهاية إلى الدمار»[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢].

❁ ❁ ❁

(١) روجيه جارودي، عن: «نحو ثقافة إسلامية أصيلة»، عمر الأشقر ص٨.
(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ ولي الصالحين وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله صفوة الخلق أجمعين، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين.

إخوة الإيمان: وبالأخلاق الكريمة جاءت شرائعُ السماء وبعث المرسلون لعلاج ما فسد من فطر الناس وأخلاقهم، وبالأخلاق الحسنة أوصى الحكماءُ أبناءهم.

فمما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت، ولا شك أن الحياء من أساسيات الأخلاق الفاضلة.

ومن وصايا لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[١].

إن الخُلُق في منابع الإسلام الأولى - من كتاب وسنة - هو الدين كلُّه وهو الدنيا كلُّها، فإن نقصت أمةٌ حظًا من رفعة في صلتها بالله، أو في مكانتها بين الناس فبقدر نقصانِ فضائلها وانهزام خُلُقِها[٢].

أجل: إن الأخلاق عمادُ الأمم، وهي سببٌ مهم في تماسك الدول وبقائها.

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ   فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعلى المسلمين أن يتنبهوا إلى قيمة الأخلاق في صراعهم الحضاري مع الأمم الأخرى... وهل تستطيع أمة أن تثبت وجودها إذا أضاعت مقوماتِ شخصيتها؟ وانهارت أخلاقُها؟

---

(١) سورة لقمان، الآيتان: ١٨، ١٩.   (٢) الغزالي: «خلق المسلم»: ٣٧.

ولا غرابة أن تنحى الدولُ الكبرى منحى جديدًا في حرب القيم والأخلاق في سبيل القضاء على خصومها. . . وذلك أن هذا النوع من الحربِ أكثرُ أثرًا وأقلُّ خسارة من الحروب المادية.

وعلى كل مسلم أن يتصور أنه كلما ضعف في انتمائه لدينه، وتمسُّكه بأخلاقه، فإنما يقلل بسلوكه هذا من جنود المسلمين، ويزرع جنديًا آخر غريبًا في بلاد المسلمين.

إن فساد الأخلاق طريق لانتهاك الأعراض، وضياع الأموال، وقتل الأنفس بغير حق، وفي حسن الأخلاق ضمان بإذن الله للأمن، وانتشار الخير، وحصول الرخاء.

عباد الله: وإذا كانت الأخلاقُ الكريمةُ بهذه المثابة من الأجر والأثر، فما أحرانا أن نتعرف عليها أو على شيء منها، ومن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فليجاهد نفسه على الإصلاح والاستقامة، وقد يطول بنا المُقام لو ذهبنا نحصي الأخلاق الكريمة: كالصدق والصبر والشجاعة والحِلْمِ والحياء، والكرم والرفق ونحوها؛ ولكن بعض العارفين أرجع هذه الأخلاق الفاضلة إلى أربعة أصول، هي: الصبر، والعفةُ، والشجاعة، والعدل، والسرُّ في ذلك - كما قيل - إن الصبر يَحْمِل صاحبه على الاحتمال وكظم الغيظ، وإماطة الأذى، والحلم، والأناة، والرفق وعدم الطيش والعجلة. والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء، وهو ركنُ كل خير، وتمنعه من الفُحشِ والبخل والكذب والغيبة والنميمة.

والشجاعةُ تحمله على عزةِ النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والندى[1]، الذي هو شجاعةُ النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته،

(١) الجود.

كما تحمله الشجاعةُ على كظم الغيظ والحلم، وهذه هي حقيقة الشجاعة، فهي مَلَكةٌ يقتدر بها على قهر خصومه: «**وليس الشديد بالصرعة، إنما الشديدُ الذي يملك نفسَه عند الغضب**».

أما العدلُ فيحمل صاحبه على اعتدال أخلاقه وتوسطه بين طرفي الإفراط والتفريط، فلا يُسرف ولا يُقتر، ولا يجبن ولا يتهور، ولا يغضب ولا يُهان... وهكذا...[١].

يا أخا الإسلام: عُدْ إلى نفسك وتأمل قربك أو بعدك من هذه الأخلاق، واعلم أنها سببٌ للسعادة في الدنيا وطريق إلى الجنة في الآخرة، فيها رضى الله وقربٌ من الرسول ﷺ وبها تحصل محبة الناس، والعكسُ بالعكس... وفضل الله يؤتيه من يشاء: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٢].

وهنا يرد سؤال مهم، هل يمكن اكتسابُ هذه الأخلاق الفاضلة... أم أنها فطرية جِبلِّية يقسمها الله وهو أعلم وأحكم؟

وما الطريقُ لاكتساب الأخلاق الفاضلة؟

وما الأسباب في انتشار الأخلاق السيئة.

كلُّ ذلك وغيره، أستكمل الحديث عنه في الخطبة القادمة بإذن الله.

اللهم ألهمنا رشدنا، وأصلح أحوالنا، اللهم وكما حَسَّنت خَلْقَنا فَحسِّن خُلُقنا...



(١) انظر: عمر الأشقر: «نحو ثقافة إسلامية أصيلة» ص١٦٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) الأخلاق الفاضلة(١)
طرق اكتسابها .. أسباب ضعفها

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له.

أيها المسلمون: قال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني فقال: «**اتق الله حيث كنت**» قال: زدني، قال: «أَتبع السيئة الحسنةَ تمحُها» قال: زدني، قال: «**خالق الناسَ بخُلق حسن**»(٢).

وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: «**كَرَمُ المؤمنِ دينُه، وَحسَبُه حُسْنُ خُلُقِه، ومروءتُهُ عقلهُ**»(٣).

وقال الحسن: من ساء خُلُقُه عذَّب نفسَه(٤).

وقال الفضيل: لأن يصحبني فاجرٌ حسنُ الخلق، أحب إليَّ من أن يصحبني عابدٌ سيئُ الخلق(٤).

ومن وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خالطوا الناسَ بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال»(٤).

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٠/ ٧/ ١٤١٩هـ.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح - «الإحياء» (٨/ ١٤٢٨).

(٣) رُوِي مرفوعًا، وموقوفًا عن عمر بإسناد صحيح - «الإحياء» ١٤٣٠.

(٤) السابق (٤/ ١٤٣٣).

وقال الجنيد: أربعٌ ترفع العبدَ إلى أعلى الدرجات، وإن قلَّ عملُه وعلمُه: الحلمُ، والتواضع، والسخاء، وحسنُ الخُلُق، وهو كمالُ الإيمان[١].

إخوة الإيمان: وحيث مضى حديثٌ عن فضلِ حسن الخلق وأثره، ونماذج من خُلقُه ﷺ وإشارة إلى أصول الأخلاق الفاضلة.

فحديث اليوم يرتكز على ثلاث نقاطٍ أساسية:

١- فطرية بعض الأخلاق واكتساب بعضِها.

٢- العوامل المؤثرة سلبًا في الأخلاق.

٣- العلاج وطرق اكتساب الأخلاق الفاضلة.

أما فطرية الأخلاق، وإمكانيةُ تقويمها، فقد ذهب بعضُ الباحثين والفلاسفة إلى أن الأخلاق غرائزُ في النفس الإنسانية لا تقبل تقويمًا ولا تعديلًا، وهذه نظرةٌ خاطئةٌ، وقد استغلها من ثقلت عليه مجاهدةُ نفسهِ فراح يبرر لها ما هو مقيمٌ عليه من ذميم الأخلاق، بأنه ليس في وسعه تغيير ما طُبع عليه وجُبل.

ولكن الصواب من القول أن من الأخلاق الكريمة ما يطبع عليه صاحبُه - فهذا يحمد الله على ما آتاه اللهُ من فضله، ومن الأخلاق الكريمة ما يُنال بالاكتساب والمجاهدة.

وفي حديث أشج عبد القيس أن النبيَّ ﷺ قال له: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلمَ والأناةَ**» قال: يا رسول الله قديمًا كانا فيَّ أو حديثًا؟ قال: «**قديمًا**» قال: الحمدُ لله الذي جبلني على خُلُقين يحبهما الله[٢].

قال ابنُ حجر في شرحه للحديث: فترديده السؤالَ وتقريره عليه يُشعر بأن في

---

(١) الإحياء: ٤/ ١٤٣٣.
(٢) رواه أحمد والبخاري وغيرهما.

الخلق ما هو جبلِّي وما هو مكتسب[١].

ويقول القرطبي مشيرًا إلى ما في الخُلُق من جبلةٍ وما يمكن أن يكتسب: الخُلُق جبلةٌ في نوعِ الإنسان وهم فيه متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها إن كان محمودًا، وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودًا، وكذا إنْ كان ضعيفًا فيرتاض صاحبه حتى يقوى[٢].

وفي حديث الغزالي في «الإحياء» عن الأخلاق، عقد فصلًا في (بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة)، ومما قاله: (فلو كانت الأخلاقُ لا تقبلُ التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ، والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ «**حسِّنوا أخلاقَكم**»).

وكيف يُنكر هذا في حقِّ الآدمي، وتغييرُ خلق البهيمةِ ممكن، إذ ينقل البازيُّ من الاستيحاش إلى الأنس، والكلبُ من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، ولك ذلك تغييرٌ للأخلاق... إلخ كلامه الطويل[٣].

عباد الله: ولو كان تقويم الأخلاق وتهذيبُها غيرَ مستطاع لكانت دعوةُ الشرائع إلى ذلك عبثًا لا طائل تحته - والشريعة الربانية تُنزَّه عن هذا، والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، ولا يحملها ما لا تطيق، وقد حثت الشريعة على كريم الأخلاق، كما أنه صحَّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**إنما العلم بالتعلم، والحِلْمُ بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يُعطه**»[٤].

---

(١) الفتح ١٠/٤٥٩.
(٢) نقله ابنُ حجر في الفتح ١٠/٤٥٩.
(٣) الإحياء: ٤/١٤٣٨، ١٤٣٩.
(٤) رواه الخطيبُ بسند حسنٍ عن أبي هريرة، انظر: الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة: ١٦٣.

وفي هذا دليلٌ على إمكانية اكتسابِ الأخلاقِ الفاضلةِ، وترويض النفس عليها.

إخوة الإسلام: وقبل أن أعرض للطرق المعينة على اكتساب الأخلاق الفاضلة، أقف عند العوامل المؤثرة على سوء الأخلاق، وكيف تتأثر القيمُ، وتنحدر الطباع.

ومن أقوى العوامل المؤثرة على سوء الخلق: ضعفُ الإيمان بالله، وضعفُ اليقين بجزاء الآخرة، وهذا الصنفُ لا يهمه حسنت أخلاقُه أم ساءت، أما الذين يرجون لقاء ربهم فيدللون على ذلك بعملهم الصالحات، والأخلاقُ جانب مهم منها.

والمتقون لو ضعفوا ومسَّهم طائف من الشيطان تذكَّروا فإذا هم مبصرون، ولا يتورع المجرمون والمفلسون عن ضرب هذا، وشتم هذا، وأكل مال هذا، والتطاول على عرض ذاك، وهكذا تتراكم سوءات الأخلاق لمن لا خلاق لهم ولا يرجون لقاء ربِّهم ولا يطمعون في رفيع الدرجات.

ومن العوامل: القرين، فله أثره على قرينه.

ومن العوامل كذلك: حبُّ الدنيا، والطمعُ فيها والجشع، وكل ذلك يعمي صاحبه عن معالي الأمور والتعامل مع الناس بالحسنى، وكم وقع بين الناس بسبب ذلك من قطيعة وخصومة وتنافر، وشحناء، ولربما تسابقوا في سوء الخلق ورديء الكلام، وأين هذا من السخاء والكرم، والصبر والحِلْمِ والتواضع والصفح، والتعاون على الخير... وغيرها من خلال كريمةٍ لا يُلقَّاها إلا الذين صبروا، وما يلقَّاها إلا ذو حظٍّ عظيم، ولو هانت الدنيا في قلوبهم لحسنت أخلاقُهم، وساد الودُّ والوئام بينهم، وإلى الله المشتكى.

ثالثًا: ومن عوامل ضعف الأخلاق: ضعفُ الرادع، وغياب العقوبة أو

ضعفُها أحيانًا - إذ في النفوس من لا تردعها إلا العقوبة وسلطانُ الجزاء، وسواء كانت العقوبة حسيةً أم معنويةً - فكل ذلك وازعٌ ومهذبٌ للنفس، ويزعُ اللهُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وعذابُ الدنيا عند الجهلة أخوفُ من عذاب الآخرة.

وقد تؤدي العقوبةُ المعنويةُ مثل أو أعظم ممّا تؤديه العقوبة الحسية، وهاكم نموذجًا من هديه ﷺ في علاج رديء الأخلاق، أخرج الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا اطلع على أحدٍ من أهل بيته كذب كذبةً لم يزل معرضًا عنه حتى يحدث توبة[1].

وهذا أُسلوب تربوي في علاج الأخطاء على المربين أن يتأملوه ويعملوا به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].



(١) صحيح الجامع ح: ٤٦٧٥، المسند ٦/ ١٥٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥، ٦.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، يحب الصابرين والمحسنين، ويجزي المتصدقين، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، أمر بالتقوى والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخَّابًا بالأسواق، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أيها المؤمنون: أما السبب الرابعُ من أسباب تلوّث الأخلاق ورداءتها، فهو ذلك الركامُ الهائلُ الذي تبثه وسائل الإعلام وتدمر به الأخلاق وتهدم القيم.

وإنها لحرب أعنفُ وأمضى أثرًا من الحروب العسكرية، إذ كانت الحربُ فيما مضى قصرًا على الرجالِ المحاربين، أما هذه الحربُ الإعلاميةُ فهي شاملةٌ للنساءِ والأطفال، والشيوخ والشباب، وكنا في حروبنا مع أعدائنا فيما مضى ندافعهم حتى يسقط آخرُ سهمٍ بأيدينا، أما الآن فنحن نستجلب من الوسائل ما يدمرنا، ونفتعل حروبًا مدمرةً لأهلينا وأولادنا، داخل بيوتنا.

عباد الله: أليست البرامجُ الهابطة المثيرة للغرائز سببًا في انتشارِ فواحشِ الزنا واللواط، أليست الصورة الفاتنة سببًا للسفور ودعوة لنزع الحجاب؟ أليست الثقافةُ المسمومة سببًا في الانحراف الفكري والتغريب الثقافي، وهكذا يتردى الناسُ في الفتن وتتلوث أخلاقهم وهم لا يشعرون، والفتنة أشدُّ من القتل... والقتلُ - وإن كان بطيئًا - فهو أشدُّ أثرًا من الجراح في معركةٍ يتقابل فيها المحاربون. ألا فانتبهوا عباد الله لأثر هذه الوسائل المدمرة، وحصِّنوا أنفسكم ومَنْ تحت أيديكم من آثارها، ومن استرعاه اللهُ رعيَّة فمات وهو غاشٌّ لها لم يرح رائحة الجنة.

أيها المسلمون: ولئن سألتم عن العلاج وطرق اكتساب الأخلاق الفاضلة، فهي كثيرة... ولكنها محتاجة إلى صدق ويقين وحزم وعزم ومجاهدة للنفسِ وترويضٍ لها.

وهذه أولى القواعد، وهي منطلقة من قاعدة: «**إنَّما العلم بالتعلم والحلم بالتحلُّم**»، وكم أفلح المروضون لأنفسهم والمزكون لها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1].

ولا بد ثانيًا من انتزاع معوقات اكتساب الأخلاق الفاضلة من النفس، فإذا كان الطمعُ والخوفُ من أهم هذه المعوقات فيمكن استبعادُهما بالثقة بما عند الله والتوكل عليه وحده.

وهكذا ينبغي أن يُنتزع من النفس كلُّ خُلقٍ رديء يعوِّقُ عن اكتساب الخلُق الحَسَنِ.

٣- ومن الأمور المعينة على اكتساب الأخلاق الفاضلة، تقديرُ الأمور العامة في التربية والتأكيدُ عليها، فالأبوان مثلًا عنصرٌ مهم في التربية، وللعلماء دور في قيادة الأمة وتوجيهها، ويوم أن تسقط هيبةُ الوالدين عند الأولاد أو يقل تقدير العامة لأهل العلم فإن مؤشر الأخلاق ينحدر، وتُحطَّم الحواجز، ويقود السفينة غيرُ ربانها.

٤- وقراءةُ السير وتراجم النبلاء طريقٌ من طرق اكتساب الأخلاق، ويقال: تراجمُ الرجال مدارسُ الأجيال، ومعلومٌ أن الخير مُفرَّق بين الناس -قديمًا وحديثًا- فهذا حليم، وهذا شجاع، وذاك كريم، ورابع يضرب المثلُ بصبره... وهكذا، والإطلاعُ على هذه في تراجم أصحابها يدعو الأجيال اللاحقة لمحاكاتها،

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠.

فتتحسّن أخلاقهُم، وتتهذب سلوكياتهم، ويتصل أواخرُ هذه الأمة بأوائلها.

٥- وتقديرُ مشاعرِ الآخرين طريق لاكتساب الخُلق الفاضل، ومن جَليل الحكم: وآتِ للناس الذي تحبُّ أن يؤتى إليك، وأحبَّ للناسِ ما تحبه لنفسك. وصاحبُ هذا الشعور كلما همَّ بخلقٍ سيّئٍ للآخرين تذكر كرهَه هو لإساءة الآخرين له فأقلع عما هَمَّ به.

٦- والشكرُ والاعترافُ بما أنعم اللهُ به عليك طريقٌ مهم لاكتساب الأخلاق الفاضلة، ذلك أن في النفس شرهًا وكفرانًا للنعم لا تستقيم معه الأخلاقُ الفاضلة، وتقييدها بلجام الشكرِ لله على كل نعمة، وسؤاله المزيد من فضله، وتذكر من هو أقلَّ منه، أو من حُرم النعمة التي أُوتيها كل ذلك يهذب النفس من جانب، ويدعو لمزيد من النعم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(١)].

٧- ولا بد من الاعتدال والتوازن لمن يريد اكتساب الأخلاق الفاضلة، والحدُّ الوسطُ في الاعتدال كما قيل أن تُعطيَ من نفسِك الواجبَ وتأخذَه، وحدُّ الجور: أن تأخذه ولا تعطيه[(٢)].

٨- وثمة أمرٌ مهم لاكتساب الخُلُق الفاضل ألا وهو الدعاء، فلا تجعل بينك وبين الله وسائط في سؤال أيِّ نعمةٍ، ومنها الخلق الحسن، وقد كان من دعائه ﷺ في استفتاح الصلاة: «**واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[(٣)].

فإذا كان هذا دعاءَ من قيل له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(٤)]، فكيف يزهد غيره بالدعاء عامة وفي حسن الخلق خاصة؟!

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.   (٢) ابن حزم: الأخلاق والسير.

(٣) رواه النسائي بإسناد صحيح (صفة صلاة النبي ﷺ ص٧٤، د. الأشقر، «نحو ثقافة»: ١٦٣).

(٤) سورة القلم، الآية: ٤.

أفكار في التربية والتعليم مع بدء العام الجديد(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٣).

عباد الله: انقضت إجازةٌ تعد من أطول الإجازات، طويت فيها صحائفُ ورحل فيها عن الدنيا من رحل، وولد فيها من ولد، وأطلّ على الدنيا خلالها جيلٌ جديد، وعمّر من عمّر: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٤)، ومن جانب آخر: كسب من كسب في هذه الإجازة بحفظ الوقت وصرف الأعمار بطاعة الله وطلب علم أو عمل مفيد لنفسه أو لمجتمعه أو للأمة من حوله، وفرّط من فرط بكثرة النوم، أو إضاعة الأوقات دون فائدةٍ، أو صرفها بما يضرُّ في دينه أو دنياه... وكذلك يتفاوت الناسُ دائمًا في تقدير قيمة الزمن، ومستوى الهمم، وهيهات أن يعود الزمان بعد ذهابه،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٣٠/ ٥/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١١.

وسيكون شاهدًا للمرء أو عليه. . . وفي سرعة الزمن عبرةٌ موقظةٌ لذوي البصائر، إذ هو منبهٌ لقصر الآجال، وفناء الأعمار، وما الدنيا كلُّها بالنسبة للآخرة إلا قليل: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

أيها المسلمون: تلك وقفةٌ أولى حول انقضاء الإجازة، أما الوقفة الثانية، فهي التذكيرُ بالحاجة الملحة إلى وضع برامج مفيدة طوال فترة الإجازة، إذ من الظواهر التي لا تكاد تخفى على مُطَّلِعٍ ضياعُ أوقات الناس - وبخاصة الشباب -من الجنسين- بكثرة النوم أو بسفريات غير مدروسة الأهداف، وقليلة الفوائد، وحريٌّ بالمؤسسات التربوية، وبالمربين أن يدرسوا هذه الظاهرة ويفكروا في عددٍ من الوسائل لاستثمار أوقات الشباب بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع، إذ هم عماد الأمة مستقبلًا، وبإعدادهم وتربيتهم يكون تحدي الأمم، ويُصنع التاريخ، وبوركت الأمة تُعنى بشبابها وفتياتها، وتستثمر أوقاتهم وتُهيِّئُ الفرص النافعة لهم.

إن المراكز الصيفية والدورات العلمية، والرحلات الهادفة وأمثالها وسائل في الطريق الصحيح لاستثمار الإجازة ولكنها غيرُ كافية، وغيرُ شاملة لعموم الشباب والشابات، وذلك يستدعي مزيدًا من التفكير، والتطوير في الوسائل والبرامج حتى تستوعب هذه البرامجُ أكبر عددٍ ممكن، وتَملأ أوقات الفراغ بالمفيد المنتج، وتسهم بإعداد جيلٍ قادر على التحدي، بل وعلى الصمود في مواجهة الحروب الباردة أو الساخنة، ثابتٍ على المبدأ الحق في زمن غزو الفضائيات، ومشاريع العولمة، ونحوها.

أيها الشباب، أيتها الفتيات: وانقضت الإجازة وبدأ العامُ الدراسيُّ الجديد،

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧.

فبأي همةٍ استقبلتم العام الجديد. والمؤملُ فيكم استقبالُ العام بجدية في التحصيل العلمي وإخلاص في طلب العلم، وتزينٍ بأخلاق العلم، وارتداء لَبُوسِ العلماء، ولا ينبغي أن يكون الهدف الأولُ والأخير من العلم الحصول على الشهادة، وتوفر الوظيفة... فهذه وإن كانت مهمةً فالعلم أغلى وأجلُّ، ولئن دعت الحاجةُ في الدنيا إلى الوظيفة والعمل، فالحاجة أدعى إلى تعلم العلم الذي به يصل المرءُ إلى المنازل العالية في الجنة، وبالعلم النافع يعرف المرءُ ربَّه، وبه يتعلم أحكام الدين، وأدب التعامل مع الآخرين، ويكفي العلمَ فخرًا ورفعة أن يقول الله عن أصحابه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾[1]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وإذا كان العلمُ يرفع بيتًا لا عماد له، فالجهلُ يهدم بيت العز والشرف.

أيها المربون أنتم مؤتمنون على التعليم وعلى رعاية المتعلمين، هيِّئوا الفُرصَ المناسبة لهم. واعتمدوا الانطلاقة من الثوابت والأصول في شريعة الإسلام، جدِّدوا في الوسائل التعليمية بما يساير العصر - واستحدثوا من البرامج التعليمية ما يجعل أبناءنا في مقدمة الركب، واجعلوا من التعليم أداةً للصمود في حرب العقائد وغزو الأفكار والقيم، فالأمة مقبلة على مستقبل مخيف، تتناوشه طروحات غريبة، ويمسك بالقيادة غير المسلمين. وفرقٌ بين تطوير التربية والتعليم بما ينفعُ الأمة في حاضرها ومستقبلها، وبين التضليل وعلمنة التعليم، فتلك هزيمةٌ مبكرّة، بل وانتقال من الاستعمار العسكري إلى الاستعمار الثقافي، وليس الآخرُ بأقلَّ خطرًا من الأول.

إنها مأساةٌ حين تختلط في أذهان بعض المثقفين أو المثقفات حتميةُ العلمنة

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١. (٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

مع التطوير في أي جانب من جوانب الحياة، ومن أبرزها التربية والتعليم، ومأساةٌ أخرى حين يظُن آخرون أن من لوازم الأصالة نفيَ التطوير ولو كان سليمًا نافعًا، ولعل من المفيد أن نتذكر واحدةً من توصيات المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة عام سبعة وتسعين وثلاث مائة وألف للهجرة، وقد جاء في هذه التوصية: «لا قيود على العلم النظري أو التجريبي في التصور الإسلامي سوى قيدٍ واحدٍ يتصل بالغايات والمقاصد، فلا ينبغي أن يستخدم في إفساد العقيدة والأخلاق، كما لا يجوز أن يكون أداةً للإضرار والعدوان»[(١)].

إخوة الإسلام: إن من الفساد والعدوان في تطوير المناهج أن تبرز نظريات في عالمنا الإسلامي تنادي بالمساواة بين المسلم واليهودي والنصراني، وتدعو إلى وحدة الأديان، والأخطرُ حين ينتقل إلى خطوات عملية، فتحذفُ من المناهج الدراسية آياتٌ قرآنيةٌ محكمة تتحدث عن اليهود أو النصارى بوصفهم أعداء للمسلمين، لا يجوز موالاتُهم، أو تُنكرُ نصوصٌ من السنة النبوية الصحيحة تحذر من التبعية لليهود والنصارى، وتكشف عداوتهم للمسلمين، أو تحذف الموضوعات المتعلقة بالجهاد في سبيل الله. أو نحو ذلك. وانكشفت بتعاليمه ﷺ ضلالاتُ أهلِ الكتاب وتعسفهم وظلمهم وصدق الله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[(٢)].

معاشر المسلمين: ومن الحقِّ والعدل أن نقولَ: إنَّ المناهج الدراسية في هذه

---

(١) «التطوير بين الحقيقة والتضليل» د. جمال عبد الهادي، علي أحمد لين ص٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٥، ١٦.

البلاد المباركة تُعدُّ من أفضل المناهج في عالمنا الإسلامي، ورغم وجهاتِ النظرِ الغربية التي تطرح أحيانًا لتغيير المسار الآمن، فلا يزال عند المسؤولين قناعةٌ بأهمية التميِّز والأصالة في مناهج بلاد الحرمين، وبما لا يتعارض مع التطوير المثمر والتجديد للأحسن، ولا سيما ونحن في زمن باتت الدولُ تعنى بتراثها وتنطلق من أصولها العقدية والفكرية.

ونحن في هذه البلاد نفخر بذكر تجربة في التعليم طبقت أول ما طبقت في بلادنا، ثم عمَّ نورُها الأرض من حولنا، تلكم هي التجربة الأولى في التعليم التي قادها محمد ﷺ بتوجيه رباني: «اقرأ باسم ربك» وحينها كانت أمة العرب أمةً أميةً، وكانت الأمم من حولها تفاخر بعلمها وحضارتها، ولكن علمَ هؤلاء وحضارتهم أضاف إلى الكون ظلمةً وأسبغ على الشعوب الذلة والمهانة، وساد الظلم وأسنت الحياة، فبعث المعلمُ الأولُ بها الحياة من جديد، بمنهج رباني يقوم على تحرير الناس من كل عبودية سوى العبوديّة للهِ، وتعليم الناس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وعلى أضواء هذا العلم الكاشف تلاشت الظلمات، وبدأ بساط الظلم والجهل يُطوى وانتشر الخير وعمَّ العدلُ.



الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أنزل على رسوله أول ما أنزل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾(١).

والصلاةُ والسلام على النبيِّ الأمي الذي عَلَّمَهُ ربُّه ما لم يكن يعلم، فعلَّمَ الأميين، وفاق بأدبه وخلقه وعلمه أهل الكتاب الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين.

وبعد -إخوة الإسلام-: فمن الوقفات مع بدء العام الدراسي الجديد - وقفةٌ مع المعلمين والمعلمات تذكرهم بأمانة التعليم ومسؤولية التربية، وأهمية القدوة والإخلاص في الأداء، وربط المعلومة بالواقع، ومتابعة الطلاب والطالبات، وتشجيع النابهين وإعانة المتخلفين، وتقويم ما انحرف من سلوك، وعدم تكليف الطلاب والطالبات ما يشق عليهم أو أوليائهم.

وهنا وقفةٌ أخرى يشترك في ضرورة التنبيه إليها إدارة المدرسة مع المعلمين، مع الأولياء، ألا وهي عدمُ المبالغة في تأمين الأدوات المدرسية، والإسراف في الطلبات إلى حد يرهق الأولياء، وربما كسر قلوب الفقراء الذين لا يجدون ما يوفرون به هذه المتطلبات من جانب، ويجدون إلحاحًا من أبنائهم وبناتهم على توفيرها من جانب آخر، ويدخل في هذا الجانب إسرافُ بعض الأولياء في النقود

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

التي يصرفونها لأبنائهم وبناتهم للفسحة بما يفوق حاجتهم، ويؤثر على نفسيات أبناء الأسر الفقيرة من زملائهم، وتحية للأولياء المقتصدين، ولو كانوا قادرين، واضعين نصب أعينهم مشاعر الآخرين، وهنا اقتراحٌ حريٌّ بالدراسة وهو دفعُ مبلغ من المال محدد من كل طالب وطالبة مع بداية الفصل، وتتولى المدرسة تأمين فسحةٍ يومية مناسبة لكل طالب وطالبة على حدٍّ سواء، فذلك يريحُ الأولياء من جانب، ويشعرُ الطلاب بالمواساة من جانب آخر، وربما كان فيه ترشيدٌ للنفقة من جانب ثالث، وتسهم المدرسةُ فيه بتأليف قلوب الطلبة والطالبات وإشراك بعضهم في خدمةِ بعض من جانب رابع... وهكذا... وكذلك الأدوات المدرسية لو أمكن تحديدُها من قبل المدرسة بشكل جماعي محدد ومقتصد لأراح الأولياء والمدرسة... إنها مشكلةٌ أن يتعلق الطالبُ أو الطالبة بشكليات التعليم، ويتنافس الأولياء في تأمين أحسن الأنواع، أما لبُّ التعليم والهدفُ من التحصيل فلا نجد فيه مثل هذه المنافسة.

وهنا أقف مذكرًا إخواني الطلاب وأخواتي الطالبات بمسألة غايةٍ في الأهمية، بل لعلها الهدفُ من التعليم أساسًا ألا وهي العملُ بالعلم واستثمارُ العلم وسيلةً لنهوض الأمة وتقدمها، وتلك مسألة لا ينفرد الطلاب في التنبيه عليها، بل هي جزءٌ من مسؤولية المعلمين والمعلمات، والآباء والأمهات... فما قيمة العلم بلا عمل... إن رسالة التعليم لا تعني في أهدافها وغاياتها أن يحمل الطلابُ والطالبات على عواتقهم كمًّا من المقررات طيلةَ فصلٍ أو عام ثم يرون أنهم يتخففون منها بأداء الامتحان.

إن رسالة التعليم لم تبلغ الغاية منها إذا حفَّظت طالبًا أو طالبة نصوصًا في أهمية الصلاة وكيفية أدائها وشروطها وواجباتها، فإذا بالطالب أو الطالبة لا يُصلي إلا قليلًا، أو يصليها على غير ما تعلمها، ووظيفة المعلم والمعلمة لا

تكتملُ بتلقين الطلبة والطالبات نصوصًا في برِّ الوالدين واحترام الآخرين، حين يوجد من بين المتعلمين والمتعلمات عددٌ من العاقِّين لوالديهم والمتعاملين بنوع من الفظاظة والشدة مع الناس من حولهم، وقلْ مثل ذلك عن بقية مفردات المناهج في النواحي السلوكية والخلقية، فلا بد من وعي وتأكيد على النواحي العملية وربط التعليم بواقع الطلاب والطالبات، ولا بد كذلك من مشاركة البيت في تطبيق ما تعلَّمه الدارسون والدارسات في المدرسة، ومثل ذلك يقالُ عن المناهج العلمية التطبيقية؛ إذ لا بد من تأمين المعامل الكافية في المدرسة، ولا بد من متابعة الجديد في التقنيات الحديثة، ولا بد كذلك من تأمين فرصٍ للتدريب خارج المدرسة، ولا بد من تحفيز النابهين على الاختراع... وهكذا حتى لا تظلَّ الأمةُ المسلمةُ دائمًا عالةً على الآخرين في منتجاتها وسوقًا تروّج فيها بضائع الآخرين، وهي تمتلك عقولًا كعقول الآخرين أو أحسن، ولا تنقصها المادةُ المموّلة للإنتاج والاختراع.

وهكذا نستثمر التعليم، ونرقى بمستوى المتعلمين، ونتجاوزُ الشكليات إلى الجواهر، دون أن نُخِلَّ بأصولنا ومنطلقاتنا الفكرية، أو نقعدَ عن مسايرة الركب في بناء الحضارة الحقّةِ، تلك أفكارٌ ووقفات أثق أن المسئولين في التعليم يقدرونها حقَّ قدرها، وأثق أنها لا تغيب عن بال المعلمين والمعلمات، ويطمع الأولياء أن يصل إليها أبناؤهم، ويود الطلابُ والطالبات لو استثمروا التعليم بشكل جيد... ولكنها الذكرى، ولنتعاون جميعًا على تحقيقها، وبارك الله في جهدِ كلِّ عامل مخلص، وربّك لا يضيع أجر من أحسن عملًا. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا.



كيف نودع عامًا وبم نستقبل آخر(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربّ العالمين: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٣).

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، توفاه ربُّه بعد أن عمّره ما شاء واستكمل أجله، وعلّم أمته أن أعمارهم ما بين الستين إلى السبعين وأقلُّهم من يجوز ذلك، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾(٥).

إخوة الإسلام: كيف نودع عامًا، وبم نستقبل عامًا آخر؟ سؤال يفرض نفسه هذه الأيام، تُرى كم هم الذين يشغل بالهم هذا السؤال؟ وكم من المسلمين لا يلفت نظرهم على الإطلاق هذا السؤال؟ إلا بفارق السنة الهجرية، أو تذكر

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٣٠/ ١٢/ ١٤١٩هـ.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٧٩، ٨٠. (٣) سورة فاطر، الآية: ١١.

(٤) سورة الحشر، الآيتان: ١٨، ١٩. (٥) سورة الحج، الآية: ١.

العلاوة السنوية؟ ودعونا نحسن الظنَّ بالناسِ ونقول: إن فئةً من المسلمين يشغل بالهم هذا السؤال من ذواتِ أنفسهم، وفئةً أخرى قد تكون غافلةً لكنها إذا ذُكرت تذكرت... ولنعد إلى السؤال: بم نستقبل وكيف نودع؟

إن نهاية عام تعني ذهاب ثلاث مئة وستين يومًا من عمر الإنسان، وتلك تحوي أعدادًا كثيرةً من الساعات وأضعافها من الدقائق والثواني، كما تحوي عددًا من الأعمال دقت أو جلت، صلحت أم خبثت، وتحوي في طياتها عددًا من الخطرات، وأنواعًا من الهواجس، وألوانًا من الحركات... وهذه فيها الصالحُ والطالحُ، وفيها ما هو في سبيل الله وابتغاءَ مرضاته، وفيها ما تهوي الأنفسُ وتلذ الأعينُ وإن كانت في غير مرضاة الله، ومخالفةً لهدي رسول الله ﷺ.

في هذه الأيامِ والساعاتِ والدقائقِ أعمالٌ صالحةٌ تُسرّ النفسُ لذكراها، ويود المرءُ لو كانت حياتهُ كلُّها على منوالها، وقد يكون فيها من أعمال السوءِ ما يودُّ صاحبُها أن يتناساها، ويرغب أنه لم يقترفها، ويوم القيامة يود لو كان بينه وبينها أمدٌ بعيدٌ.

تُرى هذه الأعمالُ والحركات والرصيدُ المتجمع خلال عام أليس خليقًا بالمحاسبة والتذكُّر؟ والمحاسبةُ النافعة هي التي تقود صاحبها إلى استدامة عمل الخير، وقصرِ النفس قدر المستطاع عن عمل السوء، والنظرُ في العواقب تلقيحُ العقول -كما قيل- ومن أقوال الحكماء: شيئان إذا عملت بهما أصبت خيرَ الدنيا والآخرة. تحملُ ما تكره إذا أحبه الله، وتتركُ ما تحب إذا كرهه الله[١].

وقال العارفون: ما أحببتَ أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم، وانظر كلَّ عملٍ كرهت الموتَ من أجله فاتركه، ثم لا يضرُّك متى متَّ؟[٢]

---

(١) «تهذيب سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٢٤، ٥٢٥).

(٢) «تهذيب سير أعلام النبلاء» ص٥٢٤.

كم تلهينا الدنيا وهي متاعُ الغرور، فتمر الأيامُ والأعوامُ سراعًا بلا تفكير، وكم تفتنَّا بزينتها، ومتاعُها في الآخرة قليل، وإن يومًا عند ربِّك كألف سنةٍ مما تعدون... وكلُّ نفسٍ مصيرُها إلى الموت والفناء... ولكن المهمَّ ما بعد ذلك: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(١)، وكم ننخدع بوساوس الشيطان، وقد عُصي فلم يضر، وأُطيع فما نفع... ويوم القيامة يتبرأ من متبوعيه ويقول حين يُقضى الأمر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

من قدوتُك في هذه الحياة؟ وما نوع الخليل الذي تتخذه لك صديقًا، والله يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣)، ويقول ﷺ: «**المرءُ على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**». هل تفكر جادًا في الموت وما بعده؟

عباد الله: وكم نتساهل بالذنوب وهي - كما قيل - مهلكاتٌ تفوّت على الإنسان سعادةَ الدنيا والآخرة، وتحجبه عن معرفة ربِّه في الدنيا، وعن تقريبه في الآخرة(٤): ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾(٥)، ومصيبةٌ حين تتراكم علينا الذنوب ونحن لا نشعر، فيكون الرانُ على القلوب ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.
(٤) «الفتح» (١١/ ١٠٦).
(٥) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.

﴿الْجَحِيمِ﴾[١]، ويرحم الله أقوامًا كانت ذنوبُهم قليلةً، وحياتُهم عبادةً وخشوعًا وزهدًا وورعًا، ومع ذلك يقول أحدُهم تورعًا وتواضعًا وخشية: «لو كان للذنوب ريحٌ ما جلس إليَّ أحد»[٢] هكذا كان يقول محمد بن واسع الأزدي رحمه الله، الذي قال عنه سليمان التيمي رحمه الله: (ما أحدٌ أحبُّ أن ألقى الله بمثل صحيفته مثل محمد بن واسع)[٣].

يا عبدَ الله: كم في صحائفك الماضية من توبة واستغفار، والله يقول: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٤]، ويقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٥].

وفي الأثر: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا».

وهذا سيدُ البشر المغفورُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[٦].

كم تُراغم الشيطان بالتوبة، وكم تُحتُّ الخطايا بالاستغفار، فكيف إذا كانت التوبة واجبةً ثابتةً بنصوص الكتاب والسنة كما قرر العلماء؟![٧]

وينسب للإمام أحمد رحمه الله قوله[٨]:

لَهَوْنا عن الأيام حتى تتابعتْ ... ذنوبٌ على آثارهنَّ ذنوبُ
فيا ليت أنَّ اللهَ يغفرُ ما مضى ... ويأذنُ في توباتنا فنتوبُ
إذا ما مضى القرنُ الذي أنت فيهمُ ... وخُلّفتَ في قرنٍ فأنت فيهم غريبُ

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ١٤-١٦.
(٢) «تهذيب سير أعلام النبلاء» (٢/٥٢٦).
(٣) السابق: ٥٢٦.
(٤) سورة هود، الآية: ٩٠.
(٥) سورة طه، الآية: ٨٢.
(٦) رواه البخاري وغيره: ٦٣٠٧.
(٧) «التوبة وسعة رحمة الله» - ابن عساكر/ ١٢.
(٨) «مناقب أحمد» ٢٦٥، ٢٦٦، «طبقات الحنابلة» (١/ ٨٣)، سعة رحمة الله: ٢٣.

عباد الله: وفي سبيل محاسبة أنفسكم في نهاية عام وابتداء عام، تذكروا أن أشقَّ شيء على النفوس جمعيتُها على الله، وهي تناشد صاحبها أن لا يوصلها إليه، وأن يشغلها بما دونه، فإنَّ حبسَ النفس على الله شديد، وأشدُّ منه حبسُها على أوامره، وحبسُها عن نواهيه، فهي دائمًا ترضيك بالعلم دون العمل(١).

أيها المسلمون: ما أجملَ الأعمار تختم بالتوبة والاستغفار، وسبيلُ المسلمين في ذلك أن نختم كلَّ عملٍ، وكلَّ مجلسٍ، وكلَّ خطأ أو ذنبٍ بالتوبة والاستغفار... ولا يزال اللهُ يعفو ما أحدث العبدُ توبةً وندمًا واستغفارًا... فإن نسيت التوبة أو فاتك الاستغفار في شيء من أيام العام، فلا يفوتنَّك ذلك في نهاية العام، فالأعمالُ بالخواتيم، وصحائف العام لم تُطْوَ بعد، فأشهد ربَّك على توبتك، ولا تصرَّ على صغيرة، أو تحقرن من الذنوب شيئًا وإن داخلك الشيطانُ بتعاظم ذنبك وعدم مغفرة ربك، فاعلم أن رحمة الله وسعت كلَّ شيء، والله يغفر جميعًا... ربنا كريم يحب عبده إذا اقترب منه، ويمحو عنه زلاته، قال اللهُ ﷻ - في الحديث القدسي: «**من عمل حسنةً فله عشرُ أمثالها أو أزيد، ومن عمل سيئةً فجزاؤه مثلها، أو أغْفِر، ومن عمل قُرابَ الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلتُ له مثلها مغفرة، ومن اقترب إليَّ شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، ومن اقترب إليَّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(٢)، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) «المدارج» (٣/ ١٤٣).

(٢) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

الخطبة الثانية:

الحمد لله كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(١)، وأشهد أن محمد عبدُه ورسوله، أدركته سنةُ الله في المرسلين قبله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾(٢).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أيها المسلمون: أما العامُ الجديدُ فهو صفحةٌ بيضاء ينتظر الحفظةُ الكاتبون ما أنتم عاملون، ألا فاستقبلوه بعزائم قويةٍ، ونية صادقة على فعل الخير، وسيحفظ لكم النقيرُ والقطمير، ولن تُكْفَروا من أعمالكم شيئًا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾(٣).

تذكروا أن عامًا بأكمله سيُجزي الله فيه من الأحداث ما يجري ويقدر ما يشاء، ألا فاسألوه من خير هذا العام، واستعيذوا به من شروره وفتنه، فلا يَردُّ القضاءَ إلا الدعاءُ، وكم من فتنة حصلت؟ وكم من أمراض ومصائب وشرور حدثت في العام المنصرم؟ فإذا سلمكم الله منها فيما مضى فاسألوهُ أن يحفظكم منها، ويعيذكم من شرورها فيما تستقبلون من عامكم الجديد.

استقبلوا العام الجديد بوضع عددٍ من التساؤلات والنقاط تحددون بها مساركم، وتقيِّمون فيها بُعْدكم أو قربكم من الخير، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فمن هذه النقاط في التقويم: ما نوع العلاقة مع الله؟ وما نوع العلاقة

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٤.

مع الخلق؟ كيف أنت في العبادات؟ وكيف أنت في المعاملات؟

ما هي الخطيئة أو الخطايا التي لازمتك في عامك المنصرم وتنوي الخلاص منها في عامك الجديد؟

ما هي الفضيلة أو الفضائل التي فاتتك في عامك الماضي، وتفكر جادًا ألا تفوتك في العام المقبل؟ كيف أنت وفتنة الأهواء والشهوات والشبهات والفضائيات؟

ما قيمة الوقت عندك؟ وبماذا تستثمره؟ طاقاتك كيف تُصرف، وقدراتك بماذا تستثمر؟ ما نوع اهتمامك، هل تحمل همَّ الإسلام؟ وهل تستشعر قضايا المسلمين؟ وبماذا ساهمت فيها؟ ما مدى شعورك بانتصار الحقِّ وأهله؟ وما مدى أسفك لغلبة الباطل وكثرة المبطلين؟ هل تشكل الدعوة إلى الله جزءًا من حياتك؟ وما نصيب أهلك وأبنائك وذوي رحمك وجيرانك وزملائك وعموم المسلمين منها؟ هل تُجدد في أساليب دعوتك، وهل تتحرى الحكمة في قولك وفعلك؟ ما مدى قيامك بواجبك الوظيفي، وعلى أي نحوٍ تؤدي الأمانةَ التي أؤتمنت عليها في أي موقع كنت؟ حاسب نفسك في نوع مطعمك ومشربك، وملبسك، وماذا تسمع وتبصر، وبم تنطق، وماذا تُضمر في فؤادك: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

راجع نفسك في أداءِ الفرائض، وكم قدرُ الاحتياطي عندك في السُّنن، فهن مكملات لنقص الفرائض، مسدداتٌ للخلل، رافعات للدرجات، مكفرات للسيئات، ما نصيبك من ذكر الله؟ وكيف صلتك بكتاب الله؟ وكيف أنت والنفقات الواجبة والمستحبة؟

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

أيها المسلمون: هذه وأمثالها مراجعات يحسن بالمرء أن يراجع نفسه ويسألها عنها على الدوام... وهي خليقةٌ بالمحاسبة مع انصراف عامٍ وبدء عامٍ، وإذا أخرجت لنفسك ميزانيةً في آخر العام عرفت قدر المكاسبِ فيها والخسران، وإذا علمت ذلك سددت وقاربت قدر الإمكان، وتلك الميزانية والمحاسبة، وربّي، أولى من غيرها في موازين الدنيا ومحاسباتها... والغفلةُ تورث الهلكة... وما أعظم الحسرةَ حين يرد الناسُ يوم القيامة بحسنات كالجبال، ويرد المفرِّطون الغافلون بالخيبة والخسران، يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون.

عباد الله: نهايةُ عام وبدءُ عام مذكِّرةٌ بسرعة الأيام وانقضاء الأعمار، فإذا كانت الساعةُ تشكل قدرًا في أجل الإنسان، فكيف مما يزيد على ثمانية آلاف وست مئة ساعة في السنة، والله يقول: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[(١)].

يا عبدَ الله: وبين عامٍ مضى وعام يوافي عبرٌ توقظُ الضمير الغافي، وهل نسيت أنه حصل في العام المنصرم عللٌ وأسقام، وفتن وهموم، وفقرٌ وحروب، وأمواتٌ رحلت، ودماءٌ أزهقت، وأطفالٌ ونساءٌ تأيمت... فإذا سلمك الله من هذا كله فاحمد الله واشكره، واعلم أن ما تخطاك لغيرك سيتخطى غيرك إليك، فكن مستعدًا للقاءِ ربك، مغتنمًا شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك، والكيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

أيها المسلم: ومما يفيدك في المحاسبة -بشكل عام- أن تنظر في أمور دينك إلى من فوقك فذلك أدعى لرفع همتك، وتنظر في أمور دنياك إلى من هو دونك حتى لا تزدري نعمة الله عليك.

إخوة الإسلام: نهاية العام فرصةٌ للتأمل في المتغيرات التي تحصل في المجتمعات فما موقع المسلمين في خارطة العالم، وما نوع القوى التي تحظى بالنفوذ والسيطرة؟ إلى أين يسير الشباب؟ وماذا يراد للمرأة المسلمة؟ وماذا تصنع القنوات، وكم هي ضحايا الخمور والمخدرات؟ وكيف السبيل لتصحيح المسار، والوقايةُ خير من العلاج.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١)، ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(٢).

عباد الله: وهذا اليوم -الذي نحن فيه- هو اليوم الموفي للعام المنصرم، أو هو أولُ أيام العام الجديد، وإذ يوافق يوم الجمعة ومنه ساعة استجابة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله شيئًا من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه، فإنني أذكر نفسي وإخواني بقيمة الدعاء فيه، ولا سيما في آخر ساعة منه.

اللهم احفظ علينا أمننا وإيماننا، واجمع كلمتنا على الحق والهدى، واغفر لنا ما سلف من ذنوبٍ وأخطاء فيما مضى من عامنا واجعل عامنا الجديد عام خير وبركة ونصرٍ للإسلام والمسلمين، اللهم أعنّا فيه على عمل الصالحات وجنِّبنا الموبقات والمهلكات.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٢) سورة هود، الآيتان: ١١٦، ١١٧.

من أنصار المرأة؟[(١)]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده.

إخوة الإسلام: المسلم الحقُّ هو الذي يقبل أحكامَ الإسلام كلَّها، في حال يُسره وعُسره، ومنشطهِ ومكرهه، ولا يجعل لنفسه خيرةً فيما اختار الله، ولا يرتاب في صلاحية شرع الله لكل زمان ومكان، امتثالًا لقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[(٢)].

واستجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٣)].

وعملًا وأدبًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾[(٤)].

وليس من الإيمان في شيء التحاكمُ إلى غير شرع الله، بل من شروط الإيمان وصحته، التحاكمُ، والرضى، والتسليمُ، وعدمُ الحرج بحكم الله وشرعه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[(٥)].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٦/ ٢/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٣) سورة النور، الآية: ٥١.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٥.

إن دعوى الإيمان مع إرادة التحاكم إلى قوانين البشر وطواغيتهم، زعمٌ حَكَمَ القرآن ببطلانه، وفضح أصحابه، وحكم عليهم بالضلال، ومتابعة الشيطان بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(١).

بل تلك سمةٌ من سمات المنافقين، إذ جاء بعدها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾(٢).

إنهما حكمان متباينان لا ثالث لهما: إما حُكمُ الله، أو حكم الجاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٣).

أيها المسلمون: وتعالوا بنا لنطبق هذه القواعد الكُليَّة على قضايا المرأة المطروحة هذه الأيام - حتى لا نُخدع بأن الخلاف في قضايا فقهية، أو ندع غيرنا ليحدد لنا ميدان المعركة، فإن كان الزاعمون لتحرير المرأة مؤمنين حقًا بأحكام الإسلام وتشريعات القرآن، وهدي محمد ﷺ فحسبُهم أن يُذكروا بالنصوص الآمرة والناهية والهادية للمرأة، وهي مبثوثة في كتاب الله، وفي سورتي «النور» و«الأحزاب» على الخصوص شيء عظيم، أما «سورةُ النساء» فحسبُ المرأة شرفًا -في الإسلام- أن تُسمى سورةٌ باسمهن، بل أكثر من سورة، هذا فضلًا عما في سورتي «النساء» و«مريم» من آداب وأحكامٍ تعجز النظمُ البشرية -على امتداد تاريخها- أن تبلغ شأوها..

وفي النبوة عدلٌ ووفاء، وبرٌّ ورحمة، ودعوةٌ للرفق بالنساء والوصية بهن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

خيرًا، وعدم كسرهن وحسن العشرة لهن وإن كان بهن عوج، فإن كره منها خُلقًا رضي منها آخر. . . وإن لم يرض أدعياءُ تحرير المرأة بهذا فالخلاف معهم في المنطلقات والأصول ينبغي أن يتفق عليها قبل بدء الحوار في الأمور الأخرى.

عباد الله: وهنا يُطرح سؤال مهم: من هم أنصارُ المرأةِ حقًا؟ أهم أولئك الذين يريدون أن يرتبط تاريخها بآسية المؤمنة التي خلّد القرآن ذكرها، ورفضت ظلم فرعونَ وعدوانَه، وعلت همتُها عن متاع الدنيا وزينتها واتصلت بالملأ الأعلى، وكانت الجنةُ غايتها؟ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها، وبارك اللهُ في نسلها وكفاها فخرًا أن ينسب إليها نبيُّ الله عيسى ابنُ مريم.

أم أولئك النفر الذين يريدون أن ينتهي ارتباطُ المسلمة بالنساء الكاسيات العاريات - تجدهن في المراقص ودور السينما، وبهن تروج أسواقُ البغاء وتنتشر فاحشةُ الزنا. . . وينتهي بهن المطافُ إلى المصحات النفسية، ولهن تقامُ عيادات الإجهاض، فلا يكتفين بقتل حيائهن، بل يساهمن مساهمةً كبرى في إهلاك الحرثِ والنسلِ.

من أنصارُ المرأة حقًا؟ أهم أولئك الذين يريدون المرأة درةً مكنونةً وجوهرةً مصونة، ناعمة اليدين، يزيدها الخمارُ جمالًا وهيبة، وتقيها جدرانُ بيتها من السموم والرياح الحارة أو الباردة، وتأمن بعدم اختلاطها من سُعار الذئاب الجائعة؟

أم أنصارها أولئك الذين يريدون لها اللهاث وراء السراب الخادع، يتصبب عرقُها من جبينها في المصنع، وتتورم يداها، ويتناثر شعرُها وتخلق ثيابها في الورشة والمعمل، تؤمر وتنهى، بل يباع عرضها ويُشترى حياؤها، وربما هُددت بالفصل أو نقصِ المرتب إذا لم تستجبْ لمطالب الطامعين فيها؟

إن أنصار المرأة حقًا هم الذين يكشفون لها خلاصة تجربة المرأة الغربية -

حين خرجت - ببؤسها وتعاستها، وتعالت صيحات العقلاء محذرين من مجاراتها لا أولئك المنهزمين فكريًا، ويريدون للمرأة المسلمة أن تدخل النفق المظلم وتلج جُحْرَ الضبِّ الخرب؟ إنه لا يغيب عن ذهن المرأة المسلمة الواعية أننا في زمن (عودة الحجاب) على أثر حصاد تجربة مُرّةٍ تورطت بها بعضُ نساءِ المسلمين حين خرجت واختلطت فعادت تحذر بنات جنسها وتدعو للزوم الحجاب، وثمة نموذجٌ آخر يشهد على وعي المرأة واعتزازها بحجابها، تدور أحداثه طريةً في تركيا المسلمةِ أصلًا... والعلمانية حديثًا، وصاحبته المرأة المحجبة مروة قاوقجي، تلك التي أصرت على لزوم الحجاب، وفرضهِ على أكبر مؤسسات الدولة، رغم العلمنة والتغريب، وسيطرة العسكر ونفوذ الغرب وبكل حال فستبقى هذه الأفكارُ المطروحةُ وثائق تكشف عن التوجهات الفكرية، وتحصي أصحاب الثقافة المستوردة، وستحتفظ ذاكرة التاريخ، ويشهد الجيلُ على أولئك الذين أرادوا بمجتمعهم السوء والشرور وإن زعموا الإصلاح، والتحرير، فتلك شنشناتٌ سُبقوا إليها واكتشف الناسُ فيما بعدُ زيفها. ولعل من أبرز النماذج على ذلك الفكرُ الذي طرحه قاسم أمين حول (تحرير المرأة) فقد اكتشف الجيلُ اللاحق له ما في فكره من فساد وانحراف وفتن أكثر مما اكتشفه الجيلُ المعاصر له. وهكذا تتكشف الحقيقة وإن طُليت بطلاء خادع فترة من الزمن.

اللهم اهد ضالّ المسلمين، وثبت هداتهم على الحقّ يا رب العالمين.

ترى أيفيق الناسُ من رقدتهم، وينادي بعضنا ببدء السباتِ من جديد، أيتحرر المسلمون من ربقة الاستعمار والتبعية والتقليد، ويُصر بعضُ المخدوعين عندنا على استمراء العبودية، والفرق كبيرٌ بين الحرية والعبودية، كما الفرقُ بين لباس التقوى الأصيل، ولبوس العارية المصطنع؟ وهنا وفي مجال الانهزامية التي

يعيشها البعض، أنقل كلامًا جميلًا للدكتور فهد آل إبراهيم في مقال له بعنوان: (شقائق الرجال) ونشر بجريدة الجزيرة في ٢٥/ ١/ ١٤٢٠هـ، مما جاء فيه قوله: أما أهزوجة ما يسمى بتحرير المرأة التي يترنم بها البعض، فهم إما جاهلون بحقيقة ما تعانيه المرأة في المجتمعات الأخرى، أو منهزمون نفسيًا ومتأثرون بالثقافة الغربية، ويرون تطبيقها بصرف النظر عن سلبياتها، وهم يرون في زيف الحضارة الغربية أنموذجًا يُحتذى بعد أن فتنتهم بريقُ العيون الزرقاء.. فحجب عنهم رؤية القذارةِ النابعة من واقع هذا الانحلال الخُلقي. واللافتُ للنظر عند هؤلاء ربطهم غيرُ المنطقي بين دورِ المرأةِ ووظيفتها في المجتمع وبين (أضحوكة) قيادتها للسيارة، وكأن الدور المطلوب منها في خدمة دينها ووطنها امتهانُ وظيفة (سائق)؟! انتهى.

أيها المسلمون والمسلمات: إن أنصار المرأة حقًا هم أولئك الذين يطالبون باستيفاء حقّ المرأة في العلاج، وحقها في التعليم وصياغة مناهجه، وفق طبيعتها واحتياجاتها، وضمان حقها في أسلوب التعامل معها أو صيانة حقوقها المالية، أو تشغيلها في وظائف نسوية لا يزال الرجالُ يقومون بها، أو تقوم بها نساءٌ كافرات وافدات لا تُؤمن غوائلهن. أو نحو ذلك من أمور - سآتي على تفصيلها.

وليس أنصارُ المرأة أولئك الذين تنتهي طموحاتهم وآمالهم عند حدود نزعها للحجاب وقيادة السيارة، والاختلاط بالرجال، وإشاعة الفاحشة، وتفريق المجتمع، وضياع الأمة وصدق الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأمرُ أمرُه، والحكم إليه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١)، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، حذّر أمته من الفتن وأخبر أن أخوف ما يخاف على أمته المنافق العليم اللسان.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

إخوة الإيمان: إن أنصار المرأة حقًا هم الذين يطالبون باستيفاء المرأة حقَّها في العلاج، وذلك بتوفير مستشفيات ومراكز صحية أو عيادات بطاقم نسائي متكامل يتعامل مع المرأة في الإدارة، والتمريض والتطبيب والصيدلة وغيرها من إجراء العمليات القادرة عليها النساء، وذلك كلُّه مذهبٌ للحرج الذي تجده - أحيانًا - بعضُ النساء جراء معاملة الرجال لهن... إنها دعوةٌ للمسئولين وللقادرين من رجالات الأعمال لتوفير هذا النوع من المستشفيات خدمةً للمرأة، وحفاظًا على حرمات الأمة.

وأنصار المرأة حقًا هم الذين يطالبون بمزيد من العناية بتعليم المرأة، وذلك بصياغة مناهج تخص المرأة وتلبي مطالبها - التي فطرها اللهُ عليها - وتفي بحاجتها وتتفق ومع ما يُراد للمرأة مستقبلًا، إن إشراك الفتاةِ مع الفتى في مناهج معينةٍ لا تخدمها ولا تحتاج إليها، هدرٌ ينبغي أن يستعاض عنه بأمور تصلح للمرأة وتتفق مع مهمتها الأساسية في الحياة، ومن المناهج إلى المعلمين، فلماذا نحتاج إلى رجل يعلم المرأة عبر الشاشة، ولماذا نحتاج إلى إداريين

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

تتعامل المرأة معهم، أليس بالإمكان توفيرُ طاقم نسائي يتعامل مع المرأة في كافة شؤونها التعليمية؟

وفي التعليم الجامعي يُطالب أنصارُ المرأة الخيرون ويقترحون إيجاد جامعةٍ للنساء تُصاغ مناهجُها بعناية ويُختار لمسؤولياتها من ذوات الخلق والدين والخبرة والكفاءة، وتحدد أقسامها وكلياتها حسب طبيعة المرأة وحاجاتها، وربما ينسجم مع وظيفتها في الحياة، وبهذه الجامعة يمكن استيعابُ عدد من النساء من جهة، ونقي المرأة من دعوات الاختلاط المحمومة من جهة أخرى.

عباد الله: ومن حقها في التعليم والعلاج إلى حقوقها وواجباتها في الدعوة والحسبة والإرشاد، وقد سبقت الإشارة إلى إمكانية وجود عدد من النساء في الدعوة ليتفرغن لدعوة بنات جنسهن في المساجد، ومدارس البنات، ونحوها من تجمعات النساء.

وكذا الأمر في الحسبة، وذلك بتخصيص وظائف في الهيئات لإيجاد فرع نسائي تكون مهمتهُن وعظ النساء والإنكار عليهن، وحضَّهُنَّ على المعروف، ومحاورتَهن بالحسنى.

وكذا الأمرُ بالنسبة لتعليم البنات لإيجاد مرشدات للطالبات تكون مهمتهُن مراقبة سلوكيات الطالبات، ودعوتهن للخلق القويم، وتحذيرهن من أسباب الانحراف وموجات التبعية والتقليد.

إخوة الإسلام: وأنصارُ المرأةِ حقًا هم الذين يطالبون برفع أيِّ ظلمٍ أو هضم يقع على المرأة في حقوقها المعنوية أو الحسية، فلا يرضون بإهانتها أو احتقارها، أو ضربها بغير حقٍّ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾[1]، وتأسيًا بهدي محمد ﷺ إذ يقول: «**خيرُكم خيركم لأهله وأنا**

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

خيركم لأهلي»، وهم الذين يقفون في وجه الجهلة المنتقصين لحقوقها المالية في الإرث أو العطاء ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾(١) «والنساء شقائق الرجال»، وبالجملة: فلا يُهضم لها حقٌّ ولا تساوي بالرجل في كل شيء، والله أحكمُ الحاكمين، وفي شريعته عدلٌ ورحمة للرجل والمرأة، ومن قال إنه سيعطي المرأة أكثر مما أعطاها خالقها فقد ظلم نفسه وأساء الأدب مع ربِّه، وما أولئك بالمؤمنين.

أيها المسلمون: وأنصارُ المرأة الوهميون على كثرة مطالبهم للمرأة لم يعنوا كثيرًا بهذه الأمور، ولا بالوظائف النسوية التي لا يزال يشغلها رجال أو نساء أجنبيات -لا سيما الكافرات منهن- وقد أجادت د. رقية المحارب حين أحصت ما يقرب من أربعة آلاف مشغل نسائي في الرياض وحدها، وكلُّها أو معظمها تُدار بعمالة وافدة، فأين المطالبة بتوظيف النساء فيها؟

أم المقصود بهذه الدعوات المحمومة أن يأتي اليومُ الذي تكون فيه المرأة السعوديةُ المسلمة بائعة شاورما، أو نادلةً في مقهى إلى منتصف الليل، أو أن ترفع عن ساقيها لتتدحرج الكرة هنا وهناك، كما تقول الكاتبة (هياء المنيع) والتي أحسنت فهم أهداف اللعبة لإفساد المرأة حين قالت: «إن كثرة الفزع على موضوع عمل المرأةِ يكشف عن قلوبٍ تتسللُ لواذًا لدمار هذا المجتمع المحافظ . .».

إخوة الإسلام: وبهذا يتبينُ الفرقُ بين أنصار المرأة الحقيقيين وأنصارها الوهميين، وإننا على ثقة أن المرأة في بلاد الحرمين لديها من الحصافة والوعي والثقة بدينها ما تميز به بين الضار والنافع، والأنصار والخصوم، لكنها الذكرى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

والذكرى تنفع المؤمنين، كيف لا، ونحن في زمن صحوة شملت النساء إلى الرجال، وفي زمن حرب العقائد والأفكار، والمرأةُ كالرجل تدرِكُ أنه لا مكان لمعدوم الهوية الدينية أو مهزوز الثقة بالمبدأ الذي ينتمي إليه، ومن المؤلم حقًا أن يتشبث أصحابُ الأديان والنِّحَلِ الفاسدة بمبادئهم ولو كانت باطلة، ويوجد في المسلمين من تهتز ثقته بدينه ومبادئه، وهي الحقُّ ليس غيره، وصدق الله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾(١).



(١) سورة فاطر، الآية: ٨.

الغفلة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن أصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾(٢).

أيها المسلمون: كثيرةٌ هي أدواؤنا التي تحتاج إلى الدواء الناجع لعلاجها، ولكن ثمة داءٌ يهيمن على كثير من هذه الأدواء، وربما كان السببَ الأكبر لها ... وهذا الداءُ المهيمن تتعدد مظاهرُه، وتتسع دائرتُه لتشمل الشيوخ والشباب، والنساء والرجال، وأهل العلم والدعوة، وأصحاب المال والسلطان.. ولا تسأل عن غفلة ما سوى هؤلاء؟ وإن كانت الغفلةُ نِسبًا، والناسُ فيها بين مُقلٍّ ومستكثر.

إن أعظمَ قضية يجب أن تشغلَ بالَ كل واحدٍ منا -معاشر المسلمين- هي

(١) سورة الحشر، الآيتان: ١٨، ١٩. (٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٧٠-٧٢.

قضيةُ وجوده، والغايةُ من حياته، ومستقبله الحق، وشقاؤه وسعادته، ومن فضل اللهِ على عباده أن هذه وتلك لا تشترى بالدرهم ولا الدينار، ولكنها تُنال بالهمم والجدِّ في عمل الصالحات، والسير إلى الله، والموفَّقُ من أيقن واستيقظ لحقائق القرآن، وسائل نفسك: لأي شيء خلق اللهُ الموت والحياة، والجوابُ حاضرٌ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]، بل ولأي شيء خُلقتَ أنتَ؟ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

ويتحاشى الناسُ، كلُّ الناس الخسارة والفشل في الحياة الدنيا، ولكن القلةَ منهم من يتأمل في الخُسران والفشل الأخروي: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[3].

أيها المسلمون: إن الغفلةَ عن قيمة الحياة، وهدف الوجودِ سببٌ للضياع والقلق في هذه الحياة، والنهايةُ مؤلمةٌ حين الورود على الله، وها هي الصورةُ تُقرَّب لك، والمشهدُ يُعرض عليك صباح مساء، فهل أنت مدَّكِرٌ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[4].

أي عبدَ الله؛ أيَّ خيرٍ ترتجي، وأيَّ نهايةٍ تنتظر إذا كنت من الغافلين الذين لا يرجون لقاءَ الله، ورضيت بالحياة الدنيا واطمأننت إليها... تأمل مليًّا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الملك، الآية: ٢.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٣) سورة الزمر، الآية: ١٥.
(٤) سورة ق، الآيات: ١٩-٢٢.
(٥) سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨.

يا ابن آدم: حسبك بالقرآن واعظًا: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[(١)].

إنها آياتٌ تهز الغافلين هزًّا، فالحساب يقترب وهم في غفلة، والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى، والموقفُ جِدٌّ وهم لا يشعرون بالموقفِ وخطورته، وكلما سمعوا الحقَّ قابلوه باللهو والاستهتار، واستمعوه وهم هازلون.

إن النفوس حين تستحوذُ عليها الغفلةُ لا تصلح للنهوض بعبءٍ، ولا للقيامِ بواجب، تغدو الحياةُ فيها عاطلةً هينةً رخيصةً، وحين يهون المرءُ في نظر نفسه يهون على الآخرين، وحين ينسى العبدُ ربَّه، ينساه الله وتحيق به الخسارة في الدارين.

أيها المسلمُ والمسلمة: لقد مُيزتم بحواسٍ ومدارك تَفضْلون بها غيرَكم، وتدركون بها ما يضركم وما ينفعكم، وحين تُعطَّلُ هذه الحواسُّ، وتُحيط الغفلةُ بالناس ينحدرون إلى درك الأنعام، بل هم أضلُّ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[(٢)].

عباد الله: إن من مظاهر الغفلة في حياتنا الانفتان بالدنيا والتخوف والتحوط لها، في مقابل الإعراض عن الآخرة وعدم التفكير بجدٍّ في نعيمها أو جحيمها، ومن مظاهر الغفلة الغضب للدرهم والدينار، وضعف الغيرة لدين الله. ومن مظاهر الغفلة في حياتنا الضعفُ في أداء الواجبات والزهدُ في عمل المستحبات، والتسامحُ في مقارفة السيئات، وهتك أستار المحرمات. ومن

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ١-٣. (٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

مظاهر الغفلة تعلّقُ نفوسنا بتوافه الأمور، وعجزُها عن التعلق بالمعالي، وكسلُها عن جلائل الأعمال الصالحة.

نغفل عن الموتِ وسكرتهِ، وعن الحسابِ وشدتهِ، نغفل عن ذوات أنفسنا وما يصلحها أو يفسدها، وآن لنا أن نستيقظ لمخططات أعدائنا وما يريدونه لنا، وأنى لنا أن نكشف النفاق وتميّز المنافقين وتلك حالُنا.

أيها المؤمنون: وكثيرةٌ هي الأسباب الجالبةُ للغفلة، فأنفسُنا الأمَّارة بالسوء تدعونا للغفلة، وشياطين الجن يقعدون لنا بكلّ طريق من طرق الخير، وإبليسُ يعدنا ويَمُنَنِّينا ويخوِّفنا تارة، ويزيِّن لنا أخرى، ويأتينا من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ولكنَّ الله لم يجعل له سلطانًا من فوقنا، وجعل الباب بيننا وبينه مفتوحًا، فمن استعاذ به أعاذه، ومن لاذ بحماه أجاره، ومن استعان به أعانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1]، ويتلمس شياطينُ الإنس المراصد والوسائل التي بها يصدوننا عن ديننا، وتستحكم الغفلةُ في قلوبنا، ومن أبرز وسائلهم الفنُّ الرخيص، والرياضَةُ الفاتنة، وكم نسي المسلمون قضاياهم الكبرى بسبب هذه الوسائل الملهية الفاتنة؟ وكم غفلوا عن مخططات أعدائهم في سبيل الترويح عن أنفسهم -كما يقولون.

أيها الناس: وأورثت الغفلةُ طول الأمل، فقست القلوب، وقلّ أثر المواعظ في النفوس، وكثرة الفسوقُ والفجور، ودونكم هذا التشخيص لهذا المرض فاعقلوه، يقول ابنُ قدامة يرحمه الله: واعلم أن السببَ في طول الأمل شيئان: أحدُهما: حبُّ الدنيا، والثاني: الجهل. أما حبُّ الدنيا فإن الإنسان إذا أنس بها

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

وبشهواتها ولذاتها ثقل على قلبهِ مفارقتُها، فامتنع قلبُه من الفكرِ في الموت الذي هو سببُ مفارقتها، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه، والإنسان مشغولٌ بالأماني الباطلة، فيمنِّي نفسه أبدًا بما يوافق مراده من البقاء في الدنيا، وما يحتاج إليه من مال وأهل ومسكن، فيلهو بذلك عن الموت ولا يقدر قربه، فإذا خطر له الموتُ في بعض الأحوال، والحاجةُ للاستعداد له سوّف بذلك ووعد نفسه، وقال: الأيامُ بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب، وإذا كبر قال: إلى أن تصير شيخًا، وإن صار شيخًا قال: إلى أن يفرغ من بناء هذه الدار، وعمارة هذه الضيعة أو يرجع من هذه السفرة، فلا يزال يسوّف ويؤخر إلى أن تتخطفه المنيةُ في وقت لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته.

السبب الثاني: الجهل، وهو أن الإنسان يعوّل على شبابه ويستبعد قربَ الموت مع الشباب، ولو تفكَّر المسكين أن مشايخ بلده لو عُدُّوا لما كانوا عشرة؟ لأدرك أنهم إنما قَلُّوا؛ لأن الموت في الشباب أكثرُ، وإلى أن يموت شيخٌ قد يموت ألفُ صبي، وقد يغترُّ بصحته ولا يدري أن الموت يأتي فجأة، ولو تفكر أن الموت ليس له وقت مخصوص ولا يبعده الشباب أو تدفعه الصحة واكتمالُ القوى لَعظُمَ ذلك عنده واستعد للموت وما بعده[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ۩﴾[2].

❁ ❁ ❁

(١) «مختصر منهاج القاصدين»: ٣٦٧ بتصرف ص١١٨-١٢٠.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠٥، ٢٠٦.

الخطبة الثانية:

الحمد لله شرح صدور المؤمنين لطاعته وذكره، وتوعد القاسيةَ قلوبهم بالويل والضلال المبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بذكره تطمئن القلوب، والمستهترون بآياته حقُّهم الرانُ على القلوب. . . ومصيرُهم الجحيم، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، أمره ربُّه بذكره تضرعًا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال، وألا يكون من الغافلين، وامتثل أمر ربِّه، وكان قدوة الذاكرين وموقظًا للغافلين، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى إخوانه المرسلين.

عباد الله: وفي حياتنا اليومية ضروب وأشكالٌ من الغفلة، ومنا من يصبح معه الشيطان ويمسي، وعند الطعام والشراب والكساء، وخيرُنا من لا يجد الشيطانُ عليه سبيلًا. وجماع ذلك وأسبابه الذكرُ أو الغفلة، قال عليه الصلاة والسلام: **«إذا دخل الرجلُ بيتَهُ فذكر اللهَ تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطانُ لأصحابه: لا مبيتَ لكم ولا عشاءَ، وإذا دخل فلم يذكر اللهَ تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيتَ والعشاءَ»**(١).

لقد كان رسولُ الله ﷺ مستحضرًا لذكرِ الله آناء الليل وأطراف النهار، مُذكرًا بأهوال يوم القيامة، عن أُبي بن كعبٍ رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا ذهب ثلثُ الليل قام فقال: **«يا أيها الناس اذكروا اللهَ، جاءت الراجفةُ، تتبعها الرادفةُ، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموت بما فيه»**(٢).

أيها الناس: لا بد لمن يريد علاج ضعف إيمانه من الإكثار من ذكر الله وعدم الغفلة، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾(٣).

---

(١) رواه مسلم، «رياض الصالحين»، كتاب آداب الطعام: ٣٢٩.

(٢) الحديث رواه الترمذي بسند حسن، «رياض الصالحين»: ٢٧٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٤.

قال العارفون: وفي القلب قسوةٌ لا يذيبها إلا ذكرُ الله تعالى. وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي؟ قال: أدبه بالذكر.

وإذا كان الذكرُ شفاءَ القلب ودواءَه، فالغفلةُ داؤه وشقاؤه(١). وهناك صنفٌ من الناس بلغت الغفلة بهم حدَّ قول القائل:

فنسيانُ ذكرِ الله موتُ قلوبهم   وأجسامُهم قبل القبور قبورُ

وأرواحُهم في وحشةٍ من جسومِهم   وليس لهم حتّى النشورِ نشورُ

أيها المسلمون: وإذا كان الذكرُ علاجًا للغفلة، فقراءة كتاب الله وتدبُّر آياته ووعده ووعيده، والاتعاظُ بقصصه كفيل بيقظة الإنسان وتذكُّره، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(٢).

ومن وسائل علاجِ الغفلة مصاحبةُ الأخيار، وحضورُ مجالس الذكر، وملازمة العلماء، فذلك - وإن احتاج إلى صبرٍ ومجاهدة - فعاقبته حميدة، ومعالجته للغفلة ظاهرة، قال تعالى - وهو أصدق القائلين: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾(٣).

ومما يعين على علاج الغفلةِ زيارة المقابر، قال عليه الصلاة والسلام: «**كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكِّرُكم الموتَ**..» حديث صحيح(٤) وتشييعُ الجنائزِ، وتذكرُ ساعةِ الاحتضار... كل ذلك موقظٌ من الغفلة لمن في قلبه حياة، ويصف ابنُ الجوزي ساعة الاحتضار ويقول: «من أظرف الأشياء إفاقةُ المحتضر عند موته، فإنه ينتبه انتباهًا لا يوصف، ويقلق قلقًا لا يُحَدُّ،

(١) المنجد، «ظاهرة ضعف الإيمان» ٦٣، ٦٤.

(٢) سورة ق، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٤) مسلم/ كتاب الجنائز: ٩٧٦.

ويتلهف على زمانه الماضي، ويودُّ لو تُرك يتدارك ما فاته، ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت، ويكاد يقتل نفسه قبل موتِها بالأسف، ولو وُجدت ذرةٌ من تلك الأحوال في أوان العافية حصل كلُّ مقصودٍ من العمل بالتقوى، فالعاقلُ من مثل تلك الساعةَ وعمل بمقتضى ذلك»[١]، وصح في الخبر أنه ﷺ قال: «**عودوا المريضَ واتَّبعوا الجنازة تذكركم الآخرة**»[٢]، وقال الأعمش: كنا نشهد الجنازة ولا ندري من المُعزى فيها لكثرة الباكين، وإنما كان بكاؤهم على أنفسهم لا على الميت»، وحين مرت بالحسن البصري جنازةٌ قال: يا لها من موعظةٍ ما أبلغها وأسرعَ نسيانها، يا لها من موعظة، لو وافقت من القلوب حياةً، ثم قال: يا غفلة شاملةً للقوم، كأنهم يرونها في النوم، ميّتُ غدٍ يدفن ميتَ اليوم[٣].

ومن أنفع الأدوية لعلاج الغفلة: المداومة على محاسبة النفس، وحسبُ العاقل أن يقف في محاسبته لنفسه على قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٤].

وصدق من قال: حاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا.

أيها الناس: اعملوا على مهل، وكونوا من الله على وجل، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل، وقفوا عند قول الحق: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[٥]، كان مطرف بن عبد الله يقول: إن هذا

(١) «صيد الخاطر»: ١٤٦.
(٢) أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح، الأحاديث الصحيحة ١٩٨١، «صحيح الجامع الصغير» ح٣٩٨٨.
(٣) «لحظات ساكنة»/ القاسم: ٩٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٥) سورة لقمان، الآية: ٣٣.

الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه[1].

هل فكرت في نوع حياتك بعد الممات؟ والله يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2].

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٢٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

الزكاة، والعشر(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله أغنى وأقنى، يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، وهو الحكيمُ العليم، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، خزائنه ملاء، وما كان عطاء ربك محظورًا، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، وأكرمُ الخلق على الله، ومع ذلك عاش حياة الكفاف، وربما ربط الحجر على بطنه من الجوع، زهدًا في الدنيا وطلبًا لنعيم الآخرة - اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٣).

أيها المسلمون: المالُ من زينة الحياة الدنيا، تُسرُّ له النفوس، تفرح إذا أعطيت، وتحزن إذا مُنعت، وليس العطاءُ دليل الرضا، ولا المنعُ علامةَ الغضب، ومن عباد الله من لا يصلح له إلا الغنى، ولو أفقره الله ما صلح له ذلك، ومن عباده من لا يصلح له إلا الفقر، ولو أغناه الله ما صلح له ذلك، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وهو الحكيم الخبير.

عبادَ الله: والمتأمِّلُ في نظام الإسلام الاقتصادي والاجتماعي يتبين له أنه أعدلُ نظام عرفته البشرية، فالأغنياء الموسرون في أموالهم حقٌّ للسائل

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٦/٩/١٤٢٠هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢. (٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

والمحروم، يؤجرون على البذل ويبارك لهم في المال مع الصدقة، ويجازون بالإحسان على الإحسان، يعطيهم اللهُ من رزقه ويطلب منهم القرض الحسن للمحتاجين من خلقه، تُضاعف لهم الأجور في الصدقات، ويحفظ اللهُ أموالهم من الكوارث والنكبات بإخراج الزكاة وإعطاء الصدقات.

والفقراءُ يحتاجون فلا يجدون، ويصبرون فيؤجرون، تضنُّ عليهم الحياة، وتلاحقهم همومُ الديون وغلبته وقهر الرجال، فيشكون الحاجة إلى خالقهم وينزلونها به دون خلقه، فيجعل لهم بعد العسرِ يسرًا، ومن الهموم فرجًا، كم لهم من الأجر حين يصبرون على شظف العيش وكفاف الحياة... وكم تصفو نفوس الزهاد في الدنيا حين لا يشغل بالهم الصفق بالأسواق، ومتابعة مؤشرات الأسهم... بل يتفرغون لطاعة الله وذكره والتزود لآخرته.

عباد الله: والزكواتُ والصدقاتُ، والعطايا، والهدايا والهبات... كلُّها إنفاقٌ يؤجر عليه المسلمُ إذا كان خالصًا لوجه الله... وتلك تخفف معاناة الفقر، وتذهب شحَّ النفوس، وتجعل في الحياة فرصًا للخير والودِّ، والرحمة، وكيف يكون شعورُ محتاجٍ ضائقٍ بالديون، أو عاجز عن النفقة الواجبة أو شابٍ رغب العفاف بالزواج وأظلمت الدنيا في وجهه، إذ لا يجد ما يغنيه إذا ما امتدت إليهم يدُ محسن فأعطاهم ما يغنيهم، وشاركهم في آلامهم، وسرَّى عنهم همومهم... إنه شعورٌ يفيض بالمحبة والتقدير، ولن ينسى ذلك الفقيرُ المحتاجُ لهذا الغني المتصدق ما أنفقت يداه... والأجر في الآخرة أعظم، ومن فرَّج عن مسلم كربةً من كرب الدنيا نفَّس الله بها عنه كربة من كُرَب يوم القيامة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

أيها المسلمون: وحين يكون الحديثُ عن الزكاة الواجبة يمكن لنا أن نقف حيالها الوقفات التالية:

أولًا: تُعد الزكاة طُهرةً لمال الغني، وتزكيةً لنفسه، وهي تنفيسٌ للفقير وتسلية له، وسدٌّ لحاجتِه.

ثانيًا: وفرض الزكاةِ مرةً في العام أعدلُ ما يكون، إذ لو جعلت كلَّ شهر أو كلَّ أسبوع لضرّ بأرباب المال، ولو جُعلت في العمرة مرة لضرَّ بالمساكين، وليس أعدل من حكم الله وجعلها في العام مرة[١].

ثالثًا: ويلحق ضررٌ بالمساكين المحتاجين، إما من صاحب المال إذا منع ما يجب عليه، أو من الآخذ، إذا أخذ ما لا يستحق أخذه، وهكذا يتولد الضرر من بين هاتين الطائفتين على المساكين وأهل الحاجات الحقيقيين، لا أصحاب الحيلِ والملحفين بالمسألة، والله أعلم بما يملكون.

رابعًا: وكان من هديه ﷺ إذا علم من الرجل أنه من أهل الزكاة أعطاه، وإن سأله أحدٌ من أهلها ولم يعرف حاله أعطاه بعد أن يخبره أنه لا حظَّ فيها لغني ولا لقوي مكتسب[٢].

خامسًا: والذين يُبعثون لأخذ الزكاة لا بد أن يتمثلوا العدل فيما يأخذون أو يدعون، وفي موقف عبد الله بن رواحة رضي الله عنه نموذجٌ يُحتذى، وقد بعثه النبي ﷺ إلى يهود خيبر ليخرص لهم الثمار والزروع، فأراد اليهود أن يرشوه، فقال لهم عبدُ الله: تطعموني السُّحتَ؟ والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الناس إليّ، ولأنتم أبغضُ إليّ من عدَّتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بُغضي لكم وحبي إياه، أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض[٣].

سادسًا: ولا بد من العدلِ مع النفس وتربيتها على إخراج الواجب من المال

---

(١) ابن القيم: «زاد المعاد» (٢/ ٦).
(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٩).

(٣) رواه مالك في «الموطأ» بسند رجاله ثقات لكنه مرسل. وأبو داود من حديث ابن عباس بسند حسن - «زاد المعاد» (٢/ ١١) هامش: ٢.

طيبةً راضية غير متأففة ولا مانّة... ولا ملحقةٍ أذى بمن تُعطي..

وإذا هالك أخي الغني كثرةُ الزكاة من مالك... فانظر في كثرة أصل مالك، واشكر الله على أن أعطاك الله الكثير وطلب منك القليل، واحمده على أن كنت يدًا تعطي لا تأخذ، وتذكر أنك مأجورٌ على العطاء... مؤاخذٌ على الشح والبخل والمَنْع.

سابعًا: وكان من هديه ﷺ الدعاءُ لمعطي الزكاة، فتارةً يقول له: اللهم بارك فيه وفي إبله، وتارة يقول: اللهم صلِّ عليه.

وكل ذلك تشجيع على العطاء، ودعوةٌ للمنفقين بالحسنى، وكم يُسرُّ الغنيُّ والمعطي بدعوة الفقير له... أو دعوة الآخذ من ماله ليوصلها إلى غيره من ذوي الحاجات.

ثامنًا: ولا محاباة في الزكاة، ويخطئ من يحابي بها قريبًا، أو يبرّ بها صديقًا إلا أن يكون محتاجًا، ولا تجب عليه نفقته... فالزكاة حقٌّ واجبٌ في المال لفئة محددة، تولّى الربُّ سبحانه قسمتها على الأصناف الثمانية في كتاب الله.

قالَ ابن القيم: ويجمعهم صنفان من الناس:

أحدهما: من يأخذ لحاجة وهم الفقراءُ، والمساكين، وفي الرقاب، وابن السبيل.

والثاني: من يأخذ لمنفعة، وهم العاملون عليها، والمؤلفة قلوبهم، والغارمون لإصلاح ذات البين، والغزاةُ في سبيل الله، فإن لم يكن الآخذ محتاجًا، ولا فيه منفعة للمسلمين، فلا سهم له في الزكاة[1].

تاسعًا: والويلُ شديدٌ لمانعي الزكاة، والعقوبة قد تُعجّل في الدنيا بحصول الكوارث أو مَحْقِ البركة... ولو سَلِمَ من هذا فعذابُ الآخرة أشدُّ وأنكى، ومن

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٩).

يشك في وعد الله؟! وأي جسد يتحمل العذاب والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾[١].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من رجل لا يؤدِّي زكاةَ ماله إلا جُعل له يومَ القيامةِ صفائحُ من نارٍ، فيكوى بها جنبُه وجبهتُه وظهرُه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد، ثم يرى سبيلَه إما إلى الجنة، وإما إلى النار»**.

عباد الله: ما قيمةُ المال إذا انتهى بصاحبه إلى هذه النهاية المؤسفة، ومهما تنعَّم المرءُ بالمال في الحياة الدنيا، فليس ذلك يقارن بالجحيم والشقاء في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

هذا فضلًا عما تؤدي إليه الزكاةُ من بركة ونماء وتزكية وتطهير: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾[٢].

وفي الحديث الذي رواه الحاكم وصحَّحه، وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه - قال ﷺ: **«إن اللهَ لم يفرضِ الزكاةَ إلا ليطيبَ بها ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم»**[٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾[٤].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤، ٣٥. (٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.
(٣) «تفسير ابن كثير» عند آية التوبة: ٣٥. (٤) سورة المؤمنون، الآيات: ١-٤.

الخطبة الثانية:

الحمد لله تتوالى مننُه ورحماتُه على العباد. . . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلَّ يوم هو في شأن، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، اجتهد في طاعة ربِّه وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ليكون عبدًا شكورًا. . . اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

عباد الله: وما أسرع الزمان. . . وبالأمس كنا نترقب هلال رمضان. . . واليوم نترقب دخول العشر الأواخر من الشهر.

عباد الله: ولا زال منادي الرحمن ينادي: أن هلموا إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

أيها المسلمون: والليالي القادمة غرةٌ في جبين الدهر في فضلها، جاء في القرآن: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[1].

وليلة القدر أمر المسلمون بتحريها في العشر الأواخر من رمضان. . . ألا وإن من الغبن أن يفرط المرءُ في ليال عشر يضمن فيها ليلة القدر.

لقد كان رسولُ الهدى ﷺ يجتهد في هذه العشر ما لا يجتهده في سواها، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحكي لنا اجتهاده وتقول -كما في الحديث المتفق على صحته-: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشرَ شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله» وفي رواية: «أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ، وشدَّ المئزر».

---

(١) سورة القدر: الآيات: ٣-٥.

واستنبط العلماءُ من سننه ﷺ -في العشر- ألوانًا من العبادة والاجتهاد. . ومن ذلك:

- إحياءُ الليلِ أو غالبِه بالتهجد.

- إيقاظ الأهل للصلاة في ليالي هذه العشر.

- وكانوا يستحبون في هذه الليالي المباركة - ولا سيما التي تُرجى فيها ليلةُ القدر - كانوا يستحبون التزين والتنظف والطيب، ولبس أحسن الثياب كما يُشرع ذلك في الجمع والأعياد، قال ابنُ جرير رحمه الله: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كلَّ ليلةٍ من ليالي العشر الأواخر.

وكان بعضُهم يلبس ثوبين جديدين ويستجمر.

ومما يشرع في هذه الليالي: الاعتكاف، وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعتكفُ العشرَ الأواخر من رمضان حتى توفاه الله.

وفي رواية للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: كان ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العامُ الذي قُبض فيه اعتكف عشرين.

كم في الاعتكاف من خلوةٍ مع الله، وانقطاع عن مشاغلِ الدنيا وصوارف الحياة؟ وما أحوج النفوس في مثل هذا الزمان إلى سويعات يخلو فيها العبدُ بخالقه، ويُجرد نفسه من أطماع الدنيا وفتنة المال والأهل والولد، وفي معتكفه يمارس أنواع الطاعات من صلاةٍ، وذكرٍ، وتلاوةٍ، وتفكرٍ، ويتطلع إلى الجنانِ وحورِها وأنهارها، ويستعيذ بربه خاشعًا خائفًا من النار وسلاسلها وزقومها. .

أما الاجتماعُ في المعتكف والسمرُ على أحاديث الدنيا، وجعلُه فرصةً للخلوة ببعض الأصحاب وتجاذب أطراف الحديث معهم - بعيدًا عن الذكرِ والتلاوة والصلاة فما هذا بالاعتكاف المشروع، بل اعتكافُ النبي ﷺ لونٌ، وهذا لونٌ آخرِ.

عباد الله: تتوفر فرصُ الاعتكاف في هذا الزمان - فالبيوتُ قريبةٌ من المساجد، وعددٌ من البيوت فيها من الولدِ من يقوم بشؤون أهله فترة اعتكاف الأب... أو يكون الولدُ مكفيًا عن شؤون أهله بأبيه أو إخوانه الآخرين، والبعضُ ليس لديه من مشاغلِ الدنيا ما يمنعه -شرعًا- من الاعتكاف... ومع ذلك يقلُّ العملُ بهذه السُّنة النبوية، ويرحم الله الزهري إذ قال في زمانه: عجبًا للمسلمين، تركوا الاعتكاف مع أنَّ النبي ﷺ ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله، ولربما تهيب البعض في البداية... ولو أقدم لوجد السهولة والسعادة، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا.

ويبدأ المعتكفُ من بعد غروبِ شمسِ اليوم العشرين، أو من فجر الواحد والعشرين، وينتهي بعد غروب شمس ليلة العيد.

أيها المسلمون ... والدعاءُ مشروعٌ في كل حين... ولكنه في هذه الأيام والليالي أبلغُ وأسمع، سواءٌ كان المسلمُ معتكفًا أو غير معتكف، ولا سيما في الليالي التي يُتحرى فيها ليلة القدر، قال سفيان الثوري رحمه الله: الدعاءُ في تلك الليلة أحبُّ إليَّ من الصلاة، ومرادُه أن كثرة الدعاءِ أفضل من الصلاةِ التي لا يكثر فيها الدعاء، وإن قرأ ودعا كان حسنًا.

وليس يخفى أن فضل الله واسع، وهو جوادٌ كريم، وحريٌّ بالمسلم أن يسأل من خيريِّ الدنيا والآخرة، له ولأقاربه ولعموم المسلمين. ومما ورد النصُّ عليه في هذه الليالي: «**اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعفُ عني**»، وهنا لطيفةٌ نبّه إليها بعض العلماء في حكمة سؤال العفو بعد الاجتهاد في الأعمال، قالوا: لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملًا صالحًا، ولا حالًا ولا مقالًا، فيرجعون إلى سؤال العفوِ كحال المُذنب المقصر[1].

---

(١) ابن رجب الحنبلي/ «لطائف المعارف».

إخوة الإيمان: والأعمالُ الصالحةُ عمومًا -وفي هذه العشر خصوصًا- أكثرُ من أن تحصر... إنها لرحمةٌ من رحماتِ الله وفضله على هذه الأمة، إذ هيّأ لها مثلَ هذه الفرص... التي يباركُ الله فيها لهم بالأعمال والأعمار.. وحين قصُرت أعمارُ هذه الأمة عن الأمم السابقة عوضها الله بمثل ليلة القدر التي يعدل العملُ فيها، بل هو خيرٌ من عمل ثلاث وثمانين سنة، فلا تحرمْ نفسك يا أخا الإسلام هذه الفرصة - ولا يقعدْ بك الكسلُ أو تستجبْ لنزعات الشيطان، بل قم مع القائمين، وشارك المسلمين في دعواتهم وخشوعهم، وأسأل ربَّك القبول فلا تدري أتشهدها في عام قابل أم تكون في عداد الموتى؟

اللهم لا تحرمنا فضلك، وأعِنَّا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك، وتقبل منا ومن إخواننا المسلمين.



زيارات واستقبالات رمضان(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله رَبِّ العالمين، يُقلبا الليل والنهار، إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بتقديره تنصرم الشهورُ والأعوام، وتفنى الأممُ وتعقبها أممٌ وأجيال، وهو وحده الحي القيوم، كل شيء هالك إلا وجهه.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله... كان عمره قصيرًا، ولكن حياته كانت مليئةً بالجهاد والدعوة والعلم والعمل، والبرِّ والإحسان، وكريم الخصال والأخلاق، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٣).

أيها المسلمُ والمسلمة: ما نوعُ تفكيرك في الآخرة، وما مقدارُ جديتك في السعي لها، وهل تستثمر الفرص وتفرح بالمناسبات التي تصلك بفضل الله ورحمته، وتُشرع فيها أبواب الجنة وتغلق أبواب النار... قد تكون الإجابةُ بالإيجاب... ولكن السلوك العملي هو الذي يحدد الدقة في الإجابة، ويحكم بصدق المتحدث أو كذبه.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٥/٨/١٤٢٠هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

قف مع نفسك وقفةً صادقة، وتأمل في الدنيا وقصرها، وما في الآخرة من نعيم أو جحيم يطول أمدُه، ويشتد الفرحُ أو الحزنُ له... ودعك من غرور الأماني، وتمثل موقفَ إبراهيم التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال سفيانُ بنُ عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ قال إبراهيم التيمي: «مثَّلتُ نفسي في الجنة، آكلُ من ثمارها وأشربُ من أنهارها وأعانق أبكارَها، ثم مثَّلتُ نفسي في النار، آكلُ من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالجُ سلاسلها وأغلالها، فقلتُ لنفسي: أيَّ شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أُرَدَّ إلى الدنيا، فأعمل صالحًا، قال: قلتُ: فأنت في الأمنية فاعملي»[1].

يا عبدَ الله: وحين يقتربُ شهرُ الصيام، ويتنافس الصالحون في الطاعات والقربات أدعوك -لتحفيز همتك للخير- إلى زيارات ثلاث، وما لم تستطع زيارتَه ببدنك فزره على الأقل بخيالك ومشاعرك.

- أما الموقعُ الأول: فهو المقابر، حيث القبور والموتى والرهبة والخشوع... وحين تُسلِّم عليهم وتدعو لهم - سلهم قائلًا: ها نحن في أواخر شعبان، وننتظر شهر رمضان، فما أمانيكم لو عدتم إلى الدنيا هذه الأيام؟ ولا تنتظرْ منهم إجابة فإنك لا تُسمِعُ الموتى وما أنت بمسمعٍ من في القبور؟ ولكنَّ أحدًا منهم لو استطاع الإجابة لقال: أمَّا نحن فقد انقطع أملُنا في الرجوع إلى الدنيا... ونحن الآن مرتهنون بما سبق وإن عملنا، وبما خلفنا من ولدٍ صالح، أو علم ينتفع به، أو صدقة جاريةٍ لنا.

ولكن، أنتم معاشر الأحياء، كم لله عليكم من فضل حين يبلغكم شهر الصيام والقيام فتصومون، وتقومون، وتتصدقون، وتذكرون، وتدعون، وتستغفرون،

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٩١، ٩٢).

وتسبحون، إلى غير ذلك من قرباتٍ تُضاعف فيها الحسنات، وتزيد المضاعفة في شهر الصيام... وقد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا، وودنا لو ازددنا فما وجدنا غير عمل الصالحات بقي لنا يؤنسُ وحشتنا، ويرفعُ درجاتنا، وكم يُغبن بعضُكم -معاشر الأحياء- حين لا يستثمر فُرص الطاعة، ولو عرف هؤلاء ما نحن فيه لاختلاف سعيهم وتحركت هممُهم. ثم قف أيها الزائر متأملًا في الحُفر والقبور، وما تخفيه من أسرار، وما بين أصحابها من تفاوت في المنازل وإن كانوا في القبور سواء، وتصور وكأنك لحقت بهم غدًا، فماذا سيكون حالُك بينهم... ثم لا تخرج إلا وقد سألت لهم الغفران، وسلِّهم بدعاء المسلمين لهم، ولا سيما في شهر الصيام والقيام والدعاء... وقبل أن تخرج عاهد نفسك على أن تختار لها أحسنَ المساكن بينهم، فلا مناص لك عن سكنى هذه الدار، وثمنُ تلك الدار ليس بالدرهم والدينار... لكنه بعمل الصالحات... واجعل من رمضان فرصة لإحكام البناء، وتوسيع المسكن، وحبور الدار، واختم ذلك بالدعاء الصادق: اللهم بلِّغني رمضان وأعنِّي على الصيام والقيام.

أيها المسلم والمسلمة: أما الموقع الثني الذي أدعوكم لزيارته، فالمستشفيات العامة حيث يرقد على أسرَّتها البيضاء جموعٌ من المرضى يختلفون في شكواهم... وقد يتفقون أو يتفاوتون في آلامهم... لكن أحدًا من هؤلاء المعنيين بالزيارة -لا يستطيع الخروج- على الأقل في شهر رمضان... وأقصد أصحاب الهمم منهم، وسلهم عن مشاعرهم حين يدخلُ شهر الصيام، ولا تستغربْ إن أجابتك العيون بالدموع قبل الألسنة بالكلام، أسفًا على عدم قدرتهم على الصيام، ومشاركة المسلمين في القيام، وحين لا تنس هؤلاء من دعوة بالشفاء العاجل وتعظيم الأجر على المرض والبلوى، فلا تنسَ كذلك أن تسليهم بقول المصطفى ﷺ: «**إذا مرض العبدُ أو سافر كُتِبَ له مثل ما كان يعملُ**

صحيحًا مقيمًا»[(١)]، وقبل أن تخرج من زيارة المريض تذكر نعمة الله عليك بالصحة والعافية، واعلم أنك مغبونٌ فيها أو مغبوط. مغبون إن فرطت وأضعت الوقت بما لا ينفع... ومغبوط إن استخدمت الصحة واستثمرتها في طاعة الله... ولئن كان هناك من يعيشون مع الأحياء الأصحاء وهم في عداد الموتى... فهناك من يعيشون مع الأصحاء وهم في عداد المرضى... وموتى الأحياء، أو مرضى الأصحاء في رمضان - هم من يدخل عليهم الشهرُ ويخرجُ ولم تتحركْ هممهم للخير، ولم تنشط أنفسُهم للطاعة، قعد بهم الشيطان عن مشاركة المسلمين في قيامهم ودعائهم، ولربما قعد ببعضهم عن الصلاة المفروضة، والصيام الواجب وهم أصحاء أقوياء!! وصدق رسول الهدى ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغ**».

ألا فاغتنم الفرص يا عبد الله، وخذ من صحتك لمرضك، ومن شبابك لهرمك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لموتك... وشهرُ رمضان يستحق أن تستثمر فيه الصحة والفراغ، ومن يدري، فقد يأتي عليك رمضان بعدُ وأنت طريح الفراش فتتمنى لو كنت صحيحًا معافى... فها أنت كذلك، فماذا أنت صانع.

أيها المسلمون: أما الزيارة الثالثة فإلى أحد مواقع المسلمين المضطهدين في الجهاد... حيث يحاصرون ويطاردون عن ديارهم... قاذفات الطائرات من السماء، ورصاصُ المدفعيات من الأرض... وبين نيران السماء والأرض، شدةُ الجوع حيث يقلّ الطعام، وشدة البرد حين تتساقط الثلوجُ في الشتاء، ومع ذلك كلِّه يلفُّ أهلَ تلك الديار الخوف، ويحيط بهم القلقُ، ففي كل يومٍ يفقدون

---

(١) رواه أحمد والبخاري - «صحيح الجامع» (١/ ٢٨١).

أبًا أو ابنًا أو يشهدون رضيعًا يتضور جوعًا. . . أو امرأة يُنتهك عرضُها - وهكذا من صور المآسي والآلام - وهل بإمكان هؤلاء أن يصوموا أو يقوموا أو يتفرغوا لتلاوة القرآن. . . أو يتنفَّسوا عبير شهر الصيام. . . فإذا تصورت حال هؤلاء في شهر الصيام فأدركهم بصدقةٍ قد تنقذ بها نفسًا. . . وبدعوة صادقة قد يفرج الله بها كربًا. . . وعد إلى نفسك وأنت آمن في سربك ومعافى في بلدك وبدنك وقل: يا نفسُ ها قد حل شهرُ الصيام واقترب، فكوني في قائمة المسارعين للخيرات، والمتسابقين لصنوف الطاعات، وسل ربَّك العاقبة، وفي حندس الظلام وحين تسجد لله سل لإخوانك المسلمين الخلاص من المحن والنصر على الأعداء. . . فرمضان شهرُ الدعاء، كما هو شهر المواساةِ والصدقات، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).



(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسنُ عملًا، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وَفَّقَ الله من شاء لطاعته، وهدى أولياءه لاستثمار مواسم الخيرات، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، أمر بالمبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل حلول الفتن والأسقام أو نحوها من الصوارف والشواغل، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائرِ الأنبياء والمرسلين.

عبادَ الله: بمِ نستقبل رمضان؟

هنا تتفاوت الهممُ، وتختلف الإجابةُ على صعيد الواقع وإن اتفق الناسُ في الكلام والأماني، ودعونا نتواصى بالصبر والحق -فتلك من علامات المؤمنين- ونتذاكر في عددٍ من الأمورِ نستقبلُ بها هذا الضيف الكريم.

فنستقبله أولًا بالفرح والبشرى، فهو من فضل الله ورحمته علينا، والله يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

بُشرى العوالم أنت يا رمضانُ ... هتفتْ بك الأرجاءُ والأكوانُ
لك في السماءِ كواكبٌ وضَّاءةٌ ... ولك النفوسُ المؤمناتُ مكانُ

٢- ونستقبله -ثانيًا- بالعزيمة على عمل الطاعات، ثم نتبع ذلك بالمسارعةِ للخيرات، فرمضانُ موسمٌ للهدى والخير والبركات، وميدانٌ رحب للتسابق في عمل الصالحات.

٣- ونستقبله بالتوبة النصوح من الذنوب والأخطاء، وفتح صفحاتٍ أكثر إشراقًا وقربًا إلى الله... وأنت -أيها المسلمُ والمسلمة- واجدٌ لك في هذا

(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.

الشهر عونًا على التوبةِ والإنابة، فالصيامُ يورث التقوى، ويردع عن الفواحشِ، ويكسرُ شهوةَ البطن والفرج، ومردةُ الشياطين تُصفَّد، وأبوابُ الجنة تفتح، وأبواب النار تغلق - وكل ذلك من دواعي التوبة ومعينٌ عليها، ومحرومٌ من دخل عليه شهرُ رمضان ثم خرج ولم يُغفر له «**رغمُ أنفُ رجلٍ دخل عليه رمضانُ ثم انسلخ قبل أن يغفر له**».

٤- ونستقبله، بل نبدأ الصيام والقيام، بالإخلاص لله ورجاءِ مثوبتهِ.. فالإيمانُ والاحتسابُ شرطان للمغفرة للصائمين والقائمين، وفي الحديث المتفق على صحته: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»، «**ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

٥- ونستقبله ونتواصى فيه على الجود وزيادة المعروف والإحسان، وفي رسول الله أسوةٌ حسنة، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان، ووصف جودُه -حين يلقاه جبريلُ في رمضان- بأنه كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة[(١)].

٦- معاشر الأئمةِ: واستقبلوا رمضان بحثِّ جماعتكم على الخير، وبحسن تلاوة كتاب الله حين تؤمُّون المسلمين، وترغيب الناس في التراويح والقيام، ومراعاة أحوال الناس قدر الإمكان، وبما لا يُخلُّ بواجب، أو يفوِّتُ سُنَّةً، واختاروا الكتاب المناسب للقراءة، والموضوعات المفيدة للحديث للرجل والمرأة، والصغير والكبير، والخيِّر والراغب في الهداية، ومن الخير أن يكون هذا الإعدادُ سابقًا لدخولِ رمضان.

٧- أيها الأخيارُ في كل حي: وجميلٌ منكم أن تسهموا مع الأئمة وجماعة المسجد على كل خير، لا سيما وجموعٌ من المصلين تَفِد إلى المساجد في شهر

---

(١) متفق عليه، «رياض الصالحين» ٤٨٠.

رمضان، فرحبوا جميعًا بمقدمهم، وتعاونوا مع الأئمة على أسباب انقطاع من ينقطع بعدُ منهم، تفقدوا المحتاجين.

٨- أيها المحاضرون والمتحدثون - وأنتم خليقون أن تختاروا الكلمة المناسبة في رمضان، وأن تجتهدوا في التحضير والإعداد، وتجددوا في أساليب طرحكم، وتعيشوا هموم الناس، وتجيبوا على تساؤلاتهم. فليس المهمُ أن تتاحَ الفرصةُ للحديث فحسب، بل وبماذا وعن أي شيء تتحدثون!

٩- أيها الأغنياء: واجتهدوا في إحصاءِ زكاة أموالكم، وأخرجوها راضية بها أنفسُكم، وتحققوا في المحتاجين، وليكن للمجاهدين واللاجئين والمنكوبين في العالم الإسلامي نصيب من زكاتكم وصدقاتكم.

١٠- أيتها المرأة: وإن أخطأت بعضُ النساء فاستقبلت رمضان بأنواع المآكل والمشارب، أو بالخروج وكثرة التردد على الأسواق، أو بطول النوم، أو الحديث في الغيبة والنميمة، أو سماع المحرم، أو نحو ذلك مما يحرم على المسلم، ويخدش الصيام، فلا تقعي أنت في شيء من هذا، ونبهي أخواتك المسلمات... فالنساء شقائق الرجال، ورمضان فرصة للمسارعة للخيرات للرجال والنساء، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

أيها المسلمون: لا تستقبلوا رمضان بصوم يوم قبله تحوُّطًا إذ لا يجوز صيام يوم الشك، وإذا ثبت دخولُ الشهر فلا بد من تبييت النية للصوم الواجب، وذلك في القلب، والتلفظُ بها بدعة، ولا تشترط النيةُ لصوم النفل، وإذا كانت نوافل الصلاة تجبر مما في الفرائض من خلل فكذلك صيام النفل... هذا فضلًا عما فيها من رفعة الدرجات وتكفير السيئات - ومن صيام النفل الصيام في شهر شعبان، وفي الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبيُّ ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كلَّه، وفي

رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلًا[١] ومن لم يعلم بدخول شهر رمضان إلا بعد طلوع الفجر فعليه أن يمسك بقية يومه، وعليه القضاءُ عند جمهور العلماء[٢].

ومن قاتل عدوًا وأحاط العدوُّ ببلده، والصومُ يضعفه عن القتال، ساغ له الفطر ولو بدون سفر، وكذلك لو احتاج للفطر قبل القتال أفطر[٣].

اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلِّغنا رمضان، وأعِنَّا فيه على الصيام والقيام، واجعلنا ممن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا يا رب العالمين، اللهم أهلَّ رمضان علينا وعلى المسلمين بالخير واليمن والبركات.



(١) «رياض الصالحين» ٤٨٦.

(٢) المنجد «مختصر سبعين مسألة في الصيام» ٣٦.

(٣) المنجد «مختصر سبعين مسألة في الصيام» ٣١.

أصحاب الفيل(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله القوي العزيز، أهلك عادًا الأولى، وثمود فما أبقى، والمؤتفكةَ أهوى، فغشَّاها ما غشّى، فبأيِّ آلاء ربك تتمارى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ردَّ أصحاب الفيل وجعل كيدهم في تضليل، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، تزامن مولدُه مع حادثة الفيل عبرة وعظة.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن أصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: أوصي نفسي وإياكم بلزوم تقوى الله، فلباسُها خيرُ لباس، وأصحابُها في جنات ونهر، وبالتقوى يجعل الله من كل ضيق مخرجًا، ويرزق من حيث لا يحتسب المرزوق، ومن يتقِ الله يجعلْ له فرقانًا ويكفرْ عن سيئاته ويُعظمْ له أجرًا.

أيها المسلمون: سورةٌ في كتاب الله قليلٌ آيُها، كبيرٌ حدثها، وعظيمٌ مدلولها، تنبئ عن نهاية الظلم، وهلاك المتكبرين... لا بسلطانِ البشر وقوتهم، ولكن بقوة الله وحده وجبروته... وتؤكد السورة ألا قوة فوق قوة الله... وأن القوى الظالمة مهما تجبرت وطغت فنهايتها الفناء.

أخرج الحاكم مختصرًا وصححه، وزاد غيره -قصة أصحاب الفيل- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبل أصحابُ الفيل (عليهم أبو يكسوم صاحبُ الحبشة)

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٨/ ١٠/ ١٤٢٠هـ.

ومعه الفيل، حتى إذا دنوا من مكة (عند الصفاح) استقبلهم عبدُ المطلب (جدُّ النبي ﷺ) فقال لملكهم: ما جاء بك إلينا، ألا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت؟ قال: أخبرتُ بهذا البيت الذي لا يدخله أحدٌ إلا أمِن، فجئتُ أخيفُ أهله، فقال: إنا نأتيك بكل شيءٍ تريد فارجع، فأبى إلا أن يدخله، فقال (عبد المطلبُ): إن هذا بيتُ الله تعالى لم يُسلط عليه أحدًا، قالوا: لا نرجعُ حتى نهدمه، وانطلق يسير نحوه، وتخلف عبدُ المطلب فقام على جبل فقال: لا أشهد مَهْلِكَ هذا البيت وأهله، ثم قال:

اللهم إن لكلِّ إلهٍ حلالًا فامنع حلالك
لا يغلبن مِحالُهم أبدًا مِحالك
اللهم فإن فعلتَ فأمرٌ ما بدا لك

فلما انتهى الجيشُ إلى الحرم برك الفيل وحبسه الله عن مكة فأبى أن يدخلَ الحرم، فإذا وُجه راجعًا أسرع راجعًا، وإذا أريد على الحرم أبي، وجعل اللهُ كيدهم في تضليل، فأقبلت مثلُ السحابة من نحو البحر طيرٌ صغارٌ بيض، أبابيل، لها خراطيمُ كخراطيم الطير وأكُفٌّ كأكُفِّ الكلاب، في أفواهها حجارة أمثال الحِمِّصِ سوداء بها نضح حمرة، كأنها جَزَعُ ظفار، في منقارِ كل واحدٍ منها حجرٌ، وحجران في رجلين (من طين)، فأقبلتْ حتى أظلتهم فجعلت ترميهم بها، ولا تصيب شيئًا إلا هشمته، فجعل الفيل يَعج عجًا، فجعلهم اللهُ كعصف مأكول، فكان لا يقع منها حجرٌ على أحدٍ منهم إلا تفطر مكانَه، فذلك أولُ ما كان الجدري، ولم تُصبهم كلَّهم، فأخذتهم الحكةُ، فكان لا يحك إنسانٌ منهم جلده إلا تساقط لحمُه، فأصيب أبو يكسوم في جسده فهرب، وكلما قدم أرضًا تساقط بعضُ لحمه، حتى أتى قومه فأخبرهم الخبر ثم هلك.

وأرسل الله إليهم سيلًا فذهب بهم وألقاهم في البحر، وبقي خزق الفيل

أخضرُ محيلًا بعد عام، وكان يقف عليه البعضُ ينظر إليه، ومنهم قباث بن أشيم أخو بني يعمر بن ليث وأمُّه، وعاش سائس الفيل وقائده بمكة أكثر من خمسين سنة بعد هذه الحادثة، ولكنهما عميا، ورأتهما عائشة رضي الله عنها وهام أعميان مقعدان، يستطعمان الناس.

وفي فجر ذلك اليوم العظيم الذي ردَّ الله فيه كيد أصحاب الفيل، ولد محمد ﷺ، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول(١).

أجل: لقد كانت حادثةُ الفيل تقدمةً بين يدي مولد رسول الله ﷺ، وإرهاصًا، ومقدمة لبعثته وما سيكون له من شأن في البلد الحرام.

يقول ابنُ القيم رحمه الله: وكان أمرُ الفيل تقدمةً قدمها اللهُ لنبيه وبيته، وإلا فأصحابُ الفيل كانوا نصارى أهلَ كتاب، وكان دينُهم خيرًا من دين أهل مكة إذ ذاك؛ لأنهم كانوا عُبَّادَ أوثان، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرًا لا صنع للبشر فيه، إرهاصًا وتقدمة للنبي ﷺ الذي خرج من مكة وتعظيمًا للبيت الحرام(٢).

وكانت حادثة الفيل معجزةً من معجزات محمد ﷺ ودليلًا على نبوته، كيف لا وقد نزل عليه الوحيُ من ربِّه يخبره عن هذه القصة الواقعة، ويؤكد لأهل مكة ما قد رأوه بأعينهم.

قال القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا: كانت قصةُ الفيل فيما بعدُ من معجزات النبي ﷺ، وإن كانت قبله؛ لأنها كانت توكيدًا لأمره وتمهيدًا لشأنه، ولما تلا عليهم رسولُ الله ﷺ سورة الفيل كان بمكة عددٌ كثير ممن شهد تلك الوقعة

---

(١) انظر «صحيح السيرة النبوية»، ابن طرهوني: (١/ ١٤٣-١٤٥).

(٢) «زاد المعاد» (١/ ٧٦).

ولهذا قال: «ألم تر»[١].

أيها المسلمون: وتؤكد حادثةُ الفيل أن القوة لله جميعًا... وإن قوى البشرِ مهما بلغت تتضاءل أمام قوةِ الله... كما تكشف الحادثة عن ضعف البشر مهما تجبروا وآتوا من قوة أمام سلطان الله.

أجل: لقد أرعد وأزبد أبرهة وأقسم ليهدمنَّ الكعبة، وليصرفن العرب في الحج إلى الكنيسة القُلِّيس التي بناها في صنعاء، وكتب إلى سيده في الحبشة يقول: إني قد بنيت لك أيها الملكُ كنيسةً لمن يبن مثلُها لملكٍ كان قبلك، ولستُ بمنتهْ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب... وحين احتملتُ الحميةُ واحدًا من العرب، فذهب وأحدث في هذه الكنيسة ما أحدث استشاط أبرهة غضبًا، وشكل جيشًا عظيمًا تقدمه الفيلة، وزاد من غيظه أنه حين بعث إلى بني كنانة - قبيلة الرجل الذي أحدث في الكنيسة - يطلب منهم الحج إلى كنيسته قتلت بنو كنانة رسوله، فتجهز الأحباشُ النصارى وساروا بقيادة أبرهة بجيش عرمرم، فتسامعت العربُ بمخرجه وهدفه، فعظموا بيتَ الله ورأوا قتالَ أبرهة والتصدي له واجبًا عيهم، وإن كانوا أقلَّ منه شأنًا، وتعرضوا له بالحرب، ولكنه أوقع فيهم وانتصر على كل من خرج عليه منهم، حتى بلغ بيت الله... وانتهت دونه الحماية البشرية ولم تبق إلا قوة الله، ولم يبق من ناصرٍ أو معينٍ قادرٍ على دفع الظالمين... وأنَّى لقريش بضعف قواها... أو ضعف معتقدها أن تصمد لجيش حطّم القوى قبلها... وكان من عقل عبد المطلب أن يطلب من قومه الخروج من جوار الكعبة، إذ لا قبل لهم بأبرهة وجيشه، ويقول قولته المشهورة: أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه، وأن توكل حماية البيت إلى ربه والآمر ببنائه،

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٩٥).

وقد كان، فجاءت جنودُ السماء تحمل العذاب الأليم لهؤلاء المستكبرين. . . وكانت النهايةُ لهؤلاء القوم، ولم تكن نهايتهم بداية الهلاك للأمم والقوى الظالمة، فقد سبقتها قوى حُطمت، وقرى أهلكت، وديارها أطلالٌ موحشة تحكي قصتها كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾[(١)]، وأصحاب الفيل نموذج من نماذج الظالمين المُهْلكين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[(٢)].



(١) سورة القصص، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الفيل، الآيات: ١-٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رَبِّ العالمين ناصرِ دينه، ومعزِّ أوليائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نصر عبدَه وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله... نصره ربُّه بالرعب، فما لقيه أحدٌ إلا هابه وقدَّره، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين.

عبادَ الله: لا تعني حادثةُ الفيل أن يتعطل المسلمون عن فعل الأسباب المشروعة لمقارعة الباطل وأهله، فالتوجيه واضح: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

ولكنها تؤكد عدم الاستسلام للباطل مهما انتفش أصحابُه، وتؤكد عدم اليأس من نصرِ الله حين يُستضعف المسلمون - إذا ما صدقوا مع خالقهم.

كما تؤكد عدم الإحباط عند رؤية القوى الكبرى تبطش وتقهر، وتحلّ وتعقد... فربك للظالمين بالمرصاد، وهو يمهل ولا يهمل، وأخذه أليم شديد، ونواميسُ الكون بيده... وهو واهبُ القوى، والقادرُ على نزعِها... وما قدر وقضى لحكمٍ قد يعلمُ البشرُ بعضَها، وقد يخفى عليهم الكثيرُ منها.

أيها المسلمون: ومن دلالات حادثة أصحاب الفيل أن الاعتقادَ بتخليد قوة مهما بلغت وديمومتها ظنٌّ خاطئٌ يُكذبه الواقع، ويشهد بخلافه ناموسُ الكون بقدرة الله.. فأين عادٌ التي لم يُخلق مثلُها في البلاد؟ وأين ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وأين فرعونُ الذي قال: ما علمتُ لكم من إله غيري، وقال: أنا ربكم الأعلى؟ وأين قارون الذي آتاه اللهُ من الكنوز ما إنَّ مفاتِحَه لتنوء بالعصبة

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

أولي القوة، وقال: إنما أوتيته على علم عندي؟ أين جحافلُ التتار الذين عاثوا في الأرض الفساد، يقتلون ويرهبون؟ وأين أصحابُ الحملات الصليبية على مدى قرنين من الزمان؟ وأين أصحاب الحربين العالمية الأولى والثانية، وما خلفتاها من دمار؟ بل أين دهاقنة الشيوعية الحمراء؟ وقد أذن الله مؤخرًا بسقوط دولة الاتحاد السوفيتي بتمزق الاتحاد دولًا، ولا تزال روسيا تصارع من أجل البقاء... وتصب جام غضبها على المسلمين.

إن تاريخ القوى المحطمة والدول المتتالية في السقوط عبر القرون يؤكد حقيقة الملك لله والتفرد لله... وكلما زاد الظلم تسارع السقوط، وكلما كان الهدى والصلاحُ عُمرت الدول، صدق الله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[1].

إخوة الإسلام: ومن دلالات حادثة الفيل أن العرب لا شيء بدون الإسلام، فلم يكن لهم دورٌ في الأرض أو شأن يذكر، بل ولا كيانٌ يرهب قبل الإسلام. لم يستطيعوا حماية البيت، ولم يشأ الله أن يحمي بيته المشركون... ولكنه حين شاء وقدّر أن يبعث فيهم رسولًا إلى البشرية وأن تكون الكعبةُ قبلتَه حمى بيته، فعظّم العرب هذا البيت المحمي من قبل الله... وزاد ذلك من تقدير العرب لقريش حتى إذا بُعث النبيُّ منهم كانت حادثة الفيل إرهاصًا لمولده وبعثته.

وتحت راية الإسلام ولأول مرة في تاريخ العرب أصبح لهم دور عالمي يؤدونه، وأصبحت لهم قوةٌ دولية يُحسب لها حساب... حملوا عقيدةً ضخمةً يهدونها إلى البشرية رحمةً وبرًا بها، ولم يحملوا قوميةً ولا عصبية... حملوا

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٧.

فكرةً سماويةً يعلمون الناس بها، ولا مذهبًا أرضيًا يخضعون الناس لسلطانه، وخرجوا من أرضهم جهادًا في سبيل الله وحده، ولم يَخرجوا ليؤسسوا إمبراطوريةً عربيةً ينعمون ويرتعون في ظلها، ولم يُخرجوا الناس من حكمِ الروم والفرس إلى حكم العرب، وإنما أخرجوهم من عبودية البشر بعضهم لبعض إلى عبودية ربِّ البشر، عندئذ كان للعرب وجودٌ وقوةٌ وقيمةٌ، وقيادة وقوة ترهب، وسلطانٌ يمتد، وتسارع الناس إلى الدخول في دينهم وتحت حكمهم العادل، وامتدَّ ضياءُ الإسلام يطوي بساط الظلام.

عبادَ الله: وإذا قيل بالأمس: ما العربُ بغير الإسلام؟! أمكن القول اليوم وما العرب، بل وما المسلمون بغير الإسلام الحق؟! ويأتيك الجوابُ عاجلًا ودون تردد: لا شيء لا شيء، أجل وربي، إن العقيدة الحقة هي التي جعلت للعرب بالأمس شأنً يذكر، وهي التي يمكن أن تعيد لهم سلطانهم ودورهم في الأرض اليوم، وما أحوج الوجود إلى عقيدتهم الحقة - بها ينشرون العدل والخير، وبها تُطوى صفحاتُ الظلم والهضم، وبها تتساقط القوى الوهمية وتنتهي الشعاراتُ الخادعة، وحين يصدق المسلمون في عقيدتهم وتوجههم لخالقهم يكفيهم كيد الكائدين، ويدفع عنهم قوى الأرض مهما كان حجمُها ونوعُ قوتها... فالذي دفع أصحاب الفيل وردّهم خاسئين وجعل كيدهم في تضليل، قادرٌ على دفع غيرهم من الأمم الكافرة الظالمة. ولم يكن أصحاب الفيل هم القوة الأولى ولا الأخيرة في هذا الكون ممن دمرهم الله وأهلكهم بظلمهم. ووفق سنة الله في الكون فسيظل الهلاكُ والتدمير لكل من عتى وتسلط وتكبر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٤، ٤٥.

مراتب الجهاد[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، وخيرته من خلقه، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عبادَ الله: اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون، واتقوا الله وكونوا مع الصادقين، واتقوا الله ويعلمكم الله.

إخوة الإسلام: وهناك شعيرةٌ عظيمةٌ من شعائر ديننا يقلُّ الحديثُ عنها، أو يُقصَّرُ في مفهومها، وربما قلَّ أو ضعف العملُ فيها، أو في أحدٍ من جوانبها.

إنها شعيرةُ الجهادِ في سبيل الله بمفهومها الواسع، وبأنواع الجهادِ ومراتبهِ المختلفة.

إن عددًا من الناس حين يسمع كلمةَ الجهاد يتبادر إلى ذهنِهِ جهادُ الأعداء بالسيف، وقتالُ الكفار بالأسلحة المادية، وهذا النوعُ من الجهاد - وإن كان مهمًا ودرجتُه عاليةٌ في الأمة - فليس هو الجهاد كلَّه، فثمةَ مراتبُ أخرى من مراتب الجهاد، أوصلها بعضُ العلماء إلى ثلاثة عشرَ مرتبةً، لا بد من معرفتها والعمل بها.

وهذه المراتبُ المختلفةُ والمتفاوتةُ لا يُعفى مسلمٌ ولا مسلمةٌ من المساهمة

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٠/ ٢/ ١٤٢٠هـ.

فيها، وكلما أخذ المرءُ منها بنصيبٍ أوفر، كان نصيبُه من الإيمان والجهاد أكبر، أجل، لقد جاء ذكرُ الجهاد في كتاب الله كثيرًا، وشملت آياتُه جهادَ الكفارِ، وجهادَ المنافقين، وجهادَ النفس، وجهادَ الشيطان، والجهادَ بالمال، وجهاد الحُجَّة والبيان، وكذا جاءت نصوصُ السنةِ النبوية مبيّنةً لما أُجمل في القرآن، وموضحةً فضلَ ومنازلَ المجاهدين.

ومما يلفت النظر، ويوسع مفهوم الجهاد في القرآن، أن واحدةً من آيات الجهاد نزلت في سورة مكية - أي قبل أن يفرض الجهادُ في المدينة. يقول تعالى في سورة الفرقان مخاطبًا نبيَّه ﷺ وآمرًا له بالجهاد من حين بعثه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[١].

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ يعني: بالقرآن، وقال ابنُ زيدٍ: بالإسلام، وقيل: بالسيف، وهذا فيه بُعْدٌ؛ لأن السورة مكية نزلت قبل الأمر بالقتال - كذا نقل القرطبي، وقال في معنى ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: لا يخالطه فتور[٢].

يا أخا الإسلام: وإليك مراتب الجهادِ، وسائل نفسك بأي قدرٍ أخذت منها، بل وكم نجحت أو غُلبت في شيءٍ منها.

قال ابنُ القيم رحمه الله: الجهادُ أربعُ مراتب: جهادُ النفس، وجهادُ الشيطان، وجهادُ الكفار، وجهادُ المنافقين، فجهادُ النفس أربعُ مراتب أيضًا:

الأولى: أن يُجاهدها على تعلُّم الهدى ودينِ الحق الذي به سعادةُ المرءِ وفلاحُه في الدارين.

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٥١، ٥٢.

(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٥٨)، ابن القيم: «زاد المعاد» (٣/ ٥).

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجردُ العلمِ بلا عمل إن لم يضرَّها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يَعلمُه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزلَ الله من البيناتِ والهدى.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كلَّه لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلفَ مجمعون على أن العالِمَ لا يستحقُّ أن يُسمى ربانيًا حتى يعرفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويُعلِّمَه.

وأما جهادُ الشيطان فمرتبتان:

جهادُه على دفْع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات، والشكوك القادحة في الإيمان.

والثانية: جهادُه على دفع ما يُلقي إليه من الإيرادات الفاسدة والشهوات.

وأما جهادُ الكفارِ والمنافقين فأربعُ مراتب، بالقلب، واللسان، والمال، والنفس. وجهادُ الكفارِ أخصُّ باليد، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان.

وأما جهادُ أرباب الظلم والبدعِ والمنكرات فثلاثُ مراتب، الأولى: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقلَ إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه.

فهذه كما يقول ابنُ القيم رحمه الله - ثلاثة عشر مرتبةً من الجهاد: «**ومن مات ولم يغزُ ولم يُحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق**»[1].

إخوة الإيمان: ويحتاج المسلمُ والمسلمةُ إلى المعرفة والعمل بهذه المراتب كلِّها - في كل زمان - ولكن الحاجةَ إلى ذلك تشتد في مثل هذه الأزمان التي

---

(١) رواه مسلم ١٩١٠، انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٩-١١).

تكاثر فيها الأعداءُ على المسلمين، فالعدوُّ الخارجي انتهك بلادهم، وقتل وشرد، واستباح حرماتهم، والمنافقون باتوا يجمعون فلولهم وجاؤوا يركضون، وأشغلوا الأمة عن قضاياها المصيرية مع أعدائها بطرح شعارات كاذبة، ودعاوى خبيثة، وفتنٍ مستشريةٍ، هذا مع ما في الأمة من ضعف وخورٍ، وجُبنٍ وهلع، وتبعية ممقوتة، وتشبث بمظاهر كاذبةٍ، وتعلق بأشياء تافهة إلا ما شاء الله، والمؤلمُ إذا سرى في الأخيار منهم داءُ الوهم والوهن، وأصيبوا بالتلاوم والإحباط، وشغلوا بالدنيا عن الدين، أو بالمهاترات والخلافات الممقوتة، وحصروا أنفسهم في دائرةٍ ضيقةٍ ما كان العدوُّ يطمعُ أن يصيروا إليها.

عبادَ الله: ونحتاج لمعرفة هذه المراتبِ من الجهاد في معركتنا المتجددة مع أنفسنا ومع الشيطان، وفي ظل معركةِ الشبهات والشهوات، وفي عالم حرب الفضائيات وغزو القنوات.

ونحتاج للعلم والعمل بهذه المراتب الجهادية لانتشار رقعةِ الفساد، وغربة الإسلام، وموجةِ التقليد، وإعجابِ كلِّ ذي رأي برأيه، وغياب الهدفِ الأسمى للوجود في هذه الحياة عند فئامٍ من المسلمين.

أيها المسلمون: ويستخلص مما مضى أن أعداء الإنسان المأمور بمجاهدتها أربعة: النفسُ، والشيطان، والكفارُ، والمنافقون، وإن هناك حكمةً إلهيةً لتسليط هؤلاء الأعداء على الإنسان، وذلك ليبلوَ الله الصادقين من الكاذبين، ويميز الخبيث من الطيب، ويمتحن الله من يتولاه ورسلَه، عمن يتولى الشيطانَ وحزبه، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾(١).
وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾(٢).

عبادَ الله: وفي ظل هذه المعركة، والأعداءِ المسلطة، لم يترك اللهُ عبدَه دون مدد، ولم يُخلِهِ من مدافعةْ، بل جعل له السمع والبصر والعقلَ والقُوى، وأنزل عليه كتبه، وأرسل إليه رسله، وأمدهم بملائكته، وقال لهم: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(٣).

وأمرهم بدوام المجاهدةِ والمصابرة، ووعدهم على ذلك رضاه والجنة، وأخبرهم أنه مع المتقين، ومع المحسنين، ومع المؤمنين، ومع الصابرين، وذلك حتى لا يستوحشوا أو يفتروا، بل أخبرهم بدفاعه عنهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾(٤).

ولكن هذه المدافعة بحسب إيمانهم، وثقتهم وتوكلهم ودعائهم لخالقهم... مهما أحاطت بهم الخطوب، وتكاثرت عليهم الأعداء، ومن قبلُ قال إخوانُهم المؤمنون: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾(٥)، بل وكان حالُ الأنبياء السابقين مع النصر كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(٦).

نفعني الله وإيّاكم بهدي كتابه.

❊ ❊ ❊

(١) سورة محمد، الآية: ٤.
(٢) سورة محمد، الآية: ٣١.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٢.
(٤) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.
(٦) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين أوحى إلى عبده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فاوت بين المجاهدين والقاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢).

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، أخبر أن طائفةً من أمته: «**لا تزال تُقاتل على الحق، ظاهرين على من ناوأهم حتى يُقاتل آخرُهم المسيحَ الدجال**»(٣).

اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى سائر أنبياء الله ورسلِه.

إخوة الإيمان: أخرج الإمام أحمدُ رحمه الله من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن؟ مَنْ أَمِنَهُ الناسُ على أموالهم وأنفسهم، والمسلمُ من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهدُ من جاهد نفسَه في طاعة الله، والمهاجرُ من هجرَ الخطايا والذنوب**»، والحديث صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي. «المستدرك»: (١/ ١١)(٤).

وهكذا يتسعُ مفهومُ الجهاد في السنة، ويؤكد المصطفى ﷺ فيه على تربية النفس على طاعة الله، والإقلاع عن الذنوب والخطايا... فتلك بدايات أساسية للجهاد في مجالاته الأخرى، قال العارفون: إن مجاهدة النفس مقدمٌ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.
(٣) «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٧١).
(٤) «المسند» (٦/ ٢١)، «زاد المعاد» (٣/ ٦، الهامش ١).

على جهاد العدوِّ في الخارج، فإنه ما لم يجاهدها لتفعلَ ما أمرت به، وتتركَ ما نُهيت عنه، لم يمكنه جهادُ عدوِّه في الخارج... بل لا يمكنه الخروجُ لمنازلة العدو حتى

يجاهدَ نفسه على هذا الخروج(١).

عبادَ الله: ولا يتم الجهادُ إلا بالهجرة، ولا الهجرةُ والجهادُ إلا بالإيمان، والراجون رحمةَ الله هم القائمون بهذه الثلاث كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٢).

وكما أن الإيمان فرضٌ على كل أحدٍ، ففرضٌ عليه هجرتان في كل وقت: هجرةٌ إلى الله ﷻ بالتوحيد، والإخلاص، والإنابة والتوكل، والخوف، والرجاء، والمحبة، والتوبة.

وهجرةٌ إلى رسوله ﷺ بالمتابعة والانقياد لأمره والتصديق بخبره، وتقديم أمرِه وخبرِه على أمرِ غيرِه وخبرِه(٣).

وهكذا - إخوةَ الإيمان - يتسعُ مفهومُ الهجرةِ كما اتسع مفهومُ الجهاد - ويَفرضُ على كلِّ مسلم جهادُ نفسه في ذات الله، وجهادُ شيطانه، وهذا مما لا ينوب فيه أحدٌ عن أحد، فانظر - أيها العاقل - في نفسك، وقوِّمها في باب المجاهدة والهجرة، فإن وجدت خيرًا فاحمدِ الله؛ واسأل ربَّك الثبات والمزيد، وإن وجدتَ خلاف ذلك فتدارك نفسَك ما دام في الأمر مهلةٌ، وتُبْ مما يُثقل كاهلك يوم العرض على الله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٦).
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.
(٣) «زاد المعاد» (٣/ ١١، ١٢).

﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

يا أخا الإسلام: إياك أن تكون عنصر تعويق في أمتك، واعلم أن معصيتك لله، وانحرافك عن صراطه المستقيم خرقٌ في سفينة الأمة، وأن ضعفك وتراخيك في مجاهدة نفسك أو مجاهدةِ الأعداء، إنما هو ثُلمةٌ في بنيان أمتك، ورحم اللهُ الخليفةَ الراشد حينما أوصى قائد جنده السائر للمعركة بقوله: «واعلم أن ذنوب الجيش أشدُّ عليه من أعدائه».

أما طاعتُك -**أخا الإسلام**- وجهادُك في سبيل الله فهو رافدٌ لنهضة الأمةِ، وسببٌ من أسباب نصرها، فإياك أن تحقر نفسك، أو تهمش دورَكَ، أو تُرحل المسؤولية على غيرك، فعليك سهمٌ في الجهاد والدعوة أينما كان موقعُك، ومهما كانت قدراتك: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢] ولكن: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٣]، فإن قلت أنك في عداد الضعفاء، فليس يعجزك أن ترفعَ يديك إلى السماء داعيًا بتسديد سهام المجاهدين، وإبطال كيد الكائدين، وذكِّر رهبانَ الليل بسهم الدعاء فهو لا يخطئ، ولا يغبْ عن بالك أن الأمة إنما يرحمون وينصرون بضعفائهم... وهكذا تتكامل الطاقات، وتسدد المواقع، وتوصد الأبوابُ دون المفسدين.

يا أخا الإيمان: وكيف تتأخرُ في التقوى والمجاهدة، وربُّك يخاطبك بآيتين حريٌّ بك أن تتأملهما وتعمل بمقتضاهما، وهما: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤]، والأخرى قوله تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾[٥].

(١) سورة النساء، الآية: ١١٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٥) سورة الحج، الآية: ٧٨.

قال العالمون: ولم يُصبْ من قال إن الآيتين منسوختان، لظنه أنهما تضمنتا الأمرَ بما لا يُطاق، ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ و﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ هو ما يُطيقه كلُّ عبدٍ في نفسه، وذلك يختلف باختلاف أحوالِ المكلفين في القدرة، والعجز، والعلم، والجهل، فحقُّ التقوى وحقُّ الجهاد بالنسبة إلى القادر المتمكن العالم شيءٌ، وبالنسبة إلى العاجز الجاهل الضعيف شيء... وفي قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ تأكيدٌ على أن الأمر يَسعُ كلَّ أحدٍ، وكلٌّ بحسبه[1].

لا مفرَّ -**يا أخا الإيمان**- من المسؤولية، ولا مناص عن المشاركة في الجهاد والدعوة... ولربما فاق درهمٌ ألفَ درهم، وكم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله، وصدق الله: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[2].

فإذا علمت سعةَ مفهوم الجهاد... وكثرةَ مراتبه... فسارع إلى المساهمة العاجلة في الخير، وفكّر في أي أبواب الجهاد تثمر، وأعْمِلْ فكرك، وجدِّد في وسائل الدعوة ومشاريعها... وأرجو أن أعينك بشيء من ذلك مستقبلًا، نفعك الله ونفع بك وسدد سهامك، وأقال عثرتك، وشتَّت شمل عدوِّك وعدوِّ المسلمين، إنه سميع الدعاء.

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٨).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

ما قبل الزواج(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين، خلق الزوجين الذكرَ والأنثى، من نطفة إذا تُمْنَى، وأن عليه النشأةَ الأخرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، جاءت شريعتُه حاثّةً على كل خير، مستجيبةً لنداء الفطرة، معالجةً لنوازع البشر ورغباتهم، وهو القائل: «**حُبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة**».

اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٣).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٤).

عبادَ الله: والحديثُ عن الزواج حديثٌ تدعو الحاجةُ إليه عمومًا، وفي هذه الأيام على الخصوص، وفيه عدةُ تنبيهات يحسن الإشارة إليها، وفي الحديث

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٤/ ٣/ ١٤٢٠هـ.
(٢) سورة الروم، الآية: ٢١. (٣) سورة النساء، الآية: ١.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

عن الزواج مشاركةٌ لهموم قطاع كبير من الشباب والفتيات، فضلًا عن الكبار من الرجال والعانساتَ من النساء.

وسأقصر الحديث في هذه الخُطبة على (ما قبل الزواج)، فماذا يدورُ في مخيلة الشباب حين يُفكر في الزواج، لماذا يتزوج؟ وبمن يتزوج؟ هل يتزوج لغرضٍ واحدٍ، أم في ذهنه للزواج عدةُ أغراض، ويفهمُ للزواج عدة حكمٍ وأهداف، ماذا يُخيفه من الزواج؟ وما الشبحُ الذي يطارده؟ وقد يقعد به عن الزواج!!

والفتاةُ -هي الأخرى- لماذا تتزوج، وما الزوج المفضلُ لها؟ ولماذا ترفض الزواج -أحيانًا- وما المؤثراتُ التي تؤثر عليها في تأخير الزواج؟ وما أثرُ هذا التأخير على حياتها ومستقبلها؟ وماذا يُقال عن عزوبةِ الرجال وعنوسة النساء؟

أما المجتمع -سواء كان مجتمعَ الزوجين القريبين- أو المجتمعَ الكبيرَ بأسره، فيسأل: ما سُبل تيسيرِه للزواج؟ وما المعوقاتُ والعوائدُ الاجتماعية التي تُثقل بها كاهلَ الزوجين - من حيث يشعر أو لا يشعر، ويكون بها سببًا لتأخير الزواج!

وفئةٌ رابعةٌ يحسن الحديث عنها وعن أثرها على الزواج، وعلى دورها في ترسيخ مفاهيم خاطئةٍ عن العلاقة بين الجنسين، ومشروعية الزواج وما ينبغي أن يكون لها أو لبعضها من أثرٍ في تيسير الزواج، ونشر المفاهيم الصحيحة لعلاقة الزوجين، والأهداف المشروعة من وراء عقد الزواج، إلى غير ذلك من نشر الوعي وصدِّ الهجمات المعادية.

أيها الشاب المسلم: والمفترضُ أنك حين تَهمُّ بالزواج، وفي ذهنك عدةُ أغراضٍ، وتريد أن تحقق أكثر من هدف للزواج، فإحصانُ فرجِكَ عن الحرام طريقه الزواج المشروع: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا

مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾(١).

فلا النظرة المحرمة، ولا العادة السرية، ولا الارتماء في أحضان الساقطات... يحقق لك أهداف الزواج

وتحقيقُ سُنةِ الأنبياء عليهم السلام -في الزواج- وإكمالُ الدين هدفٌ ينبغي ألا يغيب عن ذهنك، وقد قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾(٢). وتكثيرُ نسل المسلمين، والسعيُ لإيجاد ذريةٍ صالحةٍ تعتزُّ بها وتسعدُ في حياتك، وينفعك اللهُ بها والمسلمين بعد مماتك... هدفٌ جليل ينبغي أن تضعه نصب عينيك، وتسعى في سبيله لاختيار الولود الودود من النساء، ومحمد ﷺ يوصيك بهذا ويقول: «**تزوجوا الولودَ الودودَ، فإني مكاثرٌ بكم الأممَ يوم القيامة**».

ومن أهداف الزواج التي يباركها الإسلام، ترابطُ الأسرة، وتقويةُ أواصرِ المحبةِ بين الزوجين، وتنميةُ غزيرة الأبوةِ والأمومةِ، ومزيدُ الشعور بحقِّ الوالدين من خلالِ محبة الأطفال ورعايتهم، والشعورُ بمسؤوليةِ الزواج وما يدفعه إلى العمل وبذلِ الأسباب في سبيل الاستغناء وإغناء من يعولهم، كلُّ ذلك إيجابياتٌ وواجباتٌ حثَّ الإسلامُ عليها.

وكل ذلك لا ينافي الاستمتاعَ بما أحل الله من ملاذ الدنيا، وقضاء الوطر حسب ما شرع الله: «**فالدنيا متاع، وخيرُ متاعها المرأةُ الصالحة**» رواه مسلم.

وحين تكون هذه الأهدافُ حاضرةً في ذهنك، فإني أنصحك أخي الشاب أن تختار لنطفتك فالعرقُ دساس، وألا يكون الجمالُ وحده مؤشر الاختيار عندك، فكم من حسناء تنبت في منابت السوء، فإياك وخضراءَ الدِّمَنِ، وإذا كان رسولُ

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٥-٧.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

الهدى ﷺ قد حَدَّدَ الأغراض التي تنكح لها المرأةُ غالبًا، فقد قال في النهاية موصيًا: «**فاظفر بذات الدين تربتْ يداكَ**».

وحريٌّ بك أن تختار زوجتك من بيئةٍ كريمةٍ، معروفة باعتدال المزاج وهدوء الأعصاب، والبعد عن الانحرافات الخلقية والنفسية، فإنه أجدرُ أن تكون هذه المرأة حانيةً على ولدها، راعيةً لحقِّ زوجها[1]. قال عليه الصلاة والسلام: «**خيرُ نساءٍ ركبن الإبل صالحُ نساءِ قريش، أحناه على ولدٍ في صغره، وأرعاه على زوجٍ في ذات يده**» متفق عليه.

أيها الشابُّ: ونذكرك ألا تكون الشهوةُ الجنسيةُ -هدفك الأول والأخير- مع حلِّها لك - كي تبلغ الكمال في رجولتك، وتُعدِّدَ أغراض الزواج في حاضرك ومستقبلك، لنفسك ولزوجك ولأولادك وللمجتمع من حولك، وإياك أن تُسرف في الشروط والمواصفات، أو أن تخشى الفقر من زواجك وأولادك، فتلك معوقاتٌ وهميةٌ فاحذرها، وإن طاردك شبحُ غلاء المهور، فعسى أن يجعل اللهُ لك مخرجًا ويرزقك من حيث لا تحتسب، والزم أمر الله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2]، وتمسك بهدي رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**» متفق عليه.

أيتها الفتاة: ويُقال لكِ ما قيل للشاب في أغراض الزواج وحِكَمِهِ، ولا يغب عن بالِك أنك لبنةٌ مهمةٌ في بناء الأسرة المسلمة، وكم يحرص الأعداءُ على تقويض هذه الأسرة بوسائل مختلفةٍ، واعلمي أن في تأخيرك الزواج بحجج واهية تأخيرًا لبناءِ الأسرة، وتقليلًا لنسل الأمة المسلمة، واستجابةً لأهدافِ الأعداء، وتأثرًا بالغزو الفكري.

---

(١) سيد سابق: «فقه السنة» (٢/ ٢١).

(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.

أختاه: وفي زمن استشراءِ صورِ الإغراء والإغواء، واستهداف المرأة عمومًا بالإفساد، يلزم الفتاة ألا تَرُدَّ خاطبًا يُرضي دينُه، وخُلقُه، وأمانتُه، ومن حقها أن تتأكد أو يُتأكد لها عن استقرارِه النفسي، وطيب الأسرة التي ينتمي لها، وخلوِّه من الموانع الشرعية لمثلها... وألا يكون تركيزُها على شكله الظاهر فحسب، أو على نوع وظيفته، ومركزه الاجتماعي. قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض**»[1].

أيتها الفتاةُ المسلمةُ: وفي الزواج المبكر خيرٌ لك وللمجتمع من حولك، وهل غاب عنك أن أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، دخل بها سيدُ المرسلين وهي بنتُ تسع سنين. متفق عليه.

ولا ينبغي أن تقعد بك مواصلةُ الدراسة، أو الرغبة في الوظيفة أو مشورة الصديقة، أو رغبةُ الأهلِ في التأخير لأسباب غير مشروعة... عن الزواج المبكر.

كما لا ينبغي أن تؤثر فيك وسائلُ الإعلام الغازية، والمحذرة لك عن الزواج المبكر، فثمة ذئابٌ تلبس لبوس الضأن وتظهر بمظهر الناصح، والله أعلم بما يكتمون.

أختاه: وحذاري أن يطاردك -في المستقبل- شبح العنوسةِ بسبب الرفض المبكر، والاعتذار عن الزواج حين يتواردُ الخُطّاب، فأنتِ الخاسرُ الأكبر، وستعُضين أصابع الندامة، حين ينصرف الشبابُ عنكِ، وهل ترغبين أن تكوني مثل هذه المرأة التي قالت: «**لا نرجو مالًا، بل نريد أزواجًا، شبحُ العنوسة يطاردنا**»؟!.

---

(١) رواه الترمذي وحسّنه: ١٠٩٠.

أختاه: احذري التبذلَ والسفور ومواطن الريب، ولا تُسْتَجَرِّي للاختلاط وسيّئ الأخلاق . . . فكل ذلك يجعل الأزواج حذرين من التقدم لخطبتك، فهم يبحثون عن الأمينة العفيفة والجوهرة المصونة، تسّره إذا نظر إليها، وتحفظه في نفسها وماله وأولاده إذا غاب عنها، كما ينفر الأزواج من المرأة التي لا تقومُ بأعباء الحياة الزوجية وواجباتها، فليكن لك في بيت أهلك مراسٌ في أمور البيت، قبل أن تتحملي المسؤولية كاملة في بيت الزوج.



الخطبة الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، جعل الزواجَ عبادةً يتقرب بها العبدُ إلى مولاه، وامنَّ على عباده بنعمةِ الزوج والولد فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، أخبر وهو الصادقُ المصدوق، عن قيمة الزواج بقوله: «**من رزقه اللهُ امرأةً صالحةً، فقد أعانه على شطر دينهِ، فليتق الله في الشطر الباقي**» رواه الطبراني والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: لو لم يبق من أَجَلي إلا عشرة أيام وأعلم أني أموتُ في آخرها، ولي طوْل النكاح فيهن لتزوجتُ مخافة الفتنة(٢).

اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وسائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة والتابعين إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: ويشكل المجتمعُ عاملًا مساعدًا على الزواج أو عائقًا دونه، فبذلُ المحسنين لمساعدةِ المتزوجين يُسهم في كثرة الزواج ومبادرة الشباب للزواج، واستشعارُ عددٍ من الجمعيات الخيرية لدورها في دعم الشباب الراغب في الزواج ومساعدتهم، أو إقراضهم، كل ذلك خطوات إيجابية ومظاهر صحيّة تُشكر عليها هذه الجمعيات، ويُشكر القائمون عليها لاستشعارهم بهذا الدور الرائد.

كما أن مما يُعد من مشجعات الشباب على الزواج تيسير المجتمع تكاليف

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٢.
(٢) «فقه السنة» (٢/ ١٢، ١٣).

الزواج، وتخفيض المهور، والاقتصاد في مؤنه، وإلغاء الموائِدِ المكلِّفة والتي لم ينزل الله بها من سلطان.

أما ما يعدُ من معوقات المجتمع للزواج، فمنها: المغالاةُ في المهور وما يتبعها من تكاليف أخرى، والتشددُ أحيانًا في الشروط، والمؤسف حين يكون تأخيرُ الزواج سببه عَضْلُ الآباء لبناتهم، وعدمُ رغبتهم في زواجهن، مع كثرة الخُطَّاب الأكفاءِ لهن، ولا سيما إن كانت موظفةً يستفيد من مرتبها، ويخشى انقطاع ذلك بزواجها، وقد يرفضُ قبل أن يستأذنها.

ومن المعوقات: إجبارُ الأهل للفتاة أو للفتى، على الزواج ممّن لا تتوفر فيه الرغبة، ليس لشيء إلا لصلة القرابة أو نحو ذلك، مما لا يستوجب إكراه الفتى أو الفتاة على الزواج، فتتأخر الفتاةُ أو الفتى عن الزواج بسبب ذلك.

ومن الأخطاء التي تُمارس في المجتمع - أحيانًا - عدمُ استئذان الزوجة في الزوج الذي تريد أن ترتبط معه طيلة حياتها، وشريعة الإسلام، وسنة محمدٍ عليه الصلاة والسلام تأمر باستئذانِ المرأةِ، يقول النبيُّ ﷺ: «**لا تُنكح الأيمُ حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكرُ حتى تُستأذن**» قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت» متفق عليه.

سئل شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله عن حكم إجبار البكر البالغة على النكاح، فقال فيه قولان: والصوابُ عدمُ إجبارها، ثم يقول: وأما تزويجُها مع كراهتها للنكاح فهذا مخالفٌ للأصول والعقول، واللهُ لم يسوّغ لوليها أن يكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها، ولا على طعام أو شرابٍ أو لباسٍ لا تريده، فكيف يكرهها على مباضعةٍ ومباشرةٍ من تكره مباضعته ومباشرته... إلخ كلامِه[1].

---

(١) «الفتاوى» (٣٢/ ٢٢).

أيها الوليُّ: ليس من حقك أن تُجبر ابنتك أو أختك على الزواج بمن تكرهه، أما إن كان الزوج صاحبَ فسقٍ مصرًا على الفسوق، فلا ينبغي أن يُزوج كما قال ابن تيمية[(١)]. قالت عائشة ﵂: «النكاحُ رقٌّ، فلينظر أحدكُم أين يضعُ كريمته»[(٢)].

أيها الأولياء: ومن السُّنة أن ينظرَ الخاطبُ إلى مخطوبته، ولكن دون خلوةٍ بها، قال ﷺ: «**انظر إليها، فإنه أحرى أن يُؤدمَ بينكما**»، أي: أجدرُ أن يدوم الوفاق بينكما[(٢)].

قال العلماء: والأحاديث في النظر لم تُعين مواضع النظر، بل أُطلقت، لينظر إلى ما يحصل له المقصودُ بالنظر إليه، وليس النظرُ حكمًا مقصورًا على الرجل، بل وللمرأة؛ لأنه يعجبها ما يعجب الرجال وتكره ما يكرهون[(٣)].

ومما ينبغي التنبيهُ عليه، ألا يطول أمدُ الخطبة، وليكن الردُّ -بعد السؤال والتحري- عاجلًا، إما بالقبولِ أو بالرّد، حتى لا تتأذى المخطوبة، ولا يتعطلُ الخاطب، ولطول الانتظارِ ألمٌ ونكدٌ لا يعرفه إلا من كابَده، والضررُ أشد إن فسخ الخِطبةَ بعد طول انتظار، وبعد أن ينسلخ من عُمر المرأة سنون، فذلك أحدُ أسباب العنوسة[(٤)] ودبلةُ الخطوبةِ تقليد غربي، لا أساس له في شريعة الإسلام، إذ لا يتم عقدُ أواصرِ الزوجية إلا بعقد الزواج المشروع، والقائم على الإيجاب والقبول، وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية: وينعقد النكاحُ بما عده الناسُ نكاحًا، بأي لغة ولفظٍ وفعل كان[(٥)]. قال العلماء: وألفاظ الإيجاب مثل: زوجتُك، أنكحتك.

---

(١) «فقه السنة» (٢/ ٢٤).

(٢) السابق (٢/ ٢٨).

(٣) السابق (٢/ ٢٩).

(٤) «تأخر سنّ الزواج»، آل نواب ص٣٦٣.

(٥) «الاختيارات العلمية» ١١٩.

والقبول مثل: قبلت، وافقت، أمضيت[١].

أيها المسلمون: وإذا كانت وسائل الإعلامُ المقروءةُ والمسموعة أو المرئية، تعمل عملها في الشباب، فعملها في الفتيات أشدّ، لا سيما القنوات التي بدأت تغزو العقول والأفكار، وتسيء إلى القيم وتهدم الأخلاق، فاحذر أخي الشاب وأختي الفتاة، واحذروا أيها الأولياء من آثارها، فكم هيجت من غرائز، وكم أفسدت من عفيفٍ أو عفيفة، وكم بلبلتْ من فكر، ولا سيما تلك التي تشوّه أحكام الله في النكاح والعشرة، فهذا برنامجٌ يعرض للاختلاط ويحطِّم الحواجز بين الأجانب من الجنسين ويتحدث الرجلُ إلى المرأةِ ويمازُحها وكأنها زوجته أو أخته، وتصور الخلوةُ المحرمة والسفور وكأنها تقدمٌ وحضارة، والحشمةُ والعفاف وكأنها تقاليدُ بالية، أما القُبلةُ وما وراءها من سفاسف الأمور المنتهية باللقاءات الجنسية، فكم تغزو أفلامُها بلاد المسلمين، وتقع المسؤولية الكبرى على الأولياء حين يوفرون هذه الأطباق العارضة لزبالة أفكار البشر وأخلاقهم، وغزوُ اليوم غزو أفكار وأخلاق، وعلى المسلمين أن يدركوا ميدان المعركة، وألا يقع أحدٌ منهم في أتونها. وعلى صعيد آخر، فكم تعرض وسائل الإعلام ما يشوّه صورة التعددِ المباح في الإسلام مثلًا، أو غير ذلك مما جاءت به شريعة الإسلام.

وفي مقابل ذلك يمكنُ لوسائلِ الإعلام أن تكون وسيلةَ توجيهٍ، وإصلاحٍ تعرض لأحكام الله في النكاح، وتوضح سنة المصطفى ﷺ في الزواج، وتبيّن للزوجين أسسَ العشرة الصحيحة، وتعرض لأخطاء المجتمع بالنقد، وتنقل

---

(١) «فقه السنة» (٢/ ٣٦).

الصور الإيجابية ليعم النفعُ بها، وهكذا تتكامل الوسائلُ المصلحة، ويعود ذلك بأثره الإيجابي على المجتمع بأسره.

اللهم يسِّر للشباب والفتيات نكاحهم، وبارك لهما، وبارك عليهما واجمع بينهم بخير.



أفكار في الدعوة إلى الله[١]

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين جعل الدعوةَ إلى الله سبيل الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أظهر دينَه على الدين كلِّه ولو كره المشركون، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، خاتمُ الأنبياء وقدوة الدعاة والمصلحين، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن أصحابه أجمعين والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣].

إخوة الإسلام: الحديثُ عن الدعوة حديثٌ عن دين الله، والحديث عن الدعاة المخلصين حديث عن الصفوة من عباد الله، ولئن كان الحديثُ عن الدعوة والدعاة يطول ويتشعب وهو بمجمله نافعٌ ومفيد، إلا أنني سأقصر الحديث هنا على أمور، منها:

أولًا: قيمة الدعوة وفضلُ الدعاة، وفي هذا يحكم الحقُّ تبارك وتعالى أن لا أحد أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٤].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٧/ ٤/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

الدعوةُ إلى الله سبيلُ الأنبياء ﷺ، وطريق المؤمنين التابعين يعني لهم إلى يوم الدين: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾(١).

وعن فضل الدعوةِ والدعاة قال عليه الصلاة والسلام: «**من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثلُ أجرِ من تبعه -إلى يوم القيامة- لا ينقص من أجورهم شيئًا**».

وفي الحديث الآخر: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمرِ النعم**».

ثانيًا: تجريدُ الدعوة وإخلاصُ الدعاة... فلا ينبغي أن تقومَ الدعوةُ لأغراضٍ شخصيةٍ أو مطامعَ دنيويةٍ، ولا يليق بالدعاة أن يأكلوا بدعوتهم، أو يخادعوا الناس في حقيقتهم وواقع أمرهم، أو يتكلفوا ما لم يأذن به الله، وفي التنزيل: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾(٢)، ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٣)، وإذا لم يخش أولئك المتزيدون بالدعوة الفضيحة في الدنيا، فليتذكروا الفضيحة الكبرى يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ثالثًا: تاريخ الدعوة، إن تاريخ الدعوة إلى الخير والقسطِ قديمةٌ قدم الزمان، ومصاحبةٌ للأمم الخوالي، وقام بها الأنبياء ﷺ مع أممهم من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(٤)، استحقت أن يُقتل لها الأنبياء، ويُقتل أتباعهُم أو يعذبوا، وفي هذا يقول الحقُّ تبارك وتعالى حاكيًا نموذجًا من نماذج الدعوة والإيذاء. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٢) سورة ص، الآية: ٨٦.
(٣) سورة يس، الآية: ٢١.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

﴿٢١﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

روى أبو عبيدة بنُ الجراح أن النبي ﷺ قال: **«قتلت بنو إسرائيل ثلاثةً وأربعين نبيًا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مئةُ رجل واثنا عشر رجلًا من عُباد بني إسرائيل فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فقُتلوا جميعًا في آخر النهار من ذلك اليوم، وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية»**[١].

وما أسوأ المجتمع إذا تحول إلى هذا النموذج السيّئ ولذا روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: **«بئس القومُ قومٌ يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، بئس القومُ قومٌ لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهونَ عن المنكر، بئس القوم قوم يمشي المؤمن بينهم بالتقية»**[٢].

والقرآن يُحذر من هذه النماذج حين عرضها، ويحذر من الرضا عن أصحابها، وإن لم يفعلوا كفعلهم، ولهذا وقف القرطبي عند هذه الآية - بعد أن ساق النصوص السابقة متسائلًا، فإن قال قائل: الذين وُعظوا بهذا لم يقتلوا نبيًا. فالجواب عن هذا: أنهم رضوا فعلَ من قتل فكانوا بمنزلته.

رابعًا: أمدُ الدعوةِ وأثرُها... وعلى الدعاةِ ألا يحددوا زمنًا لأثرِ دعوتهم، فأمدُ الدعوة قد يطول، وآثارها قد لا تظهر إلا بعد حين، وحسب الدعاة أن يتسلوا بقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾[٣].

وفي هذه القرونِ المتطاولة من أول الرسل عليه السلام كانت الدعوةُ مستمرةً ليلًا ونهارًا، سرًا وعلانية.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٤/٤٦).
(٢) «تفسير القرطبي» (٤/٤٦).
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

خامسًا: لا يأس ولا إحباط... ومهما طال أمدُ الدعوة أو قلَّ الاستماعُ للدعاة، فلا ينبغي أن يُحبطوا أو ييأسوا، وكيف يُحبط الدعاةُ أو ييأسون وقد قيل للمرسلين قبلهم: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾(١) وقيل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٢)، وكيف يحبطون لقلةِ الأتباع وقد قيل لأحد المرسلين: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٣).

وفي الحديث يأتي النبيُّ ومعه الرجلُ والرجلان، ويأتي النبيُّ وليس معه أحد!

سادسًا: وللدعوة تكاليفُ، وعلى الدعاةِ أن يتحملوا الأذى في سبيل الله، وألا يجعلوا فتنة الناس كعذاب الله. وسنةُ الله في الابتلاء جاريةٌ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(٤).

سابعًا: والصبرُ زادُ الدعوة، وهو طريق لتمكين الدعاة: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ﴾(٥)، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾(٦)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٧).

ثامنًا: وهناك أدواءُ مهلكةٌ وعلى الدعاة أن يحذروها كالعُجْبِ والرياء، والطمع في السيادة والرئاسة، والحسد والغرور، ونحوها.

تاسعًا: ولا ينبغي أن ترتبط الدعوةُ بالأشخاص أو تحدَّ بمناهجَ ضيِّقةٍ، فالأشخاصُ يذهبون ويجيئون، والمناهج يطرأ عليها التغيير، وهي والأشخاصُ عرضةٌ للخطأ، وينبغي أن يكون المعوَّلُ في الدعوة على هدي الكتاب والسنة،

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٨.
(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.
(٣) سورة هود، الآية: ٤٠.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٣.
(٥) سورة لقمان، الآية: ١٧.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٧) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

وينبغي أن يُتخذ من منهج الأنبياء عليهم السلام طريقًا في الدعوة، ومن قال الله عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[1].

عاشرًا: وإذا كان الجوهرُ ثمينًا فينبغي أن يكون الوعاءُ الحاملُ له نظيفًا سليمًا، وكذلك الدعوة، ينبغي أن تُحمل للناس وتؤدّى بالحكمة والموعظة الحسنة، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[2]، وليُحذر من الغلظة والشدةِ والفظاظة: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[3]، وما كان الرفقُ في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

حادي عشر: والدعوةُ تكون بحقٍّ، وقد تكون بباطل، وكما يوجد دعاةٌ إلى الحقِّ، فثمة دعاةٌ للباطل، فهناك دعاةٌ للملل غير الإسلام، وهناك دعاةٌ لنحلٍ باطلة - وإن انتسب أصحابها إلى الإسلام - وهناك منافقون يتسترون بالإسلام، ويخفون الكفر والإلحاد، وهناك مبتدعة تختلف مشاربُهم وتلتقي أهدافهم لمحاربة الإسلام والسنة، وخاب وخسر من كان في منظومة الدعاة على أبواب جهنم، والمصيبة حين ينشط هؤلاء المبطلون، ويُصاب أهلُ الحق والسُّنَّةِ بالضعف أو الهوان، أو يدعم أولئك، ويُضَيِّقُ على هؤلاء.

ثاني عشر: والتميزُ بين أصحاب الحقِّ والباطل قديم في الأمم، وفي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبيٍّ بعثه الله في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم**

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل»[١].

ثالث عشر: ولذا فمن أهداف الدعوة ومسؤولية الدعاة تعليم الجاهل، وتذكيرُ الغافل، والحوارُ مع الشاكِّ والمتردد، يُنْشَرُ بالدعوة الخير، ويقام العدل، ويحاصرُ الباطلُ، وتصحح المفاهيمُ الخاطئة، ويكشف زيف المبطلين، تُنشر بها أعلامُ السنة، وتُقمع البدع، ويحذر من أصحاب الشهوات والأهواء، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.



(١) «مختصر المنذري» ح: ٣٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين.

وعن وسائل الدعوة يقال كلامٌ كثير، ويُقترح وسائلُ نافعةٌ بإذن الله، كالمحاضرة والدرس والندوة والموعظةِ الحسنة، وتوزيع الكتاب، والشريط والمطوية النافعة، والدعوة عبر الرسالة والمراسلة، وفي محيط الأسرة، والجيران، وبين زملاء العمل والدراسة وأصدقاء العمر، وفي المناسبات العامة، وداخل المدن أو في القرى والمناطق النائية، وعبر الكتابة في وسائل الإعلام، أو البرامج المذاعة، وفي التجمعات الشبابية، أو دور الرعاية، وأماكن الإصلاحيات والسجون، والاستفادة من إمكانات الحاسب ومواقع الانترنت، وداخل أروقة المستشفيات، وغرف المرضى، وفي الفنادق والاستراحات المؤجرة، واستثمار الأوقاف الخيرية العامة في الدعوة إلى الله... إلى غير ذلك من الوسائل التي قاربت المائة وسيلة عند بعض المعنيين برصد الوسائل الدعوية، وقد يزيدها آخرون.

وفوق ذلك كله فهناك وسائل دعويةٌ قد يُغفلُ عنها مع يسرها، وعدم الكلفة فيها، والاقتدار عليها، وحين يكون الحديث عن وسائل الدعوة لا بد من الإشارة إلى أهمية التجديد في وسائلها بشكل عام، ولا بد من القناعة أن ما صلح لزمن قد لا يكون بالضرورة هو الأصلح لزمان أو مكان آخرين، فحسنُ تعامل الموظف مع المراجعين، وتيسيرُ أمورهم أسلوبٌ من أساليب الدعوة - إذا أحسن الموظف تقديمه وتوظيفه، والسماحة في البيع والشراء، والنصحُ وعدمُ الغش أو المغالاة في السعر أسلوب في الدعوة يملك به الباعةُ قلوبَ المشترين، لا سيما إذا قدموه على أنه جزءٌ من تعاليم الإسلام وهديه. والمعلمُ

المخلصُ في رسالته التعليمية، والمدركُ لدوره التربوي، والمنصفُ لطلابه، والمتأدبُ الخلوق مع زملائه، هو أحدُ الدعاةِ إلى الله -وإن لم يتَسَمَّ بذلك فلا عبرة بالمسميات- ولكنها الوسائل النافعة ورصيد الأخلاقيات. والمرأةُ المحتشمة في لباسها، والهادئةُ في طبعها، وتعاملها، والمبتسمةُ في وجه صويحباتها، والمعرضةُ عن ما لا يعنيها والداعيةُ للخير بسلوكياتها، هذه تعمل عملها، وربما فاق أثرُها حديثًا نظريًا طويلًا. يا أيها المقتدرُ على حاجةٍ من حوائج المسلمين، ولربما كان في قضائك لأحدهم حاجةً أثر في قبول صاحب الحاجة للخير، وانصرافه عن شرٍّ هو واقعٌ فيه، ولربما كانت هذه منك إليه رسالةً وأنت لا تدري، ما لم يكن في تقديم هذه الحاجة محظور.

أيها المسؤول: وأنت في موقع مسؤوليتك مهما صغرت أو كبرت تستطيعُ أن تُقدم الخير، وتدعو إلى دين الله من خلال فرص الخير التي أقدرك الله عليها، وأنت أدرى الناسِ بها، لا سيما إذا لم يكن كرسيُّ المسؤولية هدفك، والتعالي على الناس غرورًا لحق بك، والمطامعُ الشخصيةُ هي المحركة لتصرفاتك.

أيها المسلمون: وكم نغفل -في أساليب الدعوةِ إلى دين الله- عن إسعاف مريض، أو نقلِ مصاب، أو إعانة متعطل في البراري أو الطرق السريعة -وقد يكون أحوجَ ما يكون لمساعدتك ووقوفك إلى جانبه- ومواقف المعروف والإحسان تبلغ -أحيانًا- مبلغها، وتؤثر أثرها في الآخرين، وقد نشعر بذلك وقد لا نشعر... إلى غير ذلكم من وسائل قد لا نقدرها حقَّ قدرها، وقد تبلغ في آثارها مبلغًا عظيمًا، والمهم أن تُقدر كُلَّ موقفٍ، وتحتسب على الله كلَّ حركة، وتخلص النية وتحسن القصد، وتوظف ذلك في الدعوة لدين الله، وقد كان المعلمُ الأول ﷺ يحتسبُ في نظرته وابتسامته ومزاحه، فضلًا عن جدِّه وأمره ونهيه، ولكم في رسول الله أسوة حسنة.

إن من الخطأ -**معاشر المسلمين**- أن نقصر الدعوة على وسائلَ محددةٍ، أو نخصَّ بها صنفًا من الناس، لا نجاوزها إلى غيرهم، ففي ذلك غمطٌ لحقوق الآخرين، وتحجيرٌ لواسع.

وإذا عُدّت وسائلُ الدعوة فينبغي أن تشمل كلّ جهدٍ خيرٍ نفع اللهُ بجهد صاحبه الإسلامَ والمسلمين. وينبغي أن يتسع مفهومُ الدعاةِ لكل داعيةٍ إلى الخير، مهما كان موقعُه وأيًا كانت وسيلته، ما دامت في إطار الشرع الحنيف، ولربما غاب عن أنظار الناس أشعثُ أغبر، لو أقسم على الله لأبره، ولكنه معدودٌ عند الله في طليعة الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكم في ميدان الدعوة من جنودٍ مجهولين وهم من الأخفياء الأتقياء.

أيها المؤمنون: وأنتم مدعوون جميعًا لتكونوا من أنصار الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾[1]، وبالإيمان والعمل الصالح يتحقق لكم الخير، وبالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف تكونون من المفلحين.



(١) سورة الصف، الآية: ١٤.

وقفات مع الزلزال المدمّر(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين، جعل الأرضَ قرارًا، وجعل خلالها أنهارًا، وجعل لها رواسي، وجعل بين البحرين حاجزًا، أإله مع الله! بل أكثرهم لا يعلمون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ومن آياته الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمر، ومن السنة الإلهية والقدرات الربانية أن الشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليلُ سابق النهار، وكلٌّ في فلك يسبحون، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، أخبر الأمة عن الآيات البينات في الكون والأنفس والآفاق، فآمن المؤمنون وأبى المبطلون، اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى سائر أنبياء الله ورسله، وارضَ اللهم عن أصحابه أجمعين والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٣).

عباد الله: ومن تأمل أحوال الكونِ وما فيه من مخلوقات وموجوداتٍ أدرك عظمة الله وكمال قدرته، وتفرُّدَه بالربوبية والألوهية: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(٤).

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٤/ ٥/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٤) سورة النمل، الآية: ٨٨.

فالسماءُ مرفوعةٌ بلا عمد، وهي سقف العالم المرفوع، والأرضُ مستقرٌّ ومستودع، وقد ذلَّلها الله وأرساها ليمشي الناسُ في مناكبها، ويستخرجوا خيراتها، والشمسُ والقمرُ سراجان يُزهران، وبهما ضياءُ الكون ونورُه، ولا يتخلف نورُهما إلا لعارضٍ يقدره العليمُ الخبيرُ، والنجومُ مصابيحُ وزينةٌ وأدلة للمسافرين، والجواهرُ والمعادن مخزونة في هذا العالم العجيب، وأنواعُ النباتِ وصنوفُ الحيوان، كل ذلك مسخَّر لبني الإنسان... كل ذلك ليُستدل به على عظمة الخالق وليُعبد الله وحده لا شريك له... ولِتُعْمَرَ الأرضُ بذكره وشكره.

أيها المسلمون: وفي مفتاح دار السعادة حديثٌ مطولٌ عن بديع خلق الله في الكون، بسمائِهِ وأرضه ونجومه وأحيائِه، وهو جدير بالقراءة والتأمل.

إخوة الإسلام: بين عشية وضحاها تحولت مساحةٌ قدرها مائةٌ وإحدى وثلاثون ألف كيلومتر مربع شمال غرب تركيا، إلى ساحة لمأساة مفتوحة، تملؤها مشاهدُ الموت والدمار، ويلفها الحزنُ الكئيب، وتعصفُ بها رياحُ الفزعِ والأمطار الحمضية القاتلة، خمسةٌ وأربعون ثانية فقط - من زلزال تركيا المدمّر - كانت كافيةً لوقوع ما يقرب من خمسة وأربعين ألف قتيل وجريح، ومائتي ألف مشرد في العراء، يبحثون عن مأوى، والألمُ يعتصرهم، ومخاوفُ المستقبل تحيط بهم، ورائحة الموتى، وحطامُ المباني، والبحثُ عن أقاربهم، تبثُّ الرعب في قلوبهم، وتزيدهم هلعًا، إنها ثوانٍ تعصف بالحياة والأحياء، وتخلِّف خسائر تقدّر بخمسةٍ وعشرين مليار دولار، وأعظم منها خسائر الأرواح التي لا تعوض.

سبحان الله...! في لحظة من الزمن كان من هو أعلى الأرض في أسفلها، ونقص عدد الأحياء، وارتفع مؤشر الأموات، فضلًا عن الرعب والرهبة، وكيف لا يكون ذلك، وقد ذكر أحدُ المراصد الأمريكية أن هذا الزلزال يعادل قوة أربع

مائة قنبلةٍ ذرية من النوع الذي ألقي على هيروشيما -من قبل[1].

عباد الله: ولا غرابة أن يكون الحدثُ محل اهتمام العالم ومتابعاته، وما حدث في تركيا يفوق الوصف، وتعجِزُ الأقلامُ وتتعثر الألسنُ وهي تصف الحدث وأثره، وفي خلال خمس وأربعين ثانية - لم تبلغ الدقيقة - تغير ما على وجه الأرض من الحياة والأحياء، وأسفر الحدثُ عن آلاف القتلى والجرحى، فضلًا عن المفقودين، واتسعت دائرة الحدث الذي لم يستكمل الدقيقة لتمتد على مساحة ثلاث مائة كيلو طولًا، وما يقرب من أربعين كيلو عرضًا، ولتشمل مجموعةً من البشر والمنشآت فتخلفها أجداثًا وأنقاضًا، وتترك ورائها آلافًا من البشر دون مأوى، إلى غير ذلك من أرقام موحشة وأنَّاتٍ موجعةٍ، وخسائر فادحةٍ في الأرواح والممتلكات.

ترى ما العبرُ والدروس والوقفات المهمة وراء الحدث؟

- الوقفة الأولى: القدرةُ الإلهية وضعفُ البشر، فأيُّ قدرة مهما بلغت لا تستطيعُ أن تعملَ بهذه القدرة والسرعة كالذي حصل في زلزال تركيا وغيره من الزلازل والبراكين الأخرى، وفي مواقع متعددةٍ من العالم، والحدث مع قوته مفاجأةٌ لا تملك هيئة أو جهة التحذير منه قبل وقوعه بوقتٍ كافٍ، للإخلاء على الأقل، فضلًا عن أن تملك التحذير قبلَ فترة تمكِّنُ الناسَ من تقليل الخسائر، إنه قدرُ الله وتوقيته، ولا أحد يملك العلمَ أو التدخلَ، وكفى بالله وكيلًا، ومن جانب البشر تتضاءل قواهم، وينحصر جُهدهم في الإنقاذ على بطء، ولربما سمعوا الأنين ولم يستطيعوا الوصول إلى صاحبه إلا بعد مفارقتِهِ الحياة، ولربما التهمت الأرض من الموتى ما يقارب من خرجوا أحياء أو في عداد الموتى، بل

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٣٦٥، ٢٠-٢٦/ ٥/ ١٤٢٠هـ.

ويظهر الضعفُ في البشر بعد وقوع الحدث، فعمليةُ الإنقاذ سارت ببطءٍ في بدايتها، وهول الفاجعة وضعفُ الإدارة أخَّر عمليات الإنقاذ لساعات طويلة، حتى خرجت عناوينُ الصحف التركية منتقدةً لهذا الوضع، ومن هذه العناوين: (الدولة تحت الأنقاض)، (أتى الصليب الأحمر، أين الهلال الأحمر)، (أنقرة نمر من ورق)[(١)].

إنها صورةٌ مكشوفة من صور قدرة الله وضعف البشر أمامها.

- الوقفة الثانية: أنفرحُ للمصاب أم نحزن؟ ولربما فرح البعضُ لما حصل، وتعليلهم أن في ذلك درسًا لكل من يتمرد على شرع الله ويحارب أولياءَهُ، ويضيق الخناق على سنة محمد ﷺ، ويستدلُ هؤلاء بأن تركيا مؤخرًا أقامت للعلمانية سوقًا رائجة، حكمت بموجبها البلاد وطارت العباد، ونحّت شرع الله، ومنعت الخيرين من مزاولة الإصلاح ودعوة الناس للخير، وتقام الدنيا من أجل امرأةٍ محجبةٍ دخلت البرلمان، بل ويُمنع الحجاب في المدارس والجامعات، وتُنحَّى الأحزابُ الإسلاميةُ عن الحكم، وتُباح المحرمات كالزنا والخمور ونحوها، إلى غير ذلك من أمورٍ لا شك أنها محاربةٌ لله ولرسوله وللمؤمنين... ولكن الأمر لا ينتهي إلى ذلك فقط - بل ينبغي أن نستشعر الحزن لما حصل في تركيا، فثمة طوائف من المتضررين من إخواننا المسلمين، ولا حول ولا قوة لهم، بل قد يكونون كارهين لما يقع، وأمرٌ آخر ينبغي أن نستشعره دائمًا؛ فما يقع من مصيبة في بلد من بلدان المسلمين هو مصيبة على العالم الإسلامي بأسره، يُنقص فيه من موارده، ويفنى فيه عددٌ من طاقاته، وأهمُّ من ذلك كله فناءُ عدد من أبناء الأمة الإسلامية. وهؤلاءُ أو أبناؤهم من بعدهم هم

---

(١) مجلة المجتمع، عدد: ١٣٦٥.

من جنود الإسلام وحماته، فكيف إذا كان زلزالٌ هنا أو فيضانات هناك، وجفاف في موقع ثالثٍ من عالمنا الإسلامي وهكذا. أفنفرح بالمصاب على إخواننا وننسى أنها مصيبتنا جميعًا؟

الوقفة الثالثة: وفرقٌ بين التشفِّي والفرح، وبين الاعتبار والتأسف، فحين نعتبر بما يقع بجزء من عالمنا، ونصلح ما فينا نحن من خللٍ، فذلك خيرٌ من أن ننشغل بنقد الآخرين والتسلي بأحداثهم، ومن باب الاعتبار نقول: وينبغي ألا ننسى أنه كان لتركيا يومًا من الدهر تاريخٌ مجيد. لقد كانت موطن الخلافة الإسلامية، ورائدة الفتوح في مشرق الأرض ومغربها، ولا تزال شعوبٌ مسلمةٌ تدين بالفضل بعد الله للأتراك إذ دعوهم للإسلام وأدخلوهم في قوائم المسلمين... ومع ما أُخِذَ على الدولة العثمانية من مآخذ فقد كانت إيجابياتها ظاهرة لكل منصف... وهنا يرد السؤال وهو أيضًا للاعتبار؟ ماذا دهى تركيا في تاريخها المعاصر؛ لماذا استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ وهل ينجح المستعمرون في فصل تركيا عن العالم الإسلامي وهي لحمة منه، وعضوٌ فاعلٌ من أعضائه؟.. وهل تحرك هذه المصائبُ الواقعةُ مشاعر العقلاء، وهل تكون تلك الخسائرُ الفادحةُ نذرًا يستيقظ فيها الأتراك المخلصون فيعيدون تاريخ أجدادهم السابقين، وهل يسارع العالم الإسلامي في مساعدة إخوانهم الأتراك في مصابهم، أم تسبقهم الدولُ الغربية، متخذةً من ذلك وسيلةً لمزيد من التغريب والعلمنة، في بلدٍ كان يقود العالم الإسلامي بأسره؟ ومما يلفت النظرَ -في زلزال تركيا- أن تُستغلُ المساعداتُ الإنسانية لمآرب سياسية، فقد تحدثت صحيفة (معاريف) الصهيونية صراحةً عن أن: تل أبيب، وعواصم الاتحاد الأوروبي قررت تقديم الدعم للنظام العلماني التركي في محنته، خوفًا من سقوطه أمام موجة الاستياء الشعبي، وخشية أن يستفيد الإسلاميون من هذه

الحالة لتوسيع نفوذهم[١]. من هنا لا ينبغي أن يفكر المسلمون بالفرح أو الحزن لما يجري ويحدث في تركيا، ولا ينبغي أن تَغلِبَ العواطفُ دون نظرٍ عميق وخطوات متزنة وشاملة للتقييم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢].



(١) مجلة المجتمع: ٢٠-٢٦/ ١٤٢٠هـ. (٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٧.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاةُ والسلام على سائر أنبياء الله والمرسلين.

أيها المسلمون: أما الوقفة الرابعة فهي بين المصائب والذنوب، فمما لا شك فيه ارتباط العقوبات الإلهية بذنوب البشر وانحرافهم، وهذا لا يخص تركيا وما وقع فيها، بل يعم كلَّ أرضٍ ويشمل جميع البشر، وتلك سنةٌ إلهية مضت وتتكرر ليتعظ الناس ويصلحوا أحوالهم: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾(١).

يقول تعالى مؤكدًا هذه السنة: ﴿أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾(٢)، ويقول جلّ ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾(٤)، إلى غير ذلك من نصوصٍ تُخوِّفُ المسلم من آثار المعصية وتحسسه بارتباط العقوبة بالذنب، وتنذره قبل يوم الحساب.

الوقفة الخامسة: إذا كثر الخبث... والسؤال المطروح: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» وفي الحديث: «**إن الناس إذا رأوا الظالمَ ثم لم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم اللهُ بعقاب من عنده**»، ومن هنا تأتي قيمةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة للخير ومحاربة الفساد، وكشف أوكار المفسدين حتى لا تغرق السفينة ويتساقط الأبرار مع الفجار، عن

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٣) سورة هود، الآية: ١٠٢.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يبيت قومٌ من هذه الأمةِ على طعام وشراب ولهوٍ، فيصبحون قد مسخوا خنازيرَ، وليخسفن بقبائل فيها، وفي دور فيها حتى يصبحوا فيقولوا: خُسف الليلة ببني فلان، خسف الليلة ببني فلان، وأرسلت عليهم حصباءُ حجارة، كما أرسلت على قوم لوط، وأرسلت عليهم الريح العقيم، فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم بشربهم الخمر، وأكلِهم الربا، ولبسهم الحرير، واتخاذهم القينات، وقطيعتهم الرحم**، قال: وذكر خصلة أخرى فنسيتُها (رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم).

الوقفة السادسة: بينا يكونُ المرء فيها مُخبرًا، وإذا به خبرٌ من الأخبار، وسبحان الله كم بين الحياة والممات؟ ما هي إلا عددٌ من الثواني، وإذا بصفحة الحياةِ كلِّها تطوى، وينتقل المرء من حالٍ إلى حال، ومن دارٍ إلى أخرى. تاركًا وراءه نوايا وإرادات وهمومًا وأعمالًا عاجلة الأجل دون إتمامها. وهنا يرد السؤال: حين ينام المرءُ ماذا يبيِّت من النوايا وهو قد لا يصبح، وحين يستقل سيارته مسافرًا ماذا ينوي وهو قد لا يعود من سفره، ولقد أدرك الناسُ أن زلزال تركيا وقع في الهزيع الأخير من الليل وما من شكٍّ أن عددًا ممن قبضت أرواحهم في الحدث كانوا ركعًا لله سجدًا، وعددٌ أكبر كانوا يقضون الليل بسهرات صاخبة بأنواع من المعاصي والسلوكيات المنحرفة، وعددٌ يؤمنون بيوم المعاد، وعددٌ آخر يظنون الحياة الدنيا نهاية المطاف... وهكذا: همومٌ ونوايا... قد يهلك أصحابها جميعًا بحدثٍ عام، ولكنهم يبعثون على نياتهم يوم القيامة.

الوقفة السابعة: والسعيدُ من وُعظ بغيره، وكم ننشغل بأحداث الآخرين وننسى أنفسنا، والله يمهل ولا يهمل، وقد يبتلي قومًا بالضراء ويبتلي غيرهم بالسراء، وقد تكون النازلةُ في بلد من بلدان المسلمين نذيرًا لهم ولمن وراءهم

من المسلمين، والسعيدُ من وُعِظَ بغيره، والمسكين من خدعه الأمل، وغرّه طولُ الأجل، وفي القرآن عمومًا تذكيرٌ مستمرٌّ لنا بمن أصبحوا في ديارهم جاثمين، وبمن أصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم، وبالقرية الآمنة المطمئنة يأتيها رزقُها رغدًا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، فهل نتعظ بمن مضى ومن لحق..؟

الوقفة الثامنة: ولا تعارض بين قدر الله ومعرفة العلماء بالحدث أو تحليل أسبابه، فقد تقع الزلازلُ في أرض يفسر أهلُ الاختصاص جيولوجيًا سبب وقوعه، وقد يقع الكسوفُ أو الخسوف وفق حسابات يعلمها الفلكيون بالحساب... لكنَّ أحدًا من البشر لا يستطيع أن يقدم موعد الزلازل أو يؤخرها، أو يختار مكانها، أو يحدد خسائرها، فذلك لله وحده، وكذلك الكسوف والخسوف فعلمُ البشر ينتهي عند حسابه، لكنهم لا يملكون تقديمه أو تأخيره أو اختيارَ مكانه... وإذا علم هذا فلا ينبغي أن يكون دورُ وسائل الإعلام الإخبارَ عن هذه الحادثات الكونية وتجريدها من بأس الله وقوته، وانحرافِ البشر وعقوبتهم، ولا ينبغي التركيزُ كذلك على التحذير من عمى الأبصار، وإغفال الحديث عن عمى البصيرة -وهو أشد- وهكذا ينبغي أن يتميز الإعلام الإسلامي بطَرْقِ الأحداث جامعًا بين الحقائق العلمية، والسنن الإلهية، وينبغي أن يذكرهم بشدة بأسِ الله وغيرته حين تُنتهك محارمه، وإنه لبالمرصاد، وإنَّ أخْذَه أليم شديد.

الوقفة التاسعة: هزات أرضية تبعث الحياة، وتلك هي نوعٌ آخرُ من هزات الأرض تنبعث لها الحياة، بخلاف الهزات التي تؤدي إلى الوفاة، وهذه الهزة الباعثةُ على الحياة برهان للبعث والنشور، وآيةٌ على قدرة العزيز العليم، وعن هذا النوع من الهزة ودرسها قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ

أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

الوقفة العاشرة: وفوق ذلك كلّه، فكثرةُ الخسوف في الأرض أمارةٌ من أمارات الساعة، وفي الحديث الصحيح عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الساعة لا تقوم حتى تكون عشرُ آيات: الدخانُ والدجال والدابة وطلوعُ الشمس من مغربها، وثلاثةُ خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، ونزولُ عيسى ابن مريم، وفتحُ يأجوج ومأجوج، ونارٌ تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا**». رواه أحمد ومسلم وغيرهما.



(١) سورة فصلت، الآية: ٣٨.

من مقاصد الحج وأسراره ومعانيه وعشر ذي الحجة(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله جعل الحجَّ إلى بيته الحرام ركنًا من أركان الإسلام، لا يتم إسلامُ العبدِ إلا بأدائه، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، جعل التطوافَ في مشاعر الحج ومناسكه هديًا للأنبياء عليهم الصلاةُ والسلام، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، خالف قومه المشركين في عوائدِهم في مناسك الحج، واتّبع ملةَ إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٢)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣).

أيها المسلمون: للحجِّ مقاصدُ جليلة، ومعانٍ عظيمة، وآثارٌ إيجابية كثيرة على الفرد في ذات نفسه، وعلى الأمة المسلمة بمجموعها، وحريٌّ بالمسلم أن يعلمَ شيئًا منها إن حجَّ العام أو أعوامًا تليها، حتى تؤتيَ العبادةُ غرضها، وتتحقق

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٦/ ١١/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

للحاج منافعُ الحج التي أخبر عنها المولى بقوله: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾[(١)].

وإليك -أخي المسلم، أختي المسلمة- شيئًا من مقاصد الحجِّ ومعانيه، ومنها:

١- مزيدُ الارتباط بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لَدُن إبراهيم ﷺ حيث بنى البيت، وابنهِ إسماعيل ﷺ، إلى نبينا محمد ﷺ حيث عظَّم البيت، وأعاد له طهره وتوحيده، وحطَّم الأصنام المحيطة به، ولم يعد للمشركين سلطانٌ عليه، وحي ينزل الحاج في تلك الرحاب الطاهرة يرتبط في ذهنه سِيَرُ الأنبياء ويتجذّر في قلبه الاقتداءُ بهم، والله يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾[(٢)].

٢- وفي الحج تحقيقٌ للعبوديةِ لله وإذعانٌ لشرعه، فلا ترى الحاجَّ إلا متذللًا خاضعًا لله، منكسرًا بين يديه، متجردًا من ملابسه، مسافرًا عن أهله وبلدِه، تاركًا شهواته وملاذه لله ربِّ العالمين، وتراه في الحج يتنقل من عبادةٍ إلى أخرى، تلبيةٍ وذكرٍ وصلاةٍ، ودعاء، طوافٍ... وسعي، رمي وحلق وهدي... وهكذا تتحقق العبوديةُ للحاج بأوفى صورها وأتمِّ معانيها، وحريٌّ بهذه العبودية لله أن تستمر في سلوكيات المسلم بعد الحج، وحريٌّ بهذه الطاعة لله والاستسلام لشرعه أن تدوم في مكة أو سواها من بلاد الله.

٣- ويتذكرُ الحاجُ الفطنِ بأعمالِ الحج ومناسكه الموتَ والآخرة، ألا تراه يلبس ما يُشبه الأكفانَ حين يُحرم، متجردًا عن زينةِ الدنيا، متخففًا من كلِّ لباس عدا إزارٍ ورداءٍ يلفُّ بهما جسدَه، ويستر بهما عورتَه، لا فرق في ذلك بين الغني والفقير، والملكِ والمملوك، والصغير والكبير... وإذا كان هذا التجردُ من الدنيا وزينتها بوابةَ الآخرة، فالحاج كذلك يتذكر الآخرةَ وجمعَها، حين يجتمعُ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

الناسُ على صعيد عرفات، وحين يبلغُ الزحامُ مبلغه في الطواف والسعي، ورمي الجمار، وقد تكون واحدةٌ من هذه المشاعر بدايةَ نقلِهِ إلى الآخرة، فكم من حاجٍّ في القديم والحديث قضى نحبه في مشاعرِ الحج ولم يعد إلى أهله.

٤- ومن مقاصد الحج ومعانيه: ارتباطُ المسلمين بقبلتهم التي يولون وجوههم شطرَها في صلواتهم خمسَ مراتٍ في اليوم، ومع ارتباط الحجِّ بالصلاة، إذ الكعبةُ قبلتهم في الصلاة والحج، فالارتباطُ بالكعبة هنا سِرٌّ بديع يحققُ للمسلمين أصالتهم ويذكرُهم بتاريخهم العظيم، وينبغي أن يصرفهم عن التوجه إلى غربٍ كافر، أو شرقٍ ملحدٍ، وأن يُشعرهم هذا التوحدُ في الاتجاه في أركان الإسلام بالتوحدِ في الكلمة، والهدفِ، والقيم الخالدة، وذلك كلُّه مصدرُ قوةٍ وعزةٍ للمسلمين لو عقلوه وعملوا به.

٥- وفي الحج إرهابٌ لأهلِ الكفرِ والضلال بهذا الاجتماعِ العظيم للمسلمين، فإنهم وإن كانوا مفترقين مختلفين، فإنَّ اجتماعهم في الحج وتوحدهم في المشاعر مؤشرٌ إلى إمكانية اجتماعهم وتوحدهم في غير الحج، واجتماع المسلمين وتوحدهم -لا شك- مقلقٌ للكفار مرهبٌ للأعداء لا سيما وموسمُ الحجِّ تبرز فيه المفاصلةُ التامةُ مع أهل الشرك والكفر ويُحظَرُ حضورهم لهذه المناسبة بأي شكل من الأشكال منذ نزول قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾(١).

٦- ومن أسرارِ الحجِّ ومقاصده تربيةُ النفوس على جملٍ من معاني الخير ومكارم الأخلاق، إذ تتدربُ نفسُ الحاجِّ على الصبرِ والتحمل، والصفح والعفو، والنفقةِ والبذلِ والإحسان، وتعليم الجاهل، والدعوة للخير، وهذه

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

المعاني والمكتسباتُ الخُلقية -ونحوها- يمارسها الحاجُّ ويحتاج إلى التعامل بها مع رفقته الأقربين، ومع سائر الحجاج من إخوانه المسلمين، وحريٌّ بمن كَسَبَ هذه الأخلاق في الحج أن يحافظ عليها بعد الحج.

٧- ومن المعاني والأسرارِ اللطيفة في الحج: تعويدُ النفسِ على انتظارِ الفرجِ بعد الشدة، وفي الحجِّ درسٌ عمليٌّ، يقول: إن الشَّدةَ لا تطول، وإن الفرج بعد الضيق، وإن مع العسر يسرًا، ألا ترى الحجاج وهم يسعون بين الصفا والمروة يتذكرون ما مرَّ بأم إسماعيل من ضيق وشدة وما أعقبه من فرج وفضل ورحمة. بل ألا ترى الحاج يبصر -أحيانًا- شدة الزحام في المطاف أو المسعى أو رمي الجمرات، فيضيقُ صدره، وربما ظن أنه غيرُ مستطيع أداءَ هذا النسك، ثم لا يلبثُ إلا قليلًا... وإذا بالضيق يخفُّ شيئًا فشيئًا، وبالشدة تذهب رويدًا رويدًا، وبالجموع المخيفة تَنْقَلُ، وبالرهبة تخفُّ حتى يؤدي المرءُ ما كان متهيبًا من أدائه من قبل، ولربما أضمر المرءُ حين الشدة أنه لن يحج بعد العام، فلما كان الفرجُ واليسرُ زال ذاك الهمُّ، وتبدل العهدُ والوعد، وهكذا تنتهي الشدائد وتُفرج الكربات، لا في مشاعرِ الحجِّ وحدها، بل وفي كلِّ مكانٍ وزمانٍ، وعلى المسلم ألا ييأسَ من رَوْحِ الله... ولا يقنط من فضله ونصر أوليائه.

٨- وفي الحج تذكيرٌ بقيمةِ الزمن وإمكانية استثماره في طاعة الله أمثلَ استثمار... فالحاجُّ في برهة يسيرة من الزمن يحقق من الطاعات والقربات ما هو جديرٌ بتحفيزه على استمرار استثمار الوقت بما ينفع، فالوقتُ رأس مالِ الإنسان، والوقت أَجَلُّ ما يُصان عن الإضاعةِ والإهمال، ومن المؤسف أن تضيع أوقاتُ المسلم سُدًى، ولربما أمضى فترةً من عُمره وشطرًا من حياته في أمور لا تنفعه شخصيًا، وتخسر بها الأمة طاقةً من طاقاتها... وفي الحجِّ ومناسكه وانتقال المرءِ فيه من عبادةٍ إلى أخرى ما ينبغي أن يشحذَ الهمم،

ويقوي العزائم على استثمار الوقتِ بعد الحج فيما ينفع به نفسه، وتستفيد الأمةُ المسلمةُ من ورائه.

٩- أيها الحاج: أما مغفرةُ الذنوب، ورفعةُ الدرجات في الجنان فذاك الذي أخبر عنه المصطفى ﷺ بقوله: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمُّه**» رواه البخاري ومسلم، ويقول ﷺ: «**العُمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة**». رواه مسلم.

يا عبدَ الله: وإذا كان لك ماضٍ تستحي من ذكره، وتخافُ الله من حسابك، فاستغفر الله وتب إليه بالحج، فقد قال النبيُّ ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه حين جاء مسلمًا مشترطًا أن يُغفر له: «**وإن الحجَّ يهدم ما كان قبله**» رواه مسلم.

١٠- أيها الحاج: وفي الحج تنبعث عبوديةُ الشكرِ لله وتقوى، فالحاجُّ يُبصر الشيخ الضعيف، والفقير والمسكين، ومن يفترشون الأرض ويلتحفون السماءَ، يبصر الأعرج والأعمى، والمريض والمبتلى والمعاقين والزَّمني... وأصنافًا من خلق الله حلَّ بهم ما هو منه سالمٌ معافى، فيدعوه ذلك لشكرِ أنعمِ الله عليه، ويتذكرُ ما هو فيه من نعمةٍ قد لا تتوفر عند غيره، فيقيدُ هذه النعمِ بالشكر، ويلهجُ لسانُه وقلبه بالذكرِ والشكرِ، بل وفوق ذلك كلِّه يتذكر نعمة الإسلام التي هو فيها، والأمم والشعوب التي حُرِمتها فيزيد شكره وتمسكه بدينه، ويعودُ من رحلة الحجّ مستمسكًا بالدين الحق، داعيًا غيره ممن لم يتذوق نعمة الإيمان واليقين.

حجاج بيت الله: ولا يليق بالمسلم أن يحافظ على الواجبات كالصلوات المفروضة في الحج فحسب، فإذا ما عاد تهاون بها، كما لا يليق بالمسلم أن يمتنع عن المحرمات، فإذا ما انتهى من رحلةِ الحجِّ مارسها، بل وأطلق لنفسه العنان فيها.

أيها الحاج: ألا فاتخذوا من ذكر الله وتلاوة كتابه - في الحج - والحرص

على السنن المشروعة بشكل عام فرصةً لتعويدِ النفسِ عليها، والمداومةِ عليها بعد الحج.

وإذا ما قُدّر لك -أخي الحاج- أن تطّلع على شيء من أحوال إخوانك المسلمين وحوائجهم -في الحج- فليكن ذلك داعيًا لك للاهتمام بشأن المسلمين ومتابعة قضاياهم وسدِّ حوائجهم بعد الحج.

وبهذه المشاعر والمعاني والأحاسيس والمقاصد يعود للحجِّ قيمته وأثره، ويعود الحاجُّ ممتلئًا بأسرار الحج ومنافعه... وإنما شرعت الطاعاتُ والقرباتُ في الإسلام لتهذيب النفوس وتزكيتها، وترويضها على الفضائل، وتطهيرها من النقائص، وتحريرها من رقِّ الشهوات، والرقي بها إلى أعلى المقامات والكرامات، ودونك هذه المعاني وأكثر، في قوله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾(١).



(١) سورة الحجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أفاء على عباده من مواسم الخيرات ما يرفع لهم به الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدُه لا شريك له، نِعمُه لا تعدُّ ولا تحصى، ومن تأمل في شريعة الإسلام وجد بها السماحة والندى والفضل العظيم لمن أناب واهتدى، أعمالٌ ماحيةٌ للذنوب والمعاصي، ومواسمُ للطاعات يرتفع بها العبدُ درجات... ذكرٌ وشكر، صلاةٌ وصيام، سننٌ ونوافل، صدقاتٌ وصلات، وأضاحي.

وأشهد أن محمدًا رسولُ الله، ندب الأمة إلى المسارعة في الخيرات، وخصَّ ربُّه بالفضل أيامًا معدودات... والموفق من اغتنم المواسم وسابق الخيرات، اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

عبادَ الله: وفضلُهُ ورحمته تشمل الحجاج وغيرَهم، بُشراكم معاشر المسلمين بأيامٍ أوشكت أن تعمكم بفضلها، وهنيئًا لمن قدّر فضلَ الزمان فاستثمره بالطاعة، وتقرب إلى مولاه بالعبادة الخالصة.

عشرُ ذي الحجة أيامٌ فضّلها الله على ما سواها، وأقسم بها تعظيمًا لشأنها، فقال جلّ ثناؤه: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾(١).

قال ابنُ عباس، وابنُ الزبير، ومجاهدٌ وغيرُ واحدٍ من السلفِ والخلف: إنها عشرُ ذي الحجة.

قال ابنُ كثير: وهو الصحيح، ونسبه الشوكاني إلى جمهور المفسرين(٢).

---

(١) سورة الفجر، الآيتان: ١، ٢.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤١٣)، «فتح القدير» (٥/ ٤٣٢).

وبيَّنَ المصطفى ﷺ فضل عمل الصالحات فيها، فقال في الحديث الذي أخرجه البخاريُّ وغيرُه: «**ما من أيامٍ العملُ الصالح فيهن أحبُّ إلى الله منه في هذه الأيامِ العشر**» قالوا: ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهادُ في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسِه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء**».

قال ابنُ حجر رحمه الله: والذي يظهر أن السببَ في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماعِ أمهاتِ العبادة فيه، وهي الصلاة والصيامُ والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره[1].

عبادَ الله: ومن الطاعات المشروعةِ في هذه العشر الإكثارُ من الذكر كالتهليل والتكبير والتحميد، وفي هذا يقول النبيُّ ﷺ: «**ما من أيام أعظمُ عند الله ولا أحبُّ إليه العملُ فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**»[2].

قال العلماء: والتكبيرُ في الأضحى مطلق ومقيد، فالمقيدُ عقيبَ الصلوات، والمطلق في كل حال في الأسواق وفي كل زمان[3].

وقد أخرج البخاري في «صحيحه» معلقًا مجزومًا به أن ابن عمر وأبا هريرة رضي الله عنهما كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبرُ الناسُ بتكبيرهما[4] فمن يُذكِّر الناسَ في هذه الأيام بالتكبير فبه شبهٌ بهذين الصحابيين الجليلين، ومن أحيا سنةً نبويةً أميتت فله من الأجر مثلُ من عمل بها من غير أن ينقص من أجور العاملين شيئًا[5].

---

(١) «الفتح» (٢/ ٤٦٠).

(٢) رواه أحمد وإسنادُه صحيح (٧/ ٢٢٤)، (٩/ ١٤)، الفوزان: مجالس عشر ذي الحجة ص١٤.

(٣) «المغني» (٣/ ٢٥٦). (٤) «الفتح» (٢/ ٤٥٧).

(٥) أخرجه الترمذي بسند حسن.

أيها المسلمون: والصيام قربةٌ إلى الله في كل زمان، ولا شك أنه في الأزمنة الفاضلة أحبُّ إلى الله وأكثر أجرًا، فمن قدر على صيام شيء من هذه العشرِ فأجرُه على الله... ومن ضعفت همتُه فلا أقل من صيامِ يوم عرفة لغير الحاج، فقد جاء في فضله أنه: «**يُكفر السنة الماضية والسنة القابلة**» رواه مسلم.

أيها المسلمُ والمسلمةُ: وإن تيسَّر لك الحجُّ فهو من أعظم الأعمال في هذه العشر، وإن لم يتيسر فاحرص على الأعمال الصالحة بشكل عام كالذكرِ وتلاوة القرآن وكثرة السُّنن -بعد المحافظة على الفرائض- وصلة الأرحام، والصدقة على الفقراء والمحتاجين، والأمرِ بالمعروفِ والدعوةِ للخير وزيارة المرضى، والصلاة على الأموات، وزيارة المقابر، والدعاء للأحياء والأموات... إلى غير ذلك من قربات يجدر بك أن توليها من العناية في هذه العشر أكثر ممّا توليها في سائر الأيام.

أيها المؤمنون والمؤمنات: عشرُ ذي الحجة غُرةٌ في جبين الدهر، لا تتكرر في العام إلا مرة، فكيف ستكون هممكم للطاعةِ حين تُستثار الهممُ؟ وأين موقع خيلكَ أيها المسلم والمسلمة - للسباق حين تُضمرُ جيادُ الآخرين؟ وما مدى شعورك بقيمةِ الزمن، وتقديرك لمواسم الطاعة؟ هل تشعرُ بالفرح وأنت تنتظرها، وهل تكونُ من العاملين المخلصين حين مجيئها؟

وليس يخفى أن الجهاد في سبيل الله ذروةُ سنام الإسلام، فإن عجزتَ أو لم يُقدَّر لك الجهاد، ففي عمل الصالحات -في هذه العشر- فرصةٌ للتعويض، ووسيلةٌ لبلوغ أجرِ المجاهدين، وقد مرَّ بك أنَّ عمل الصالحات فيها أحبُّ إلى الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع بشيء من ذلك -وإن كان الجهادُ من حيث الجملة أفضلَ مما سواه- لكنَّ عملَ الصالحات في هذه العشر له مزيةٌ وفضل[1].

---

(١) «الفتاوى» (٢٤/ ١٩٨/ ٢٣٦) بتصرف.

أيها المسلمُ والمسلمة: وحاذر من المعاصي في كل زمان ومكان، وعظِّمْ حرمات الله بشكل عام، والأزمنةَ الفاضلةَ بشكل خاص، وقد سُئل شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ عن عقوبة المعاصي في الأزمنة الفاضلة فقال: «والمعاصي في الأيام الفاضلة والأمكنة المفضلة تغلظُ، وعقابُها بقدر فضيلة الزمان والمكان»(١).

عباد الله: ومما يجدر التنبيهُ عليه أنَّ من أراد الأضحية فعليه أن يمسك عن الأخذِ من شعرِه وظفره وبشرته منذُ دخول العشر حتى يذبح أضحيته لقوله ﷺ: «**إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدُكم أن يضحي فليمسك عن شعرِه وأظفاره حتى يُضحي**»، وفي رواية: «**فلا يمسَّ من شعرِه وبشرته شيئًا**» رواه مسلم.

والأمرُ هنا -كما قال العلماء- للوجوب، والنهيُ -عن الأخذ- للتحريم، لكن لو تعمد الأخذَ فعليه أن يستغفر الله ويتوب إليه، ولا فدية عليه إجماعًا، ومن احتاج إلى أخذِ شيءٍ من ذلك لتضرره ببقائه كانكسار ظفرٍ أو جرح عليه شعرٌ يتعين أخذه -أو نحو ذلك- فلا بأس، ولا حرج على الرجل والمرأة أن يغسل رأسه في هذه العشر، فالنهي عن تعمدِ الأخذ، وينبغي أن يعلمَ أيضًا أن النهيَ يخص صاحبَ الأضحية دون الزوجة والأولاد، إلا إن كان لأحدٍ منهم أضحيةٌ تخصه، كما أن النهي لا يشمل الموكَّل بذبح أضحيته عن حي أو ميت، وإنما يخص صاحب الأضحية فقط. أما من عزم على الحج وله أضحية فإنه لا يأخذ من شعره وظفره إذا أراد الإحرام؛ لأنَّ هذه سنة عند الحاجة، فيرجح جانبُ الترك على جانب الأخذ، أما تقصيرُ المتمتع لشعره حين الانتهاء من العمرة فلا بأسِ بهِ؛ لأن ذلك نسك، وكذا حلقُ الرأس يوم العيد بعد رمي جمرة العقبة(٢).

---

(١) «الفتاوى» (٣٤/ ١٨٠).

(٢) عبد الله الفوزان: «المجالس» ١٥-١٧.

مكفرات الذنوب(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله واهبِ النعم ومجزلِ الفضل دافع النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غافرُ الذنب وقابلُ التوب شديدُ العقاب، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه صفوةُ البشرِ، وخير من حج واعتمر، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٤).

عبادَ الله: وعاد حُجاجُ بيت الله سالمين غانمين -إن شاء الله- معافيْنَ في أجسادهم، آمنين في أداء مناسكهم، ونسأل الله أن يديم لهذا البيت أمنه، وأن يزيده تشريفًا وتعظيمًا، وأن يجزل المثوبة لكل من أسهم في أمنِه وتعظيمه، وتيسير السبلِ، والراحة للحجاج والمعتمرين.

حجاجَ بيت الله: هنيئًا لمن تقبل الله عمله فعاد من حجِّه كيوم ولدته أمُّه: «**والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة**» وهل للمسلم غايةٌ أعظم من الجنة،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٨/ ١٢/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

وفي الحج فرصةٌ لإظهار عالميتنا الأصيلة، فشعَارُنا في الحج واحد ومناسكنا واحدة، والعربي والأعجمي والغني والضعيف كلنا في صعيد واحد، يتوحدُ لباسنا وتتوحد مشاعرنا، وفرق بين هذه العالمية الأصيلة والعولمة المصطنعة.

أما من خرج حاجًا أو معتمرًا، فأدركته المنيةُ قبل إتمام نسكه، فأجره على الله: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من خرج حاجًا فمات، كُتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات، كُتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازيًا فمات، كُتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة**»[2].

وفضل ربي واسع، ومن لم يكتب له الحج هذا العام ووفق لصيام يوم عرفة، كفر اللهُ عنه به السنة الماضية والباقية. (رواه مسلم بمعناه).

وعن أبي يعلى: «**من صام يوم عرفة غفر له ذنب سنتين متتابعتين**». ورجاله رجال الصحيح[3].

بل إن فضل الله واسع، يمتد ليشمل أصحاب الطاعات الخالصة لله، فقد روى أبو داود بسند حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه، فأجره كأجر المعتمر، وصلاةٌ على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين**»[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٢) رواه أبو يعلى وصححه بعضهم، «كفاراتُ الخطايا» حامد العقبى: ١٥٥.

(٣) «كفارات الخطايا» ٩٢.

(٤) «صحيح الجامع» (٥/ ٢٨٨)، «صحيح سنن أبي داود» ٥٩٧.

إخوة الإسلام: ومن فضل الله على هذه الأمة أن ختام العام في شهر ذي الحجة وفيه مغفرة الذنوب لمن حج البيت، أو صام يوم عرفة - لغير الحاج - وابتداءُ العام التالي بشهر الله المحرم، وفي يومُ عاشوراء، وصيامُ عاشوراء يكفر السنة الماضية - كما روى مسلمٌ في «صحيحه»، وبين شهر الله المحرم، وشهر ذي الحجة يأتي شهر رمضان، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

أيها المسلمون: ولا ينقطع فضل ربنا، ولا تنتهي مكفرات الخطايا والذنوب عند أعمال الحج والصيام.

بل توجد مكفرات للذنوب نمارسها في اليوم والليلة، كالصلوات، فالصلوات الخمس، مكفرات لما بينها إذا ما اجتنبت الكبائر، ومساكين من يضيِّعون هذه الصلوات أو يتهاونون في أدائها، ومكفراتٌ نمارسها متى شئنا في ليلٍ أو نهار، ولا تكلفنا إلا تحريك اللسان واستحضار القلب، كالذكر والاستغفار، وفي الحديث المتفق على صحته قال ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(١).

دونكم - معاشر المسلمين - ذكرًا قد يبدأ به أعداد من المسلمين، فيعاجلهم الشيطان فيقطعونَهُ قبل إتمامه، وإذا عوجل المسلم عن إتمام الذكر... وهو بعد في المسجد؛ فكيف ترى الشيطان يصنع به خارج المسجد، وعن هذا الذكر يقول المصطفى ﷺ: «**من سبح اللهَ في دبرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر اللهَ ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير،**

---

(١) أحمد، البخاري ومسلم وغيرهم «صحيح الجامع» ح: ٦٣٠٧.

غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[١] إن في ذلك لمزية للمصلين وفضلًا للذاكرين.

أيها المسلمون: ومن مكفرات الذنوب ما نكره وقوعُه علينا ظاهرًا وإن كان فضلًا من الله ورحمة بنا باطنًا، كالأمراضِ نحاذرها جميعًا، ونتقي أسبابها، فإذا حلت بأحدنا وصبر واحتسب كانت كفارةُ لسيئاته ورفعةً لدرجاته، وكذا المصائب في الأموال والأولاد... وعن هذه وتلك يقول المصطفى ﷺ: «**إن العبد إذا سبقت له من الله منزلةٌ لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثم صبَّره على ذلك حتى يُبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى**»[٢].

قال يزيدُ بن ميسرة رَحِمَهُ اللهُ: إن العبدَ ليمرض وما له عند الله من عمل خيرٍ، فيذكِّره اللهُ سبحانه ببعضَ ما سلف من خطاياه، فيخرجُ من عينه مثلُ رأسِ الذباب من الدمع من خشية الله، فيبعثه الله إن يبعثْهُ مطهرًا، أو يقبضه إن قبضه مطهرًا»[٣].

عبادَ الله: والهمومُ والأحزانُ التي تصيب المسلمَ هي الأخرى مكفراتٌ للخطايا، أخرج البخاريُّ ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ما يصيبُ المؤمنَ من نَصَبٍ - وهو التعبُ الشديد - ولا وصبٍ - وهو المرض - ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذىً ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**».

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم في «صحيحه» صحيح الجامع ح: ٦١٦٢.

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود واللفظ له، ووثق ابن حجر رواته إلا واحدًا، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٥٩٧)، وانظر: «تحفة المريض» ١٩. عبد الله الجعيثن.

(٣) «عدة الصابرين» ١٠٢، «تحفة المريض»، الجعيثن: ٢٣.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كثرت ذنوبُ العبدِ فلم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزنِ ليكفرها عنه**» أخرجه أحمدُ بسند حسن[١].

يا أخا الإسلام: وثمةُ أعمالٌ يسيرة ولكنها عندِ الله عظيمةٌ لمن احتسب أجرَها، وهي داخلةٌ في مكفرات الخطايا، فالصلاةُ على الرسول ﷺ جاء في فضلها قوله ﷺ: «**من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطَّ عنه عشرَ خطيئات، ورفع له عشرَ درجات**»، أخرجه أحمدُ وغيره بإسناد صحيح[٢].

وسلامُ المسلم على أخيه المسلم من أسبابِ مغفرةِ الذنوب، وفي الحديث: «**ما من مسلميْن يلتقيان فيتصافحان إلا غفر الله لهما قبل أن يتفرقا**» أخرجه أحمدُ والترمذي وغيرُهما بسندٍ حسن[٣].

وإدخالُ السرور على المسلم موجبٌ للمغفرةِ، قال ﷺ: «**إن من موجبات المغفرة إدخالَ السرورِ على أخيك المسلم**»[٤]. وهذه أعني إدخال السرور على المسلم - فوق ما فيها من مغفرة الذنوب، هي نموذج لعظمة الإسلام في بناء العلاقات الحسنة بين المسلمين.

يا أخا الإسلام: وهل أعظمُ من ربٍّ وأسمى من دين تأكل الأكلة فتحمده عليها، فيغفر الله ذنبك، أو تلبَسُ الثوب فتحمده عليه فيغفر ذنبك، وفي هذا يقول المصطفى ﷺ: «**من أكل طعامًا فقال الحمدُ لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة، غفر اللهُ له ما تقدم من ذنبه، ومن لبس ثوبًا**

(١) «مكفرات الخطايا» ٦٠.

(٢) «صحيح الجامع الصغير» (٥/٣١٦)، ح: ٦٢٣٥.

(٣) «مكفرات الخطايا» ١٠٦.

(٤) رواه الطبراني في «الكبير والأوسط» بإسناد حسن، السابق: ١١٢.

فقال الحمد له الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». رواه أحمدُ والحاكم بسند حسن صحيح[١].

يا عبدَ الله: ألا ما أعظم فضلَ الله وأكثر طرقَ الخير والمغفرة، فسارع إلى الخيرات جهدك، وإياك أن تغتَّر بعملك، أو تمنَّ على الله بما هداك له، بل الصالحون يأتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، وأولئك قال الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٢].

جعلنا الله منهم... أقول ما تسمعون وأستغفر الله...



---

(١) «صحيح الجامع» (٥/٢٥٦).

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٦٠، ٦١.

الخطبة الثانية:

الحمد لله خلق الخلق لعبادته، ووعد الطائعين جنته، وجعل مصير الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله... صلى الله عليه وعلى إخوانه وآله..

إخوة الإسلام: ويتصل بمكفراتِ الذنوب والخطايا، عيادةُ المريض، والوضوء، والصلاة..

يقول ﷺ: «**ما من رجلٍ يعود مريضًا ممسيًا إلا خرج معه سبعون ألف ملكٍ يستغفرون له حتى يصبح، ومن أتاه مصبحًا خرج معه سبعون ألف مَلَكٍ يستغفرون له حتى يمسي**» رواه أبو داود والحاكمُ بسند صحيح(١).

وتأمل - يا أخا الإيمان - ما في الوضوء من تكفير للخطايا، فقد روى مسلمٌ في «صحيحه» من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من رجلٍ يقرب وضوءه فيتمضمضُ ويمجُّ ويستنشقُ فينتثرُ إلا جرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا جرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسلُ يديه إلى المرفقين إلا جرت خطايا يديه من أطراف أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسَه كما أمره الله إلا جرت خطايا رأسه من أطرافِ شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله إلا جرت خطايا رجليه من أطراف أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بالذي هو أهلُه، وفرّغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمُّه**»(٢).

عبادَ الله: ويومكم هذا يومٌ عظيم يكفر الله به الخطايا لمن تطهر وأتى

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٥/ ١٦٦). (٢) م٢/ ٢٠٨-٢١٠.

المسجدَ، وأنصت للخطبة، يقول ﷺ: «**ما من رجل يتطهر يوم الجمعة كما أُمر، ثم يخرجُ من بيته حتى يأتي الجمعة وينصت حتى تقضى صلاته إلا كان كفارةً لما قبله من الجمعة**»(١).

يا عبدَ الله: ويرشدك المصطفى ﷺ إلى طريق من طرق مغفرة الذنب فيقول: «**ما من عبدٍ يذنب ذنبًا، فيتوضأُ فيحسنُ الطُّهور، ثم يقومُ فيصلي ركعتين، ثم يستغفرُ الله لذلك الذنب إلا غفرَ الله له**» رواه أحمد وغيرهُ بإسناد صحيح(٢).

أيها المسلمون: وطرقُ الخير لا تنتهي، وكفاراتُ الذنوب أكثرُ من أن تحصر، وصلاةُ الضحى واحدةٌ من المكفرات، وفي الحديث: «**من قعد في مصلاه حين ينصرفُ عن صلاة الصبح حتى يُصلي ركعتي الضحى لا يقول إلا خيرًا، غُفرت له خطاياه وإن كانت مِثْلَ زبد البحر**». رواه أحمد وأبو داود، وأبو يعلى بسند صحيح(٣).

وصلاةُ الليل كذلك مكفرةٌ للسيئات، وفي الحديث: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأبُ الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاةٌ عن الإثم، ومطردة للداءِ عن الجسد**». رواه الترمذي وابنُ أبي الدنيا وابنُ خزيمة والحاكم وصححه(٤).

والطوافُ بالبيت في عداد المكفرات، وفي الحديث الذي أخرجه الترمذيُّ والنسائي والحاكم بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال ﷺ: «**من طاف بهذا البيت أسبوعًا فأحصاه، كان كعتق رقبة، لا يضعُ قدمًا ولا يرفعُ أخرى، إلا حطَّ الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة**»(٥).

---

(١) رواه النسائي، وصححه الألباني، «صحيح الجامع» (٥/ ١٦٤).
(٢) «صحيح الجامع» (٥/ ١٧٣). (٣) «كفارات الخطايا» ٧٨.
(٤) السابق: ٧٩.
(٥) «صحيح الجامع الصغير» (٥/ ٣٢٠)، ح: ٦٢٥٦.

إخوة الإسلام: تلك إشارات إلى بعض المكفرات للخطايا يمكن إجمالهن في أكثر من خمسة عشر مكفرًا: الحج، والصلاة المفروضة، والنافلة، والصوم، والوضوء، والسلامُ، وحمدُ الله عند أكل الطعام أو لبس الثوب، والصلاةُ على الرسول ﷺ، والذكرُ، والأمراضُ والمصائبُ، والهمُّ والحزن، وعيادةُ المريض، والتطهُر والإنصاتُ للجمعة وصلاة الليل، والطواف بالبيت وإدخال السرور على المسلم، وإن كان هناك أمورٌ غيرها استوقفت العلماء السابقين واللاحقين فألّفوا في مكفرات الخطايا والذنوب، من أمثال المروزي، والمنذري، والأوزاعي وابن حجر العسقلاني، ومن المتأخرين، حامد أحمد، محمد حسين العقبي، لكنني أقف في نهايتها مذكرًا بأمرين:

أحدهما: أن يحرصَ المسلم على تجنب أسباب عدم المغفرة كالإشراك بالله، والشحناء بين المسلمين، والسّحر، فاللهُ تعالى: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

ويقول ﷺ عن الشحناء ما أخرجه مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تُعرض أعمالُ الناسِ في كلِّ جمعةٍ مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبدٍ مؤمنٍ إلا عبدًا بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين حتى يفيئا - أي يرجعا عن شحنائهما - فيغفر لهما**».

وهؤلاء الثلاثة المعوقات عن المغفرة يشملهن حديث: «**ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فإن الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء، من مات لا يشرك بالله شيئًا، ولم يكن ساحرًا يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه**»[2]، يضاف إليهن الكبائرُ بشكل عام، فتركهن كفارات للسيئات، كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) أخرجه الطبراني بسند حسن - «مكفرات الخطايا» ١١٦ ح/ ٣٧٠.

كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[(١)].

أما الأمرُ الثاني فهو الحذرُ من شؤمِ المعصية، وعدم الاستهانةِ بالسيئة مهما صغرت، يقول ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب - كقوم نزلوا في بطنِ وادٍ فجاء (ذا) بعودٍ، وجاء (ذا) بعودٍ حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقراتِ الذنوب متى يُؤخذُ بها صاحبُها تُهلكه**»[(٢)].

ومن هذا المعنى حذر الشاعرُ من الذنوب صغيرها وكبيرها فقال:

خلِّ الذنوبَ صغيرَها وكبيرَها ذاكَ التقى
واصنع كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرةً إن الجبالَ من الحصى[(٣)]

وإذا ابتليت بالذنب فبادر بالتوبة والاستغفار، وما تعظمت الذنوب إلا بسبب الغفلة وعدم التوبة والندم. قال كعبٌ: إن العبد ليذنب الذنبَ الصغيرَ ولا يندم عليه ولا يستغفرُ منه، فيعظمُ عند الله حتى يكون مثلَ الطور، ويعملُ الذنب العظيم فيندم عليه ويستغفرُ منه فيصغرُ عند الله ﷻ حتى يغفر له[(٤)].

قال الفضيل رحمه الله: بقدرِ ما يصغر الذنبُ عندك كذا يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك كذا يصغر عند الله[(٥)].

يا عبدَ الله: وإياك والمجاهرة بالمعصية - إذا سترك الله، والرسولُ ﷺ يقول: «**كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرون**». متفق عليه.

يا أخا الإيمان: سائل نفسك أولًا عن ممارسة هذه المكفرات، ثم سائل

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.
(٢) أخرجه أحمد وحسَّنه ابنُ حجر - «الفتح» (١١/ ٣٢٩).
(٣) «شؤم المعصية» الدويش: ١٧.
(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» ٧١٥١.
(٥) السابق ٧١٥٢ عن شؤم المعصية: ١٧.

نفسك ثانيًا عن بعدك عن مقومات المغفرة، ثم استيقن أن فضلَ الله عليك عظيم، وأن فرص الخير لا تقف في زمان أو عند نوع من الأعمال، والموفَّقُ من وفَّقه الله، اللهم لا تحرمنا فضلك. ولا تصدنا عن سبيلك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، واجعل أعمالنا صائبةً ولوجهك خالصة يا رب العالمين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا.



عناصر القوة للمسلم(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله جلَّ في علاه، له الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العلى، هو الأول والآخرُ والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدور، ما من دابةٍ في الأرض إلا هو آخذٌ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله وخيرتُه من خلقه، اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن أصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾(٢).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣).

أيها المسلمون: هناك حقيقة يؤكدها القرآنُ الكريم في أكثر من موضع، ويشهد بها واقعُ الناسِ في كل زمان ومكان، ألا وهي: كثرةُ الخبيث في الأرض، وزيادة أعداد المفسدين، وندرةُ الإيمان، وقلةُ المؤمنين.

يقول تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾(٤) ويقول جلّ ذكره: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٥)، ويقول:

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٨/٨/١٤١٩هـ.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٣].

قال عليه الصلاة والسلام حين سُئِلَ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**». وفي الحديث الآخر: «**لا تقوم الساعةُ حتى يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر**» متفق عليه.

وعن الزبير بن عدي قال: أتينا أنسًا فشكونا إليه ما نلقى من الحجَّاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ، رواه البخاري.

هذه الكثرةُ للفسادِ والمبطلين، والقلةُ لأهل الصلاح والتقوى واليقين لحكمة يعلمها الله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٤].

والغفلةُ عن حكمة الله وتقديره في هذا الكون، قد تضعف معها بعضُ النفوس أحيانًا، وقد ينظرُ المرءُ أحيانًا إلى الفسادِ يسري في الأرض سريان النار في الهشيم، وإلى المفسدين تُتاح لهم من الفرص ما لا تُتاح للخيرين... هنا ربما وهن عزمُ المسلمِ أو ساورته بعض الشكوك في طريقه إلى الله، ولربما أساء الظنَّ بربه، أو قلل الأدبَ مع خالقه، فقال بلسان حالهِ أو مقاله: ولماذا يُمَكَّنُ المفسدون؟ وكيف تكون الغلبةُ للكافرين، والذلةُ والتشرذمُ من نصيب المسلمين؟ والله لا يُسألُ عما يفعل وهم يسألون. ولو فتَّش في نفسه وفي

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٠.
(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٤) سورة يونس، الآية: ٩٩.

حال إخوانه لوجد من الضعف وعدم الجدية في حمل هذا الدين، ما سبب هذا الواقع المهين، ولا يظلم ربك أحدًا، ولا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والمهمُّ أن نتعرف على الأسباب التي تجعلُ من الضعيف قويًا، ومن القلةِ ذاتِ أثرٍ فاعل، وإن شئت فقل: ما هي عناصرُ القوةِ للمسلم؟

إن أول عناصر القوة: الإيمانُ الحقُّ بالله، وذلك الإيمانُ يربي النفوس على عدم الخوف من أحدٍ مهما كان، إلا الله الواحد القهار: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

لقد تحدى السحرةُ بهذا الإيمان فرعون: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[2]، وبالإيمان صرّح الرجلُ الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ويحث على اتباع المرسلين: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[3]، وكذلك استعلى بالإيمان أصحاب الأخدود ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[4]، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

العنصرُ الثاني: صدقُ التوكل على الله، فمنه يُستجلبُ النصرُ، وبه يُدفع الضرُّ، ومع التوكل عليه وحده يبطل كلُّ كيد ويعيش المتوكلُ قرير العين، متحديًا كلَّ أحد.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٧٢، ٧٣.

(٣) سورة يس، الآيات: ٢٥-٢٧.

(٤) سورة البروج، الآية: ٨.

وهاك نموذجين لآثار التوكل على الله، قصَّ الله علينا خبرهما عن نوح وهود عليهما السلام، فقال عن الأول: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[١]، فهو لا يبالي بهم ولا بقوتهم وكيدهم، ولا يخاف معرَّتهم، وإن كانوا أشداء أقوياء، ما دام متوكلًا على الله، آويًا إلى ركنه.

وفي النموذج الثاني قال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢]، إنه بالتوكل على الله يتحداهم أجمعين ودون تأخير، ويقول: فكيف أخاف مَنْ ناصيتهُ بيد غيره، وهو في قهره وقبضته؟

عباد الله: إن الإيمانَ الحق يستلزم التوكلَ على الله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[٣].

جاء في الأثر: «من أحبَّ أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحبَّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق بما في يديه، ومن أحبَّ أن يكون أكرمَ الناسِ فليتق الله»[٤].

أما العنصرُ الثالثُ من عناصر قوةِ المؤمن فهو تفويضُ الأمر لله بعد عمل

---

(١) سورة يونس، الآية: ٧١.
(٢) سورة هود، الآيات: ٥٤-٥٦.
(٣) سورة يونس، الآية: ٨٤.
(٤) ساقه ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ سورة الزمر، الآية: ٣٨.

الأسباب الممكنة شرعًا، ولا بد لمن فوض أمره إلى الله أن يهديه ويقيه، ودونكم تفويض مؤمن آل فرعون ونتائجه وهو القائل: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾(١).

أيها المسلمون: ويكتسب المؤمن قوةً وحمايةً وأمنًا من خلال دفاع الله عنه ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(٢).

وهذا هو العنصر الرابعُ من عناصر القوة... ومن يستطيعُ إلحاق الضرر والأذى بمن يتولى الله الدفاع عنه، كلما أجلب الناس عليه...؟!

وكفاية الله لعبده المؤمن عنصرٌ خامسٌ من عناصر قوته، وإن خُوِّف بمن دونه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾(٣).

ولا تستطيعُ قوةٌ من البشر -مهما بلغت- أن تُلحق بعبدٍ ضررًا لم يكتبه اللهُ عليه: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**».

بل يجعل الله تعالى من نفسه محاربًا لمن عادى وليَّه المؤمن: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»، وهل يقوى على حرب الله أحدٌ؟

ومما يقوي المؤمنَ ضعفُ سلطانِ الشيطان عليه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٤، ٤٥. (٢) سورة الحج: الآية: ٣٨.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾[١]. ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[٢].

ومحبة الخلق للمؤمن رصيد يسليه ويقويه ويؤنسه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا﴾[٣].

وصبرُه على الضراءِ، وشكرُه على السراء، فوق ما فيه من تقويته فهو يفوّت الفرصةَ على كل من أراد بالمؤمن سوءًا أو فتنة، وهذا الصنفُ لا تتعلق نفسُه بعطاء الدنيا، ولا تضجر للبلاء: «**عجبًا لأمر المسلم إن أمره كلَّه خير، إن أصابته سراءُ فشكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن**».

وما أجمل قول القائل:

صبرًا جميلًا ما أسرع الفرجا   مَنْ صدق اللهَ في الأمور نجا
من خشي اللهَ لم ينلْه أذى   ومن رجا اللهَ كان حيث رجا[٤]

وأبلغ من ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾[٥] ولن يغلب عسرٌ يسرين، كما قال العلماء.

اللهم اجعلنا من الصابرين، ومن أهل الإيمان واليقين، أقول ما تسمعون.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.
(٣) سورة مريم، الآية: ٩٦.
(٤) «تهذيب السير» (٢/ ٩٢٥).
(٥) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه إمام المتقين وسيدُ ولد آدم أجمعين، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

عبادَ الله: ومن عناصر قوة المؤمن وأسلحته التي يحتمي بها الدعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[(١)].

والله تعالى هو المدعو عند الشدائد، والمرجو عند النوازل: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[(٢)]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[(٣)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» عنده آية النمل هذه عن وهبِ بنِ منبه قال: قرأتُ في الكتاب الأول أن الله تعالى يقول: بعزتي إنه من اعتصم بي فإن كادته السماواتُ بمن فيهن، والأرضُ بمن فيهن، فإني أجعلُ له من بين ذلك مخرجًا، ومن لم يعتصم بي فإني أخسفُ به من تحت قدميه الأرضَ، فأجعلُه في الهواء فأكلُه إلى نفسه.

كما نقل عن الحافظ ابن عساكر الحكايةَ التالية عن رجلٍ قال: كنتُ أكاري على بغلٍ لي من دمشق إلى بلد الزبداني، فركب معي ذاتَ مرةٍ رجلٌ، فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة، فقال لي: خذ في هذه فإنها أقرب، فقلتُ: لا خبرةَ لي فيها، فقال: بل هي أقرب، فسلكناها، فانتهينا إلى مكان

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.

وعرٍ، ووادٍ عميق، وفيه قتلى كثيرة، فقال لي: امسك رأس البغل حتى أنزل، فنزل وتشمر، وجمع عليه ثيابه وسلَّ سكينًا معه وقصدني، ففررت من بين يديه فتبعني، فناشدته الله وقلتُ: خذ البغل بما عليه، فقال: هو لي، وإنما أريدُ قتلك، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل، فاستسلمتُ بين يديه وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال: عجِّل، فقمت أصلي، فارتج عليَّ القرآنُ، فلم يحضرني منه حرفٌ واحد، فبقيت واقفًا متحيرًا وهو يقول: هيه، افرغ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[(١)] فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربةٌ، فرمى بها الرجلَ فما أخطأت فؤادَه، فخرَّ صريعًا، فتعلقتُ بالفارس وقلت: بالله من أنت؟ فقال: أنا رسولُ الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، قال: فأخذت البغلَ والحملَ ورجعتُ سالمًا[(٢)].

أيها المسلمون: وكذلك الله يكفي ويشفي ويجيب المضطرَّ إذا دعاه ويكشف السوء، وهو خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين، ومن تعرَّف على الله في الرخاء عرفه في الشدائد والمحن، وقد يغتر الجاهل بقوته، أو يتمادى في جوره وطغيانه حيث أمهله الله، فإذا به يأخذه على حين غرّة، ومن حيث لا يحتسب، ومن نماذج السوء فرعون، فحين بلغ به الطغيان قال: أنا ربُّكم الأعلى، ونادى في قومه قال: يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون، وسخر بموسى ومن معه من المؤمنين فأخذه الله نكالَ الآخرة والأولى، وجعله عبرة للمعتبرين، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾[(٣)].

(١) سورة النمل، الآية: ٦٢.
(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٩٢).
(٣) سورة الزخرف، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

وكذلك قارون الذي ناءت بحمل مفاتيح كنوزه أولو العصبة من أصحاب القوة... وقال متطاولًا مستكبرًا: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[1] فكانت النتيجة: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾[2].

إن الضعيف يقوى إذا احتمى بالله وركن إليه، وأن القويَ يضعف وتهن قواه إذا تجبر وطغى.

وينبغي أن يُقدر المسلمون أن صلتهم بالله مصدرُ قوتهم وعزتهم، وأن بداية سقوطهم ضعفُ صلتهم بالله وتنكُّرُهم لشرعه، واعتمادُهم وتوكلُهم على غيره.

يا أخا الإسلام: وإياك إياك أن تستوحش من سلوك طريق الخير لقلة السالكين، أو تغترّ بسلوك طريق الشرِّ لكثرةِ الهالكين، فأنت سترد على الله فردًا، وإذا كان لا يغني في موقف العرض الأكبرِ الاعتذارُ بتقليد الآباء والأجداد... فكيف يغني اعتذارُك بتقليد من سواهم!!

إن مما يُسلي المؤمن ويسري عنه أنَّ غربة اليوم والثبات على الحق عاقبتُها جناتُ المأوى، كذا أخبر المصطفى: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**» أتدري من هؤلاء الغرباء؟ الذين يصلحون إذا فسد الناس، وفي رواية: «**يصلحون ما أفسد الناس**» فأصلح نفسك إذا فسد الزمان وساهم في إصلاح غيرك، فلأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم.

اللهم أصلحنا، وأصلح بنا، اللهم احفظنا واحفظ لنا، اللهم ارزقنا الاستقامة على دينك، والعمل بسنة نبيك... واجعلنا ممن يرد حوضه، وينال شفاعته، ولا تجعلنا ممن يُذاد عنه وعنهم، يقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٨.
(٢) سورة القصص، الآية: ٨١.

المعركة المتجددة(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله خلق الخلق لحكمةٍ جليلةٍ، وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاط بكل شيءٍ علمًا، وجعل لكل شيءٍ قدرًا، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، بلّغ وأرشد، وحذَّر وأنذر، ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها... اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣).

عبادَ الله: من طبائع الأمور أن يستعد المرءُ لعدوِّه المحارب له بكل وسيلةٍ ممكنة، ويَحْذَرَه على نفسه ومن تحت يده، ويودُّ لو استطاع دفعه عن إخوانه المسلمين، حتى ولو كلفه ذلك من جهده وماله ووقته، ويسعدُ إذا انتهك المعركةُ لصالحِهِ وضد عدوِّه، لكن ما رأيكُم في معركةٍ، بل معارك يدور رحاها في كلّ يوم، بل وفي كل لحظةٍ، والعدوُّ فيها يتسلل إلى قلب الديار فيفسدُها، بل إلى أعماق البيوت فيحدث الخللَ فيها، بل يصيرُ إلى قلوب العباد، فيعكر صفوها ويضعف إيمانها. وربما قطع صلتها بخالقها.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١/ ١٢/ ١٤٢١هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢. (٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

والعدوُّ هنا يتسلل على مرأى منا، ويُفسد حين يُفسد بمحضِ رغبتنا وغلَبةِ شهواتنا وأهوائنا، وتلك من أعظم المصائب وأقسى المعارك.

نعم إن معركتنا مع الشيطان معركةٌ دائمةٌ متجددةٌ يتخذ فيها الشيطانُ كلَّ أنواع السلاح، ويحيط بالمرء من كافة الجهات، ويراوغه ويمنِّيه بكافةِ أنواع المغريات: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[1]، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[2].

أيها المسلمون: ويملك الشيطانُ في معركته مع بني الإنسان عددًا من الجنود يستخدمهم في المعركة، وتختلط خيالتُهم بالرجَّالة، وهو حريصٌ على مشاركتهم في الأموال والأولاد لإفسادهم.

والشيطان يستنزلُ ويستفزُّ بصوته الداعي إلى المعصية كلَّ من استطاع وخدع، يقول تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[3].

إنها معركةٌ صاخبةٌ تُستخدم فيها الأصواتُ والخيلُ والرجل على طريقة المعارك والمبارزات، يُرسل فيها الصوتُ، فيُزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة، أو يستدرجهم للفخِّ المنصوب والمكيدة المدبرة، فإذا استدرجهم إلى العراء أخذتهم الخيلُ وأحاطت بهم الرجال، لكن هذه المعركة - مع شدتها - تهون على أهلِ الإيمان وعبادِ الله الصالحين، الذين يعرفون كيده، ولا يستجيبون لندائه وأصواته، ولا ينخدعون بوعوده، أولئك الذين

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦، ١٧. (٢) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

استثنى الله بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[١].

إخوة الإيمان: وتجدون راية الشيطان منصوبةً في كل مكان.

يا صاحب المال: ستجد رايةَ الشيطان منصوبةً، وإن لم تبصرْها، في كل مالٍ جمعته من حرام، أو أنفقته في الحرام، أو منعت الإنفاق الواجب منه في الحلال؟ فانظر في مالك من أين جمعته وفيما تنفقه؟

أيها الشابُّ والشابة: وتنصب رايةُ الشيطان وإن لم تروها حين يستزلكم الشيطانُ بقضاءِ الشهوةِ المحرمة في الزنا أو اللواط. أو مقدماتهما - فاحذروا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

أيتها المرأة المسلمة: وتنصب رايةُ الشيطان حين يستشرفك الشيطانُ بالخروج متزينةً متعطرةً فتفتنين عبادَ الله، ويقع بسببك من البلاء والفسادِ ما يُغضب الرحمن، ويطربُ له الشيطان، فاتقي الله يا أمة الله، ولا تجعلي للشيطان سبيلًا عليك وعلى المؤمنين.

وإذا كانت وسوسته تُلازم المسلم وهو في أشرف البقاعِ حين يقوم للصلاة... فلا تسأل عن وسوسته وغروره وأمانيه خارج المسجد وخارج الصلاة.

يا أيها المسلمُ والمسلمة: وكلما حصل منك فتورٌ عن العبادةِ أو تراخٍ عن أداء الواجبات وتساهل في اقتحام المحرمات، فاعلم أن الشيطان حاضرٌ فاستعذْ بالله منه تجدْ من الله عونًا «وكفى بربك وكيلًا»، وكلما ضَعُفَتْ نفسك أمام الشهوة المحرمة، كالزنا واللواط، والغناء، وشرب المسكرات وتناول المخدرات أو نحوها من المآثم... فاعلم أنك مغلوبٌ في المعركةِ مع

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

الشيطان. وكلما غلبتك عينُك على النظرة المحرمة، أو خانتك أذُنكَ على السماع المحرم، أو مشت بك رجلُك إلى الحرام، أو امتدت يدُك إليها فاعلم أنك ضعفت في المقاومة أمام جند الشيطان. . . وسينقلونك إلى معركةٍ أخرى، وستقع في النهاية ضحيةً لمكرِ الشيطان وتلاعبه.

يا أيها الإنسانُ ما غرك بربك الكريم. . . أترضى بغرور الشيطان، وتستلمُ لعدوك، وقد أخرج أبويك من الجنةِ، وأهبطهما إلى الأرض حين استزلهما وأخرجهما مما كانا فيه؟ ولا يغرنك بنصحِه فقد قاسم أبويك وهو كذوب: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1] فكانت النتيجة ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[2] وما أشدَّ حسرتك حين يوقعك ثم يعود لك لائمًا مُتبرئًا: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

وفي تاريخ البشرية كلِّها قديمها وحاضرها، لم يُرفع سلاحٌ بغير حق إلا وكان للشيطان فيه نصيبُ الإغواء، ولم يقع خلافٌ بين ابنٍ وأبويه، أو زوجٍ وزوجته أو أخ لأخيه. . . إلا وكان الشيطانُ حاضرًا مُغْويًا، ولم يكن ثمةَ انحرافٌ في الفكر والمعتقد، أو خللٌ في السلوك وتساقطٌ في الأخلاق، وانهيارٌ في القيم إلا وكان للشيطانِ فيها خطواتٌ مُستدرِجة ثم موقعة، ثمَّ تعقبها الحسرةُ والندامة.

أفلا يفكرُ العقلاءُ بالنتائج المُرَّةِ لطاعةِ الشيطان، إنْ في الدنيا بالخزي والذلِّ والندامة وشؤم المعصية، أو في الآخرةِ حيثُ الإقامةُ الدائمةُ والعذابُ المهين، والحسرة والندامةُ، لقد قرع الأسماعَ تحذيرُ اللطيف الخبير من مكر الشيطان وغدره، ونودي بنو آدم من السماء نداءً صادقًا: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

ولا يزالون يذكّرون العهدَ بعداوة الشيطان وأثره في إغواء البشرية ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[1].

عباد الله: لا بد من الحذرِ من مكرِ الشيطان، ولا بد من الاستعداد لهذه المعركةِ التي لا يخبو أوارُها، ولا يُسَلِّمُ أو ييأسُ محركُها... إن الشيطان يحضر غداءكم وعشاءكم، ويقتحم عليكم بيوتكم وفرشكم، وهو معكم في حين خلوتكم أو اجتماعكم، وفي حال فقركم أو غناكم، مع الذكر والأنثى والصغير والكبير... معكم ما دامت أرواحكم في أجسادكم، وما برحت الدماءُ تسري في عروقكم، وكفى بحديث المصطفى ﷺ دقةً وتبيانًا لحضور الشيطان، حين يقول: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» متفق عليه[2].

إنها البليةُ العظمى والفتنة المستشرية، والمعركةُ المتجددةُ، ولكن الله جعل لنا مخرجًا، ويكفي أن يستأنس المؤمنون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[3]، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[4]، ويعترف الشيطان بعجزه عن إغواء المخلصين: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[5].

فالله الله أن يتلاعب الشيطانُ بأحدِكم كما يتلاعب الغلمانُ بالكرة، وإياكم أن تخسروا كلَّ أو معظم المعارك مع الشيطان حتى إذا وردتم على الله محمَّلين بالخطايا والآثام أخلفكم وعده، وصدقكم وهو الكذوبُ قال الله على لسانه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ

---

(١) سورة يس، الآيات: ٦٠-٦٢.

(٢) انظر «صحيح الجامع» (٢/ ٧٥).

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٥) سورة ص، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

هناك ما أعظم الحسرة والندامة، ولكن هيهات فقد فات الأوان...

اللهم انفعنا بالقرآن، واكفنا شرَّ إغواءِ الشيطان، ولا تجعل له علينا سبيلًا، وأعذنا من مكرِه وشرِّه، أقول ما تسمعون.



(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

الخطبة الثانية:

الحمد لله خالق الخلق أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقضي بالحق ويحكم بالعدل، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، وأشهد أن محمدًا عبدُه كان له قرينٌ من الجن فأسلم... اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين.

أيها المسلمون: وقد يسأل سائل ويقول: ما هي السبلُ والوسائلُ التي يُبطل بها كيدُ الشيطان، وما نوعُ الأسلحة التي يُهزم بها الشيطانُ وجنده؟

وهنا أعرضُ مذكرًا بعشر وسائل - أو تزيد - للوقاية من كيد الشيطان ومكره، فمنها:

١- الاستعاذة بالله من الشيطان، والتوكلُ على الله، يقول خالقُنا وخالقُ الشيطان: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[٢]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ② إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ④ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ⑤ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[٣].

ويقول جلّ ذكره: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٤].

حُكي عن بعضِ السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: هذا يطول عليك، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبُها ومنعكَ من العبور، ما تصنع؟ قال: أكابده وأردّه جهدي قال: هذا يطول عليك، ولكن

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٦.
(٢) سورة المؤمنون، الآية ٩٧.
(٣) سورة الناس، الآيات: ١-٦.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.

استغِث بصاحب الغنم يكفُّه عنك[١].

٢- ومن الأسلحة الواقية من كيد الشيطان وجنده قراءةُ القرآن وتدبُّره ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[٢]، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[٣]، قيل: ليس شيءٌ أطرد للشيطان من القلبِ من قول: لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن... وذلك طاردٌ للمشركين وقيل: للشياطين[٤].

وإذا كانت تلاوةُ القرآنِ - عمومًا - مُبعدةً للشياطين، فثمةَ سورٌ، أو آياتٌ معينة جاء النصُّ عليها أن تحفظُ من الشيطان، فـ(المعوذات) ما استعاذ متعوذٌ بمثلهما، وحريٌّ بالمؤمن أن يقرأهما في الصباح والمساء.

وآيةُ الكرسي حين يقرأها المسلمُ في فراشه، فلن يزال عليه من الله حافظٌ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

والآيتان الأخيرتان من سورة البقرة، لا يقرآن في دارٍ ثلاث ليالٍ فيقربها الشيطان[٥].

٣- والذكرُ يا عبادَ الله حصنٌ منيعٌ من الشيطان، وما يزال المرءُ يذكر الله حتى يطمئن قلبُه، وتندفع عنه وساوسُ الشيطان، وصدق الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٦].

٤- والاستغفار والتوبة من أمضى الأسلحة لمكافحة الشيطان وقد قال:

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٣٤٨).
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٦.
(٤) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٧١).
(٥) «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ١٢٣) وهكذا.
(٦) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

وعزتِك يا ربِّ لا أبرحُ أغوي عبادَك ما دامت أرواحُهم في أجسادهم، وقال الربُّ ووعدُه حق: وعزتي وجلالي لا أزالُ أغفرُ لهم ما استغفروني.

وقال الشيطانُ: أحرقتُ بني آدم بالمعاصي فأحرقوني بالاستغفار.

والتوبةُ سبيلٌ لإغاظةِ الشيطانِ ومراغمتهِ، وما يزال العبدُ يُراغم الشيطان بالتوبة والإنابة حتى يحصلَ على محبةِ الله ورضوانه، بل وتُستبدل سيئاتُه حسنات... وذلك أكبرُ مغيظٍ للشيطان، وبالجملة فشأنُ المسلم اللبيب - كلما أحدث ذنبًا أحدث لله توبةً وعملًا صالحًا، ففي ذلك مراغمةٌ للشيطان وردٌّ لكيده، وقد جاء عن بعض السلف أنه قال: «إن المؤمن لينضي شيطانه كما يُنضي أحدُكم بعيره»(١).

٥- وحُسن الخُلق - بشكل عام - جالبٌ للمودة، دافعٌ لنزغات الشيطان... وسوءُ الخلق داعٍ للرذيلة... وطريقٌ لدخول الشيطان... أرأيت كيف يصنع الأحمقُ الغضبان من المآثم... وما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه.

وإذا كان القولُ الحسنُ من جملة الأخلاق الفاضلة، فتأمل أثر نقيضه من فحشِ القول في نزغ الشيطان، يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(٢).

٦- عباد الله: والمحافظون على الصلوات أبعدُ من غيرهم عن كيد الشيطان، فالصلاةُ تنهى عن الفحشاء والمنكر، والشيطانُ إذا سمع الأذان أدبر وله ضراط - وفي الصلاة من الذكر والخشوعِ والتلاوة والعبودية لله ما يُسهم في حماية العبد بإذن الله من مكر الشيطان وكيده.

٧- ومن الأسلحة المكافحة للشيطان أن تعوِّدَ نفسَك كلما عملت سيئةً أن

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٩٥).
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٥.

تبادرَ بعملِ حسنةٍ أو حسناتٍ بعدها، فتلك تمحوها وتراغم الشيطان، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(١)، ومن مشكاة النبوة: «**وأتبعِ السيئة الحسنة تمحُها**».

٨- ومن الأسلحة كذلك أن تحزن للسيئة -إذا بُليت بها- ولا تُعجب بالحسنةِ -إذا وفقك الله لها- وإن فرحت بها، فقد تقودك السيئةُ -مع الحزن على فعلها والندم على مقارفتها- إلى فعل حسناتٍ كثيرة، وتوجِدَ عندك من الذلّ والعبودية والانكسار لله ما يجلب حسناتٍ كثيرةً - تفوق بآثارها هذه السيئة - وفي المقابل قد تقودك هذه الحسنةُ التي أعجبت بها إلى العُجب والكبر والمنة على الله وتزكية النفس... فتحمل بسببها من السيئات ما يُهلكك. ومن مأثور كلام السلف: «قد يعمل العبدُ الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الطاعة فيدخل بها النار»(٢).

٩- أيها المسلم والمسلمة: وحصِّن نفسك عن مكرِ الشيطان بتزكيتها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾(٣)، ومن أقوى وسائل تزكيتها: غضُّ البصرِ، وحفظُ الفروج، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾(٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: فجعل سبحانه - غضَّ البصر، وحفظ الفرج هو أقوى تزكية للنفوس(٥).

١٠- والدعاءُ سلاحٌ به يتقي المسلمون كيدَ الشيطان وحضورَهُ، وقد أوحي

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٠٧، ٣٠٨).
(٣) سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠.
(٤) سورة النور، الآية: ٣٠.
(٥) «العبودية» ١٠٠.

للنبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾(١).

فاستعاذةُ سواهُ باللهِ أولى، واللهُ هو الذي أعطى الشيطانَ القدرة على الإغواء، وهو وحده القادرُ على الحماية والحفظ، فلنرفع إليه أكفَّ الضراعة سائلين، وهو قريبٌ مجيبُ الدعاء.

عباد الله: وثمةَ وسائلُ أخرى وأسلحةٌ واقيةٌ من مكر الشيطان تُذهب أو تُخفف من حدة المعركة معه، كقوةِ العزيمة وتنمية الهمة العالية على فعلِ الخير واجتناب الشر، وعدم الانخداع بأسرِ الشهوةِ الحاضرة، والنظرِ في عواقبها الوخيمة، والتطلع إلى نعيم الآخرة، وعدم الغرورِ بالدنيا، والحرصِ على إصابة السُّنةِ في القول والعمل، والحذرِ من البدعةِ في المعتقد والعمل، إلى غير ذلك من وسائل يمارسها العارفون، ويحتمى بها من الشيطان عبادُ الله المخلصون.

أيها المسلم والمسلمة: وإذا علمت أنك في كل لحظةٍ، بل وفي كل خاطرة في معركة مع الشيطان، فانظر في نتائج المعركةِ معه، ولا يغبْ عن بالك أن المتقين للمعاصي يمسُّهم - أحيانًا - طائفٌ من الشيطان، لكن الفرق بينهم وبين غيرهم أنهم يتذكرون قدرة الله فينتهون ويبصرون، وغيرهم - من إخوان الشيطان - يتمادون في غيهم ولا تقصر الشياطينُ عنهم.

اقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾(٢).

فكُنْ من المُتَّقين، لا من إخوان الشياطين.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧، ٩٨. (٢) سورة النساء، الآية: ١٣١.

بشائر بمستقبل الإسلام[1]

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين، يعلم السرَّ وأخفى، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، إليه المنتهى، وما من دابةٍ في الأرض إلا هو آخذٌ بناصيتها، ويعلم مستقرَّها ومستودَعها، كلٌّ في كتاب مبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، كان واثقًا بربه مطمئنًا إلى نصره، صابرًا على البلاء يصيبه، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أوصي نفسي وإياكم - معاشر المسلمين - بتقوى الله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[2]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[3]، ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[4].

أيها المسلمون: هل يخالجكم شكٌّ في قوة الله وقدرته على نصرةِ دينه وأوليائه؟ وهل ترتابون في ضعف كيد الأعداء مهما بلغت قوتُهم وكثر جمعُهم؟ وهل يتردد مسلمٌ في الاعتقاد بأن العاقبةَ للتقوى والمتقين، والغلبةَ في النهاية للإسلام والمسلمين.

تلك مُسَلّماتٌ لا تقبل الجدل، وأدلتُها في الكتاب العزيز والسنة المطهرة أكثرُ

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٦/ ١/ ١٤٢١هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣١.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

من أن تُحصر. . . وإن كان اللهُ جعل لكل شيءٍ قدرًا، وربط الأمور بأسبابها، وجعل للنصرِ والتمكين شروطًا لا بد من توفرها. . . ولكن هذه الأسباب والشروط ليست ضربًا من المستحيل، ولا فوق طاقات البشر، لكنها محتاجةٌ إلى صدق وإخلاصٍ وجهادٍ ونية، وأنتم اليوم -كما كان أسلافكم من قبل- مُمتحنون على صدق الجهاد لدينه، والولاء لشرعه وللمؤمنين، والبراءة من الشرك وأهله، وقد قيل لمن هو خير منا: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾(١).

عباد الله: ودعونا نستبشر ونبشر بنصر الله، ونقارن بين العسر واليسر، ونُجدد عزائم النفوس، ونطرد بالأمل والبشرى دواعي الألمِ والقنوط ومظاهرَ الإحباط واليأس.

إن الدينَ دينُ الله، والحُرمات حرماتُه، واللهُ أغيرُ على دينه وحرماتِه منا، وهو الذي أنزل الدين، وأرسل الرسل، وتكفّل بإظهار دينه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(٢)، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(٣) ويقول جلّ قائلًا عليمًا ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٤).

ومن قديم الزمنِ وحديثهِ والأعداءُ يتربصون بالمؤمنين الدوائر، ويكيدون لهم، وفي مثل هذا الزمن يبلغ كيدُ الأعداء مبلغًا ربما ظن معه ضعفاءُ الإيمان أن المسلمين لن تقوم لهم بعده قائمة ولن ترتفع لهم راية. . . ولكن العودةَ إلى آيات

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣، والصف، الآية: ٩.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الصف، الآية: ٨.

القرآن تكشف عن مكرٍ قديمٍ للأعداء، وعن إنفاقِ الأموال للصد عن سبيله... ومع ذلك باءت هذه المحاولاتُ بالفشل بالنهاية، وكشف اللهُ عن ضعفِ كيد الأعداء وغلبتهم في النهاية، واقرأ بتمعُّن هذين النموذجين في زمنين مختلفين.

يقول تعالى عن الأول: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال عن النموذج الثاني: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(٢).

عباد الله: وينبغي أن لا يغيب عن بالنا ونحن نقاوم أعداء الإسلام أن هؤلاء الأعداء أعداءٌ لله قبل أن يكونوا أعداءَ لنا، تجدون ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾(٣)، وإنهم يكذبون بآيات الله قبل أن يكذبوا المرسلين، أو يسخروا بالمسلمين، يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(٤)، والله تعالى أغير على دينه وحرماته... ولكنه القدرَ الإلهيَّ بامتحان الناس بالشر والخير فتنة، وبالجملة فمهما بلغ كيدُ الأعداء، فالله موهنُ كيدهم، والله يمهلهم قليلًا ثم يأخذهم، تأملوا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٥)، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٤٨-٥٢.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ١٨.

يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾(١).

أيها المسلمون: وشرطُ التمكين لكم والنصر على أعدائكم الإيمانُ وعملُ الصالحات: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٢).

وإذا تحقق الشرطُ فوعدُ الله حقٌّ، وهو لا يخلف الميعاد ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(٤).

عبادَ الله: ومنذُ نزل على رسولِ الله ﷺ قولُه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾(٥)، ودينُ الله ينتصر، والمسلمون يسيحون في الأرض ينشرون الإسلام، ويبشرون برضوان الله والجنة، حتى بلغ الإسلامُ مبلغًا لم يبلغه أيُّ دين، ودخل في الإسلامِ ما لم يدخل في غيره من الأديان... ولم تتوقف حركةُ المدِّ الإسلامي حتى اليوم - وإن كانت بشكل عامٍ تقوى أو تضعف، حسب قوة المسلمين أو ضعفِهم، ولكن سورة النصرِ -بشكل عام- فيها إشارةٌ إلى أنَّ النصر يستمرُّ للدين ويزدادُ عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره وشكره، كما نقل ذلك أهل التفسير(٦).

---

(١) سورة الطارق: الآيات: ١٥-١٧.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٧١-١٧٣.
(٥) سورة النصر، الآيات: ١-٣.
(٦) السعدي، «تفسير كلام المنان» (٧/ ٦٨٢، ٦٨٣).

أيها المسلمون: ومن آيات القرآن إلى نصوص السنة وبشائرها، إذْ تجدون في هدي الذي لا ينطق عن الهوى وعودًا صادقةً بنصرة الدين، وبلوغه ما بلغ الليل والنهار، وفي حديث تميم الداري ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهار، ولا يتركُ اللهُ بيتَ مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله اللهُ هذا الدين بعزِّ عزيزٍ، أو بذلِّ ذليل، عِزًّا يُعز اللهُ به الإسلام، وذُلًّا يُذلُّ الله به الكفرَ**»، رواه أحمدُ والحاكمُ وغيرهما بسند على شرط مسلم[1].

وتجدون كذلك وعدًا بفتح للمسلمين لم يفتحوه بعد، فقد سُئل رسولُ الله ﷺ: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا: أقسطنطينية أم رُوْمية؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**مدينةُ هرقلَ تُفتح أولًا**، **يعني**: «**القسطنطينية**»[2].

وعلى ذلك فالمسلمون على وعدٍ بفتح روما - وهي واحدةٌ من قلاع النصارى، وحاضرةٌ كبرى من حواضر النصرانية.

أما اليهود فتجدون وعدًا نبويًا آخر صادقًا بوقوع معركة فاصلة مع اليهود، ينتصر فيها المسلمون وتُغلب اليهود، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلُ المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجرُ أو الشجر: يا مسلمُ، يا عبدَ الله، هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**» متفق عليه[3].

أيها المسلمون: وما ترون اليومَ من مللٍ زائغة كاليهودية والنصرانية ونحوها ستنتهي ويبقى الإسلام، وفي آخر الزمان وحين ينزل عيسى ﷺ لا يحكم

---

(١) محمد الدويش «البشائر بنصرة الإسلام» ص١٨.

(٢) رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة، وحسّنه المقدسي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٨)، الدويش «البشائر» ٢٦.

(٣) «صحيح البخاري» (٢٩٢٥، ٢٩٢٦)، و«صحيح مسلم» (٢٩٢١، ٢٩٢٢).

بالنصرانية، وإنما يحكم بالإسلام، فقد أخبر النبيُّ ﷺ، في الحديث الصحيح فقال: «**والله لينزلن ابنُ مريم حكمًا عادلًا فليكسِرنَّ الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعَنَّ الجزية**» رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية أبي داود: «**فيقاتل الناسَ على الإسلام، فيدُقَّ الصليبَ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويُهلك الله في زمانه الملل كلَّها إلا الإسلام**»(١).

فهل يفقه المسلمون مدلولات هذه الأحاديث؟ وهل تزيدهم ثقةً بدينهم، وتدعوهم إلى الدعوة للحق الذي يملكون؟ حتى وإن كان أصحابُه اليوم مستضعفين، وتقلل في أذهانهم من شأن اليهود والنصارى وتلقي في روعهم بطلان عقائدهم وإن كانوا اليوم غالبين.



---

(١) «جامع الأصول» (١٠/ ٣٢٨).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعَد، ووعدُه حق، بنصر رسله والمؤمنين في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾(٢)، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، بَشَّر أمتَه بالسَّناءِ والنصرِ والتمكين فقال: «**بشر هذه الأمة بالسَّناء**(٣) **والنصر والتمكين، ومن عَمِل منهم عملَ الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب**»(٤).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائرِ الأنبياء والمرسلين.

عبادَ الله: نحتاج إلى التذكير بالمبشرات الصادقة، لندفع بها اليأس والإحباط، ونجدد العزائم ونتلمس أسبابَ النصر، ومن رحمة الله بهذه الأمة أن جعل لهم بعد العسرِ يسرًا، وبعد الضيق والشدة، السعةَ والفرج. أجل لقد أوحى اللهُ إلى نبيه ﷺ - فيما أوحى - ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾(٥).

وقد فهم السلفُ معنى الآية واعتقدوه، وقالوا: لن يغلب عُسرٌ يسرين لأن في الآية عُسرًا واحدًا معرفًا، ويسرين منكرين».

وفَهِمَ الخلفُ - كذلك مدلولات الآية - وقال الشيخُ السعدي رحمه الله: في تفسير الآية بشارةٌ عظيمة، إنه كلما وُجد عُسرٌ وصعوبةٌ فإن اليسرَ يقارنه ويصاحبه،

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢١. (٢) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٣) والسَّنا: ارتفاع المنزلة والقدر عند الله تعالى، كما في «النهاية» (٢/ ٤١٤) لابن الأثير.
(٤) أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما بإسناد صحيح «المستدرك» (٤/ ٣١٨)، الدويش: ٢٢.
(٥) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

حتى لو دخل العسرُ جُحرَ ضبٍّ لدخل عليه اليسرُ فأخرجه، كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾(١)، وكما قال النبيُّ ﷺ: «**وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا**» ثم قال الشيخ: وتعريف (العسر) في الآيتين يدل على أنه واحد، وتنكير (اليسر) يدل على تكراره فلن يغلب عُسرٌ يسرين، وفي تعريفه بالألف واللام الدال على الاستغراق والعموم، دلالة على أن كلَّ عسرٍ وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ، فإنه في آخره التيسيرُ ملازمٌ له(٢).

عبادَ الله: وتمثل الشعراءُ بهذه المعاني القرآنية، وسلوا أنفسهم بالفَرَجِ على إثر الشدائد، وقال ابنُ دريدٍ: أنشدني أبو حاتمٍ السجستاني:

إذا اشتملتْ على اليأسِ القلوبُ ... وضاق لما بِه الصدرُ الرحيبُ
وأوطأت المكارهُ واطمأنت ... وأرستْ في أماكِنها الخُطوبُ
ولم تر لانكشافِ الضرِّ وجهًا ... ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ ... يَمنُّ به اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهت ... فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

إخوة الإسلام: ومهما تلاحقت الخطوبُ واشتدت المكاره، وتفنن الأعداءُ في أساليب العداوةِ والبغضاء، فلا يغبْ عن بالكم أن نصرَ الله قريب، وأن كيدَ الشيطان ضعيف، وأن الغلبة في النهاية للحق وأهله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٣).

إن الشدةَ تخفي وراءها فرجًا بإذن الله، والمكروه يحمل الخير القادم بإذن الله، وإن الدلائل والبشائر -من نصوص الكتاب والسنة، ومن واقع الحضارات

(١) سورة الطلاق، الآية: ٧.
(٢) تفسير كلام المنان: ٧/ ٦٤٦.
(٣) سورة الرعد، الآية: ١٧.

المادية المنهارة، والآيلةِ للانهيار، ومن واقع الأمة الإسلامية التي باتت الصحوةُ تسري بين رجالها ونسائها ومثقفيها وعوامها، ومن لم يستطع منهم العمل للإسلام تراه متحسرًا على واقع المسلمين داعيًا على أعدائهم محاولًا إصلاح شأنه على الأقل ومن يعول. ومن واقع الأعداءِ كذلك وتآزرهم لضرب الإسلام وخنق المسلمين، كلُّ هذه وغيرها تقول بلسان الحال: إن الإسلام قادم، وإن الجولة القادمة للمسلمين- إن شاء الله.

فالأيامُ دول، وحركةُ التاريخ لم تتوقف عن التغيير، ولم يحدث أن توقفت النوبةُ عند أمةٍ من الأمم لم تتجاوزها إلى غيرها.

يا أخا الإسلام: جنّد نفسَك لخدمةِ دين الله، وساهم في جهاد أعداءِ الله، واعلم أنك تنفع نفسك، وإلا فالله غني عنك وعن جهادك: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١).

واعلم كذلك أن الله قادر على الانتقام من أعدائه، والانتصارِ عليهم، ولكن ليبلوَ الناس ويُميزَ الصادقين المجاهدين من الكاذبين المتخاذلين ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾(٢).

إخوة الإيمان: وثمة تساؤل يطرحه بعضُ من لا يعلم سُنن الله في الكون ويقول: كيف يكون المستقبل للإسلام والغلبةُ للمسلمين في مثل هذا الزمن الذي اجتمع فيه الأعداء وتغلبوا على المسلمين، بمقدراتهم ومخترعاتهم المادية؟ كيف ينتصر المسلمون وعدوُّهم يملكُ القنابل النووية والأسلحة المتطورة، والمسلمون دون عدوِّهم في وسائل القتال والتقنية بمراحل؟

والجواب أن على المسلمين أن يُعدِّوا أنفسهم بما يستطيعون كما قال تعالى:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦. (٢) سورة محمد، الآية: ٤.

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[(١)]، لكن عليهم أن يدركوا أن النصر لهم في النهاية ليس بقوة المسلمين وجهدهم، وإنما بقوة الله ودفعه كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[(٢)].

والمسلمون، إذا صدقوا، سببٌ لتحقيق قدرِ الله وإرادته في عدوه وعدوهم: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾[(٣)].

وكل ذلك لا يدعو المسلمين للتواكل، ولكنه مشعرٌ لهم أن النصر من عند الله، وهو مُشعرٌ كذلك ألا يهن المسلمون ويضعفوا وهم يرون ما بالأعداء من قوة، فـ«يدُ الله فوق أيديهم»، وأمرُه إذا أراد شيئًا بين الكاف والنون: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[(٤)].

وقد سبق للمسلمين والرسول ﷺ بين ظهرانيهم أن هُزموا وهم كثرة كما في حنين، وانتصروا وهم قلة كما في بدر، وفي واقعنا المعاصر يشهد الناسُ نماذج لانتصار المسلمين وهم قِلة مستضعفون، واندحار المبطلين وهم كثرةٌ مدججون بالسلاح، أفلا يفيقُ المسلمون ويدركون أسباب النصر وجهته، والله يذكرهم بهذا في كتابه ويقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[(٥)]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[(٦)].

تلك معانٍ ورؤىً لا بد أن نستشعرها في حربنا مع أعدائنا، ولا بد أن نعيها حين نريد التمكين في الأرض، ولا بد من الإيمان بها ونحن نستشرف المستقبل للإسلام والغلبةَ للمسلمين إن شاء الله، تحقيقًا لا تعليقًا، ولكن أمدَ ذلك علمُه عند الله، ولكن يقظة المسلمين واجتماع كلمتِهم وصدقِهم وجهادهم. . . كلٌّ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٨٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٤.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٧.
(٤) سورة القمر، الآية: ٥٠.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.
(٦) سورة محمد، الآية: ٧.

ذلك يُعجل النصر . . . ويقرب النهاية للباطل وأهله.

اللهم انصر دينك، واجعلنا من أنصار دينك يا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك من الوهن والوهم، وحبّ الدنيا وكراهية الموت، اللهم اجمع كلمتنا على الحق، وطهر بلادنا من الفساد والمفسدين، واحم حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين، وأصلح أئمتنا وولاة أمرنا والمسلمين، واجعل ولايتنا في من خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.



بين عالميتنا وعولمتهم(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٣)، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٤).

أيها المسلمون: العولمة، والنظامُ العالمي الجديد، مصطلحاتٌ صُدِّرَتْ لنا بمفاهيم فكريةٍ، وأنماطٍ سلوكيةٍ معينة، حددها غيرُنا، وأريدَ لنا أن نلبسَ لبوسَها، ونسيرَ في ركابِ مهندسيها، وقبل أن نتحدث عن هذه العولمةِ الغازيةِ... لا بد من العلم والتأكيد بأننا نحن المسلمين عالميون برسالتنا وتعاليم ديننا، وببعثةِ النبيِّ العالمي الخاتم إلينا... وإن قَصُرت هممنا، أو قعدت بنا سلوكياتُنا عن إطار العالميةِ الإسلامية المنشودة.

أجل إن كتابنا ذكرٌ للعالمين: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٥)، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾(٦)، ونبينا محمدٌ ﷺ رحمةٌ للعالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٥/ ١٢/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، ورسالتُه للناس كافة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٢].

وفي إطار تعاليم ديننا تتحقق الأخوة للأسود والأحمر، والغني والفقير، والرئيس والمرؤوس، والذكر والأنثى، والصغير والكبير... ولكن بشرط الإيمان الحق: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣].

بل وفي ظل مفاهيم الإيمان والإسلام نتجاوز القرون، وتتشكل عالميتُنا عبر الأمم السابقةِ واللاحقة ويجمعنا ربُّنا بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[٤]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[٥].

أجل، إننا معاشرَ المسلمين، كُنا -يوم أن كنا نموذجًا حقًا لإسلامنا- روادَ منهج عالمي فائق، واليومَ بمقدورنا إذا عُدنا لأصالتنا أن نكون كذلك، فلئن غاب الرواد فما زال المنهجُ حاضرًا... ولئن غفونا فترةً فبإمكاننا أن نستيقظ على هجمات الغُزاةِ المتسللين.

عبادَ الله: وما من دينٍ على وجه الأرض اليوم يستطيع أن يستوعب البشرية، ويحققَ لها العدلَ والرقي والأمن والسلام... سوى ديننا دين الإسلام. وإذا ما لاح في الأفق قياداتٌ فاجرة، أو مِللٌ ونحلٌ فاسدة، أو أيديلوجيات غريبة... فليس العيبُ في الإسلام حين يغيب عن معترك الحياة، أو يُغيَّبُ عن التوجيه والقيادة، وإنما العيبُ في المنتسبين للإسلام.

لقد سعدت البشريةُ بالإسلام حينًا من الدهر، وأحسَّ غيرُ المسلمين بعدالة الإسلام، واعترف النصارى بخيريةِ عمامةِ المسلمين على تاج البابوية، وقالها

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٠.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

الزعيمُ الديني البيزنطي في القسطنطينية لوكاس ناتوراس صريحةً حين أعلن: إنه خيرٌ لنا أن نرى العِمامةَ في مدينتنا القسطنطينية من أن نرى فيها تاج البابوية[١]، ويعترف المؤرخُ البريطاني توينبي وهو غيرُ مسلم بحسن سياسةِ العثمانيين وعدلهم في أوروبا، وكون الدولة العثمانية أصبحت ملاذًا للهاربين من الاضطهاد الديني في إسبانيا وأوروبا، ويقول: إنها لأول مرةٍ في التاريخ استطاعت أن تتوحدَ الكنيسةُ الأرثوذكسيةُ في ظل هذه الدولةِ التي كانت إستراتيجيتُها وحِّد واحكم، بينما كانت الإستراتيجيةُ الاستعمارية تتبنى مبدأ (فرِّق تسد)[٢].

فإذا كان هذا التوحيدُ بين غير المسلمين، فلا تسأل عن توحيد المسلمين، وإذا كان هذا نموذجَ الدولةِ العثمانية فلا تسأل عن دولِ الإسلام السابقة، ولا سيما في خير القرون... وردد مع الشاعرِ فخره واعتزازه:

ملكنا هذه الدنيا قرونًا　　وأخضعها جدودٌ خالدونا
وسطرنا صحائفَ من ضياءٍ　　فما نسي الزمانُ ولا نسينا

أيها المسلمون: وليس الحديثُ عن عالميتنا وتاريخنا وعدلِنا، ولكنه حديث عن العولمة الجديدة - تلك التي نبتت في أرض الغرب وبالتحديد في أمريكا، منذ أن أعلن الرئيسُ الأمريكي جورج بوش في خطابه الموجه إلى الأمة الأمريكية بمناسبة إرسال القوات الأمريكية إلى الخليج عام تسعين وتسع مائة وألف للميلاد مبادئ وأفكار هذه العولمةِ المزعومة... ونصَّ على: عالم متحررٍ من الإرهاب، فعّالٍ في البحث عن العدل، والأمنِ والسلام... ومعلومٌ ما يريده الغربُ بمصطلح الإرهاب، وماذا يعني السلامُ والرخاءُ عندهم؟

---

(١) محمد حرب، «العثمانيون في التاريخ» (٧١).
(٢) انظر مقال د. محمد آمحزون في مجلة البيان عدد ١٤٥ رمضان ١٢٠ العولمة بين منظورين.

عبادَ الله: ونستطيع وصفَ هذه العولمةِ الجديدة بأنها غربيةُ الولادة، غربيةُ الفكرِ والهوية، ولم يبعد عن الحقيقة من قال: إن العولمة باختصار هي: تنميطُ العالم وترويضُه على الحياة الغربية، بقيمِهِ وأنظمته ونظرته للحياة.

وهي لونٌ جديد من ألوان الهيمنةِ والاستعمارِ للعالم، لا تُتخذُ لها الجيوشُ وسيلةً، وإنما تتخذُ الفِكْرَ والثقافةَ وسيلةً للتذويبِ والتبعية، والاقتصادَ أداةً للضغط والتطويع.

أيها المسلمون: والعولمةُ نظامٌ يدور في إطار العلمانية الشاملة، ولا يقيم وزنًا للقيمِ والأخلاق، ولا أثرَ فيه للرسالات السماوية، ولا مكان فيها، أو تقديرٌ للضعفاء والأقليات.

إنها العولمة الغازية، ظاهرةٌ تتداخل فيها أمورُ السياسةِ والاقتصاد، والثقافةِ والاجتماع، والسلوك، وتحدث فيها تحولاتٌ على مختلفِ الصور، تؤثرُ في النهاية على سلوكِ الإنسان، ونمطِ حياتِه على كوكب الأرض التي تصل إليها.

بل هي كما قيل: عصا استعماريةٌ جديدةٌ بحكومةٍ عالميةٍ خفية لها مؤسساتُها: البنكُ الدولي، وصندوق النقدِ الدولي، ولها أدواتُها: منظمةُ الجات، والسبعةُ الكبار.

إن العولمةَ الغازية تسير إلى تحقيق هدفٍ غير نزيه، ولئن كانت لا تؤمن بالتعددية والتنوع، ولو كان صالحًا فهي ترتكزُ على الانحياز إذ هو فكرتُها الأولى، ومحركُها الأساس، وتنطلقُ من تعظيم الذات، والتعصبِ الممقوت، وبالطبع الذات الغربية والقيم الفاسدة، وفيها تجاهلٌ بل تحطيم للآخرين، وفي العولمة إلغاء للحدود والفوارق الجغرافية، والمسلمات التاريخية[1].

---

(١) د. فهد العرابي الحارثي، مقال عن العولمة في الجزيرة: ١٨/٨/١٤١٩هـ.

إخوة الإسلام: ويتَّخذُ الغربُ وسائلَ ظاهرةً، وأخرى خفيةً مقنَّعةً في سبيل تحقيق العولمة. فالمقنعةُ كالتجارة الدولية والمؤتمرات الدولية، كمؤتمر السكّان بالقاهرة، ومؤتمر المرأة في بكين ونحوها، والوسائلُ الظاهرة كالإعلام وشبكات الاتصال ذات الزخم الإعلامي الكبير لترويج هذه البضاعة المزجاة، وقد بلغ هذا الزخمُ الإعلامي حدًّا من الانتشار إلى درجةٍ تضايقت فيه أوروبا... وفرنسا على وجه الخصوص من الحضور الأمريكي الطاغي، وارتفعت أصواتٌ تدعو لمقاومة المدِّ الإعلامي الأمريكي الغازي!![١]

وإذا كان الواقع الإعلاميُّ الغربي، وبالذات الأمريكي منه مؤثرًا ومنتشرًا ووعاءً ناقلًا للعولمة، فالمطلعون يحذرون أكثر من مستقبل هذا الإعلام، ويقولون محذرين وموقظين للهمم، لا مخوفين ومثبطين عن العمل، يقولون: إن إحدى الشركات الأمريكية بصدد إطلاقِ قمرٍ صناعي جديد عام ٢٠٠٢م قادرٍ على بثِّ ألفٍ وخمس مائة قناة تلفازية في وقت واحدة ويعادل أداؤه مجموعة من الأقمار الصناعية الحالية.

أما الانترنت؛ فالشبكةُ القادمة والتي بدأ تطبيقُها في بعض الجامعات الأمريكية ستصلُ سرعتُها إلى ألفِ ميجابيت، أي ما يعادل ألفي ضعف الشبكة الحالية، وعشرةِ آلاف ميجابيت في غضون بضع سنوات كما يقولون[٢].

عبادَ الله: ومع هذا كلِّه فهذه العولمةُ بصورها المختلفة ووسائلها المتعددة جزءٌ من مكرِ البشرِ وكيد الأعداء، وهي ضمن قدر الله وحكمته وتدبيره لهذا الكون، وعلى المسلمين أن يدركوا حقيقة اللعبة، وأن يتجاوزوا المحنة بالعمل الجاد والتعاون المثمر والتخطيط للمستقبل، وأن يثقوا بأن الله مع الذين اتقوا

---

(١) د. مالك الأحمد: «العولمة في الإعلام»، مقال في البيان، ذو الحجة/ ١٤٢٠هـ.

(٢) د. مالك الأحمد، مقال عن العولمة الإعلامية في البيان.

والذين هم محسنون، وأن مكرَ الله أعظمُ من مكر البشر، ويدُه فوق أيديهم: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

اللهم بصِّرنا بمواطن الضعف في نفوسنا، وقوِّ عزائمنا على الخير، وادفع عنا كيدَ الفجار يا ربَّ العالمين، أقول قولي هذا وأستغفر الله.



(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

الخطبة الثانية:

الحمد لله كتب العزةَ له ولرسوله وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون، وقضى بأن الأرضَ يرثها عبادُ الله الصالحون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وقد تغر الدنيا بزينتها ومباهجها، وقد تكون نهايتُها على أثر هذه الزينة بغتة، والله يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، حذّر أمتَه من الفتن، وبشّر بمستقبل للإسلام والمسلمين لم تُستكملْ بَعْدُ مبشراتُه، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله هذا اليوم حتى يقع ما صح من خبره ومبشراته... اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين.

إخوة الإيمان: ويرى البعضُ أن العولمةَ التي نعيشها هذه الأيام هي مرحلةُ التصفيةِ الروحية أو ما يسمى: بالانتحار الروحي، وقد سبقتها مراحلُ من العولمة مهدت لها، وهذه المرحلةُ الأخيرة من العولمة ستترك أثرين متغايرين تمامًا: السلبي منهما يكمن في إخراج جيل مشوَّشِ الفكر، فاقدٍ للهوية يسخر من لغتهِ ودينه وتاريخه وقيمه، أما الإيجابي فيكمن في إيقاظ روح التحدي، والشعور بأهمية المقاومة والصمود لإثبات الذات، وتأكيد أصالة القيم، وبعث الحماس على استخراج مكنوز الحضارة الإسلامية، والتأكيد على أهمية القيم الإسلامية، والتاريخ الإسلامي والبقاء للأصلح، والزبدُ يذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، تلك سنةُ إلهية ماضيةٌ تتكرر.

(١) سورة يونس، الآية: ٢٤.

عبادَ الله: وعلى إثر هذه السُّنةِ الإلهية والمبشراتِ النبوية يرد السؤال: هل يمكن أن تستمرَ هذه العولمةُ، وإلى أي حدٍّ يمكن أن تنجح؟

لا شك أن الغيب لا يعلمه إلا علام الغيوب، ولكن ظاهر الأمر يوحي بأن هذه العولمة قد تحقق بعض النجاحات، ولكن بذورها الأولى تحمل هلاكها، إذ فيها مصادمةٌ لفطرِ البشر، وتجاهلٌ للتاريخ، واغتصابٌ للثقافة، وتنحيةٌ لتعاليم السماء، ومصادمة للمبشرات النبوية بانتصار الحقِّ وغلبة المسلمين وسيادةِ الإسلام، وتقوم العولمة على القهر والاستبداد وتعظيم الأغنياء والأقوياء، وسحق الفقراء والضعفاء، ومن هنا جاءت قوى الرفضِ لهذه العولمة من قلب الدولِ الراعية لها، وأفشل مجموعةٌ من الأمريكان مؤتمر سياتل الذي حضرته مائة وثلاثون دولة قبل أن يصلَ إلى قرارات، بل وقبل أن يحصلوا على توقيعات الدول النامية على توصياته، بل حتى قبل الوصول إلى مقر المؤتمر[(١)]، وانتشر الرفضُ للعولمة، وسار قطاره مسرعًا من أمريكا إلى أوروبا إلى غيرها.

إخوة الإسلام: وهنا يرد سؤال وكلُّنا مطالبٌ بالإجابة عليه، والسؤال يقول: ما موقفُنا من هذه العولمة وماذا ينبغي أن تُحرك فينا؟

إننا معاشرَ المسلمين جميعًا عربًا وعجمًا، شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا، مدعوون إلى إقامة عالمية تقوم على الاجتماع والألفة والأخوة، فالاجتماع قوة، والمؤمنون دون سواهم إخوة، والله يدعونا إلى الاجتماع وينهانا عن الفرقة، ويقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[(٢)].

وهذه العالميةُ التي ندعو لها لا تُقارن مصداقيتُها بعولمتهم، وهي تختلف في

(١) علي حسن شيشكلي، العولمة، الجزيرة ٢٠/ ١٠/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

آثارها وأساليبها عن عولمتهم، ودعونا نعقد مقارنةً سريعةً بين عالميتنا وعولمتهم، فعالميتُنا عدلٌ ورخاء، وعولمتُهم جورٌ وشقاء، عالميتُنا يستخرج بها الناسُ من ذلِّ العبودية وإزهاق الكرامة، وعولمتهم تكريسٌ للذل والتبعية، وسحق للحرية والكرامة، عالميتُنا طُهرٌ وعفاف، وعولمتهم عُهرٌ وشذوذ وانحراف، وسل مؤتمر بكين للمرأة ينبيك الخبر اليقين، عالميتُنا شورى وإقناع، وعولمتُهم استبداد وإكراه، عالميتنا تعمير للكون وتسبيح بآلاء الله، وعولمتُهم تدميرٌ للحرث والنسل، وفي مؤتمر الإسكان الدولي شاهدٌ لما نقول، عالميتُنا سَعُد بها المسلمون وغير المسلمين، واستظل بظلالها الوارفة القريبُ والبعيد، وعولمتهم لم تستطع أن تحقق الرخاءَ للقريب فضلًا عن البعيد، وقامت صيحاتُ المعارضة ضدها من داخل الأرض التي نبتت فيها، وأنَّى لها أن تحقق الخيرَ والسعادةَ للآخرين، عالميتنا رحمةٌ للعالمين، وعولمتهم نكدٌ وعذابٌ وظلمٌ واستبداد، عالميتُنا لا تسأل الناس أجرًا على البلاغ والهدى، وعولمتُهم نهبٌ للموجود وتعسفٌ على الفقير، ومن ملامحها كما يُقال إنها ستفقرُ الدول النامية وستزيد الدول الغنية غنى. . . عولمتهم تتجاهل رسالة السماء المحفوظة، وعالميتُنا تتعامل بالعدل مع أصحابِ الأديانِ ولو كانت محرفة، وتنظِّم حقوقًا خاصةً بأهل الذمة، عولمتهم قائمةٌ على الانحياز والتعصب إن شئتَ في الاقتصاد أو السياسة أو الأخلاق والفكر والقيم، لا يُقال هذا عاطفةً، بل يؤكده الواقعُ المشاهد، فأيُّ نوع تمارسه هذه العولمةُ في الاقتصاد؟ إنه الاقتصادُ الحرُّ من كلِّ قيود، القائمُ على الربا والاحتكار والجشع والطمع بكل وسيلة، وإن بلغت مبلغًا من الذكاء والتقنية والتخطيط. وأي نوع تمارسه هذه العولمةُ وأربابُها في السياسة؟ تجيبك المآسي القائمةُ للمسلمين في أرض الشيشان حاضرًا، ومن قبل في البوسنة والهرسك وكوسوفا، وفلسطين وغيرها، فأينَ السلامُ المنشود؟

وأين تحقيقُ العدل والأمن الذي يتشدقُ به قادةُ هذه العولمة؟ وتكشف أحداث تيمور الشرقية أخيرًا، ومن قبل جورجيا وغيرها من الجمهوريات النصرانية عن حقيقة هذا التحيز والتعصب.



فهرس خطب الجزء السابع

- الدين الحقّ ودعوى وحدة الأديان ٥

الخطبة الأولى: ٥

الخطبة الثانية: ١١

- (٢) الدين الحق ١٨

الخطبة الأولى: ١٨

الخطبة الثانية: ٢٥

- المحبة المشروعة ٢٩

الخطبة الأولى: ٢٩

الخطبة الثانية: ٣٥

- الرحمة ٤٠

الخطبة الأولى: ٤٠

الخطبة الثانية: ٤٥

- وصايا لقمان وسنن وبدع شعبان ٥٠

الخطبة الأولى: ٥٠

الخطبة الثانية: ٥٦

- الحسبة والمحتسب ٦١

الخطبة الأولى: ٦١

الخطبة الثانية: ٦٧

- (١) أطفالنا ومسؤولية التربية ٧٢

الخطبة الأولى: ٧٢

الخطبة الثانية: ٧٨
• (٢) أطفالنا ومسؤولية التربية ٨٢
الخطبة الأولى: ٨٢
الخطبة الثانية: ٨٨
• الأزمات العالمية ٩٣
الخطبة الأولى: ٩٣
الخطبة الثانية: ٩٧
• أذية المسلمين ١٠١
الخطبة الأولى: ١٠١
الخطبة الثانية: ١٠٦
• (١) الأخلاق الفاضلة ١١٠
الخطبة الأولى: ١١٠
الخطبة الثانية: ١١٥
• (٢) الأخلاق الفاضلة: طرق اكتسابها .. أسباب ضعفها ١١٨
الخطبة الأولى: ١١٨
الخطبة الثانية: ١٢٣
• أفكار في التربية والتعليم مع بدء العام الجديد ١٢٦
الخطبة الأولى: ١٢٦
الخطبة الثانية: ١٣١
• كيف نودع عامًا ويم نستقبل آخر ١٣٤
الخطبة الأولى: ١٣٤
الخطبة الثانية: ١٣٩
• من أنصار المرأة؟ ١٤٣
الخطبة الأولى: ١٤٣

الخطبة الثانية: ١٤٨
• الغفلة ١٥٢
الخطبة الثانية: ١٥٧
• الزكاة، والعشر ١٦١
الخطبة الأولى: ١٦١
الخطبة الثانية: ١٦٦
• زيارات واستقبالات رمضان ١٧٠
الخطبة الأولى: ١٧٠
الخطبة الثانية: ١٧٥
• أصحاب الفيل ١٧٩
الخطبة الأولى: ١٧٩
الخطبة الثانية: ١٨٤
• مراتب الجهاد ١٨٧
الخطبة الأولى: ١٨٧
الخطبة الثانية: ١٩٢
• ما قبل الزواج ١٩٦
الخطبة الأولى: ١٩٦
الخطبة الثانية: ٢٠٢
• أفكار في الدعوة إلى الله ٢٠٧
الخطبة الأولى: ٢٠٧
الخطبة الثانية: ٢١٣
• وقفات مع الزلزال المدمّر ٢١٦
الخطبة الأولى: ٢١٦
الخطبة الثانية: ٢٢٢

• من مقاصد الحج وأسراره ومعانيه وعشر ذي الحجة ٢٢٦
الخطبة الأولى: ٢٢٦
الخطبة الثانية: ٢٣٢
• مكفرات الذنوب ٢٣٦
الخطبة الأولى: ٢٣٦
الخطبة الثانية: ٢٤٢
• عناصر القوة للمسلم ٢٤٧
الخطبة الأولى: ٢٤٧
الخطبة الثانية: ٢٥٣
• المعركة المتجددة ٢٥٦
الخطبة الأولى: ٢٥٦
الخطبة الثانية: ٢٦٢
• بشائر بمستقبل الإسلام ٢٦٧
الخطبة الأولى: ٢٦٧
الخطبة الثانية: ٢٧٣
• بين عالميتنا وعولمتهم ٢٧٨
الخطبة الأولى: ٢٧٨
الخطبة الثانية: ٢٨٤

